

رواية الملاك

فرانز كافكا

أمريكا



ترجمة: الدسوقي فهمي

سلسلة شهرية لنشر التخصص العربي والعالمي تصدر عن مؤسسة دار الهلال

رئيس التحرير  
سعد القرش

5378

رئيس مجلس الإدارة  
غالي محمد

### الإدارة

القاهرة: ١٦ شارع محمد  
عز العرب بك (البيديان سابقاً)  
ت: ٢٢٦٢٥٤٥٠ (٧خطوط)  
المكاتب: ص.ب. ٦١ العتبة.  
القاهرة. الرقم البريدي ١١٥١١  
تلفاتها: النصور. القاهرة  
ج: ٤٠٠٤  
تلکس:  
hilal u n ٩٢٧٠٢ Telex  
فاكس: ٦٦٢٥٤٦٩ FAX



مدير التحرير  
هالة زكي

المستشار الفني  
محمود الشيخ

نائب مدير التحرير  
وجدان حامد

البريد الإلكتروني: helalmag@yahoo.com

بريد الاشتراكات: subscription\_dep@yahoo.com

### تصميم الغلاف: محمود الشيخ

### الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي ٩٦,٠٠٠ جم داخل جمهورية مصر العربية تسدد مقدماً نقداً أو بحوالة بريدية شهر حكومية - البلاد العربية ٤٠ دولاراً - أوروبا وآسيا وأفريقيا ٤٥ دولاراً - أمريكا وكندا والهند ٥٠ دولاراً - بقى دول العالم ٧٥ دولاراً  
القيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال ويرسل لإدارة الاشتراكات بخطاب مسجل كما يرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد

الإصدار الأول / يناير ١٩٤٩

م باكين

طبع هذا العدد بأخبار باكين

الكتاب: أمريكا  
المؤلف: فرانز كافكا  
المترجم: الدسوقي فهمي  
التصنيف: رواية  
الناشر: روايات الهلال - دار الهلال  
التاريخ: يونيو ٢٠١٦

---

رقم الإيداع: ٢٠١٦/١١٨٦٩

---

الترقيم الدولي: 978-977-07-1772-1

---

# رواية الهياك

فرانز كافكا

أمريكا

ترجمة: الدسوقي فهمي

لوحة الغلاف للضمان، السوق في فهمي

## الفصل الأول

### العطشجي

عندما توقف كارل برنستمان - وهو صبي بانس في السادسة عشرة -  
حملة أبواه على الرحيل إلى أمريكا، لأنه استجاب لاغراء خادمة، فانجبت  
منه طفلا - على ظهر الباخرة التي كانت تدخل ببطء ميناء نيويورك، بدا له  
كما لو كانت أشعة الشمس قد أضاعت فحاة تمثال الحرية، وعلى هذا فقد  
رآه في ضوء جديد، مع أنه كان قد تطلع إليه قبح وقت طويل. كانت الذراع  
القابضة على السيف، قد ارتفعت وكأنها قد انفردت لتوها مرفوعة إلى أعلى،  
وكانت رياح الاعالى المنطلقة تهب حول التمثال.

قال في نفسه : ما أشد ارتفاعه!

- بينما كان يقترب تدريجيا من الرصيف، يدفعه حشد الجمالين  
المتدافعين المتزايد، لأن فكرة مغادرة الباخرة لم تكن بعد قد طرأت على باله.  
وصاح به شاب كان قد تعرف عليه خلال الرحلة وهو يمر به: «لا يبدو  
عليك الاهتمام كثيرا بأمر الهبوط إلى الشاطئ، أليس كذلك؟» فأجابه كارل  
ضاحكا: «أوه، إننى على أتم الاستعداد لذلك، ولما كان نشيطا، ومنشراحا،  
فقد رفع صندوقه إلى كتفه، لكن، بينما كانت عيناه تتعقبان ذلك الشخص،  
وهو يتدافع ليشق لنفسه طريقا إلى الأمام وسط الآخرين ويطوح فى خفة  
بعكاز فى يده، تذكر فى فزع أنه كان قد نسى مظلته أسفل، فى قاع  
الباخرة، فأسرع يرجو ذلك الشخص الذى يعرفه، والذى لم يبد ارتياحا فى

الحقيقة لتلبية رجائه بأن يسدى إليه جميلاً بالانتظار دقيقة إلى جوار الصندوق، ثم ألقى نظرة أخرى على الزحام لكي يحسب حساب العودة، وأسرع بالذهاب.. وأسفل سطح الباخرة، وجد أسفاً، أن ثمة سقالة، كانت قد مهدت على عجل، للمرة الأولى طبقاً لمعلوماته، ربما للاسهام فى هبوط ذلك الحشد الهائل من المسافرين إلى الشاطئ، وكان عليه أن يشق طريقه فى جهد هابطا الدرجات الحلزونية التى لا نهاية لها، وعبر ممرات لا حصر لمنعطفاتها، وعبر حجرة خالية بها مائدة كتابة عارية، ولما كان قد مر بهذا الطريق مرة فقط أو مرتين وسط حشود الآخرين فى كلتا المرتين، شعر بضياعه تماماً، وبالحيرة تستولى عليه، حينما لم يسعه التعرف على أحد، ولم يعد يسمع سوى وقع الأقدام المتتابعة التى لا تهدأ، وقع آلاف الأقدام فوقه، وآلاف الأقدام يأتية وقعها من بعد، ويصله كأنه الانفاس الواهنة، ثم الخفقات الأخيرة للآلات التى كانت قد توقفت فى النهاية، فراح بلا وعى يدق على باب صغير كان قد تصادف وقوفه أمامه فى أثناء تجوله الذى طال فى قاع الباخرة.

وأجابه صوت من الداخل قائلاً: «أنه ليس مغلقاً!»، ففتح كارل الباب فى ارتياح. ووجه إليه الرجل الضخم الجثة، السؤال دون أن يكلف نفسه عناء النظر إليه: «لماذا كنت تطرق الباب كالمجنون؟» وخلال فتحة ما كان يتسرب ضوء النهار فى خفوت، وكل ما كان قد تبقى بعد حاجة الادوار العليا، كان غارقاً فى ظلام تلك القمرة المتواضعة حيث كان ثمة سرير سفرى وخزانة ومقعد، والرجل، كانوا جميعاً قد تكوموا معاً، وكانهم قد اخترنوا فى هذا المكان. قال كارل: «لقد ضللت طريقى!» لم ألاحظه فى أثناء الرحلة، ثم أن هذه الباخرة ضخمة إلى حد مخيف! فأجابه الرجل قائلاً فى شئ من الفخر.

- «نعم ، إنك - محق فى هذا القول»، بينما كان يعبث طوال الوقت بقفل صندوق سفرى صغير، راح يضغط عليه بكلتا راحتيه على أمل أن يسمع صوت انفتاح القفل، ثم استأنف حديثه قائلاً: «لماذا لا تدخل؟» إنك لا ترغب فى الوقوف مكانك هكذا خارج الحجرة!».

فقال كارل. «ألا يزعجك وجودى؟».

- لماذا ، كيف يمكنك أن تزعجنى؟

فسأله كارل رغبة فى المزيد من الاطمئنان : - هل أنت ألمانى؟ ذلك أنه كان قد سمع عن الكثير من المخاطر التى يتعرض لها الوافدون الجدد إلى أمريكا، وخاصة تلك المتاعب التى يسببها الأيرلنديون.. وأجابه الرجل قائلاً : «نعم، إننى كذلك!» وظل كارل واقفاً فى تردد، ثم أمسك الرجل فجأة مقبض الباب، ودفعه فانطلق فى حركة خاطفة، دافعا كارل إلى داخل القمرة.

قال : «إننى لا أحتمل النظرات التى يوجهها إلى الآخرون من الممر».. ثم عاد إلى مواصلة محاولاته لفتح الصندوق. «إن الناس لا يتوقفون عن المرور، والتحديق فى داخل القمرة، وهذا أكثر مما فى مقدور المرء أن يحتمله!» فأجابه كارل قائلاً «ولكن الممر قد خلا تماما» .. كان يقف محصوراً بطريقة مرهقة خلف حافة الفراش، وقال الرجل «نعم .. خلا الآن منهم!» .. قال كارل فى نفسه: «لكن «الآن» هو ما نتحدث عنه!»، من الصعب الحديث مع هذا الرجل!..

قال له الرجل : «استلق فوق الفراش، ففيه متسع لك، بدلا من المكان الضيق الذى تقف فيه! زحف كارل إلى الفراش فى جهد، وضحك فى صوت مرتفع بعد محاولة القفز الأولى الفاشلة التى قام بها للاستقرار فوق الفراش، ولكنه ما كاد يصبح فوقه حتى صاح، «يا الهى.. لقد نسيت الصندوق تماما!».



- لماذا .. أين هو ؟

- فوق .. على سطح الباخرة، يحرسه شخص كنت قد تعرفت به، ما هو اسمه يا ترى مرة أخرى؟ .. وأخرج بطاقة من بطاقات الزيارة من داخل جيب كانت أمه قد خاطته له في بطاقة معطفه لينتفع به في رحلته. «باتريوم، فرانز باتريوم!».

- ألا يمكنك أن تستغنى عن ذلك الصندوق؟

- لا .. بالطبع!

- حسناً ، فلماذا إذن تركته في يدي غريب؟

- كنت قد نسيت مظلتي في أسفل الباخرة، فاندفعت مسرعا لاحتضارها ولم أرغب في سحب الصندوق معي .. و .. لقد ضللت طريقي فوق هذا كله!

- هل أنت وحيد، بلا أى شخص ليرعى شئوك؟

- نعم وحيد تماماً ! .. لعلى انضم إلى هذا الرجل، طرأت الفكرة فجأة على رأس كارل.

«أين عساني أن أعثر على صديق طيب؟».

- و .. الآن فقد فقدت الصندوق أيضاً، ولا مجال لذكر المظلة!

جلس الرجل أخيراً فوق المقعد، وكانت مشكلة كارل قد جذبت اهتمامه فى نهاية الأمر.

- ولكنى أعتقد أن صندوقى لا يمكن أن يكون قد فقد!

فأجابه الرجل قائلاً : «فى إمكانك أن تعتقد ما شئت! وراح يحك فى عنف، شعره القصير، الكثيف ، الداكن .. على أن الأخلاق تختلف باختلاف كل ميناء جديد تدخله، ففى هامبورج قد يقوم باتريوم الذى ذكرته بحراسة صندوقك، بينما يبدو أنه هنا قد اختفى على الأغلب باختفاء الصندوق!

ورد كارل قائلاً: يجب على إذن أن أعود إلى سطح الباخرة فوراً لأتحقق من الأمر! ونهض، وهو يتطلع حوله ليبحث عن طريقه إلى خارج القمرة. وأجابه الرجل قائلاً وهو يدفعه بيده، بينما كانت يده الأخرى على صندوقه، دفعة عنيفة، سقط بسببها كارل مستلقياً مرة أخرى على الفراش: يجب أن تبقى حيث أنت:

تسأل كارل في حنق قائلاً: ولماذا أبقى؟

وأجابه الرجل قائلاً: لأنه لا حاجة بك إلى الذهاب، كما أنني سأنصرف أيضاً، ويمكننا أن نمضى معاً، أن الصندوق قد سرق، وعلى هذا فلا حيلة لك الآن في استرداده، وربما يكون الرجل قد تركه حيث هو، وفي هذه الحالة، سنجده في مكانه بسهولة، عندما تفرغ الباخرة من المسافرين، وينطبق الأمر نفسه على مظلتك.

فسأله كارل في شك، وهل تعرف طريقك بسهولة في ممرات الباخرة؟ وبدت له فكرة احتمال العثور على حاجياته بسهولة في حالة فراغ الباخرة من ركابها، فكرة مقنعة، وإن يكن ثمة خداع لعله أن يكون خلف هذه الفكرة على نحو ما .

قال الرجل : وكيف لا أعرفه، أنني عطشجي!

فصاح كارل في اغتباط.

- أنت عطشجي، كما لو كان ذلك الأمر قد فاق كل تصوراته، فنهض معتمداً على كوعه حتى يتمكن من تفحص الرجل أكثر عن قرب .

- كانت توجد ثمة نافذة صغيرة في مواجهة الحجره التي كنت أنام فيها مع السلوفاك مباشرة، وكان في إمكاننا أن ننظر من خلالها إلى غرفة

الآلات!

فأجابه العطشجي قائلاً: نعم .. ذلك هو المكان الذي كنت أعمل فيه!

وقال كارل متعقباً تسلسل أفكاره.. كان لدى دائماً اهتمام بالآلات، وكان فى مقدورى أن أصير مهندساً ميكانيكياً فى وقت من الأوقات، هذا أمر مؤكد.. فقط لو لم يكن على أن أرحل إلى أمريكا!  
- ولماذا كان يتحتم عليك أن ترحل إلى أمريكا .  
قال كارل: آه .. هذه الحكاية! .. متخلصاً من المسألة كلها بطردها بيده..

تطلع إلى العطشجى بابتسامة كما لو كان يبرجوه التجاوز عن امتناعه عن البوح!

قال العطشجى : لابد من سبب لذلك فيما اعتقد؟

لم يكن من السهل الفصل فيما إذا كان العطشجى يشجع كارل بهذا القول على البوح، أو لا يشجعه.

قال كارل : يمكننى أن أصبح وقاداً الآن أنا أيضاً، فيستوى عند والدى ووالدى الحال الذى يؤول إليه أمرى!

قال العطشجى . إن وظيفتى سوف تخلو!.. ولكى يؤكد ادراكه لهذه الحقيقة، دس يديه فى جيبي سرواله وطوح ساقيه فى داخل سرواله الذى يكاد يشبه الجلد، ومددهما فوق الفراش، وكان على كارل أن يتزحزح أكثر ناحية الحائط.

- هل ستغادر الباخرة؟

- نعم .. لقد حصلنا اليوم على أجورنا!

- ولماذا تغادرها ، ألا تحب هذا العمل؟

- أوه .. إن الأمور تجرى على هواها ، ولا يتوقف الأمر على حب المرء لعمله، أو عدم حبه له، ألا إنك محق تماماً، فلست أحب هذا العمل، ولا أعتقد أنك تفكر جدياً فى العمل كوقاد، ألا إنها الآن الفرصة المناسبة لك، لوراق

لك بالفعل أن تصبح وقادا، ولهذا فإنني أنصحك ألا تفعل ، فلو كنت ترغب في دراسة الميكانيكا في أوروبا ، فلماذا لا تدرسها هنا؟ إن الجامعات الأمريكية أفضل كثيرا من جامعات أوروبا!

قال كارل: «يمكنني أن أفعل ، لكنني لا أكاد أملك شيئا من المال، لكي أفكر في الدراسة، ولقد قرأت عن شخص ما كان يعمل طوال النهار في باخرة ، وكان يدرس في أثناء الليل، حتى صار طبيبا، ثم محافظا على ما أظن، إلا أن ذلك يحتاج إلى كثير من المثابرة، ألا يحتاج إلى المثابرة؟ وأخشى ألا يكون لدى الاستعداد لتلك المثابرة خاصة أنني لم أكن تلميذا مجدا، ولم أجد عناء شديدا في نفسي لانصرافي عن الدراسة وربما كانت الدراسة هنا أكثر صعوبة.. فأنا لا يمكنني أن أتحدث الانجليزية مطلقا، ومهما كان الأمر، فالناس هنا متعصبون ضد الأجانب على ما أعتقد!

- «وعلى هذا فأنت قد جنّت أيضاً على الرغم من هذا كله، هل الأمر كذلك؟ حسنا إذن. أعتقد أن الأمر كذلك تماما، وأعتقد أنك الشخص الذي أبحث عنه، فانظر، أن هذه الباخرة التي نحن عليها الآن باخرة ألمانية، وهي تابعة لخط «هامبورج - أمريكا» الملاخي، فلماذا لا يكون طاقم البحارة جميعاً من الألمان، إنني أتوجه إليك بهذا السؤال؟ ولماذا كان كبير المهندسين شخصا من رومانيا، وهو رجل يدعى شوبال ، من الصعب تصديق ذلك، كلب مصاب بالحصبة مثله يقودنا كالعبيد نحن الألمان الذين نعمل على باخرة ألمانية، لا ينبغي لك أن تظن - وهنا خانه صوته، فأشار بيديه- إنني أشكو لمجرد الرغبة في الشكوى، إنني أعلم تماما أن لا نفوذ لك، وأنك لست سوى فتى بائسا أنت نفسك، ألا إن هذا الأمر أكثر مما يمكن احتمالها! وهوى بقبضته عدة مرات على المائدة ، وعيناه لا ترتفعان عنها، بينما كان يمضي في حديثه قائلاً. «لقد عملت فوق العديد من هذه البواخر، وذكر في

الحال عشرين اسما، الواحد منها بعد الآخر كما لو كانت جميعا اسما واحدا، وقد أثار هذا ضيق كارل به للغاية.. «و .. لقد قمت بعملى على خير ما يرام، عليها جميعا، وكنت أتلقى المديح، وأحظى بتقدير كل قبطان عملت تحت رئاسته، ولقد كنت أقضى بالفعل فوق أى باخرة شحن من تلك البواخر عددا من السنوات ملتصقا بالباخرة كأننى جزء منها، هذا ما فعلته!» ثم نهض واقفا على قدميه، كما لو كان قد فرغ من انجاز أهم عمل فى حياته- وهنا فوق هذه «القصة» حيث تجرى جميع الأعمال طبقا لقاعدة ثابتة، ولا يضطرك الامر مطلقا إلى استخدام ذكائك، هنا لا يرضون عنه، أنا هنا شئ تحت أقدام شويال، وأنا هنا متراخ يجب أن يلقى به خارجا، ولا يحق له أن يتقاضى أجره ، هل يمكنك أن تفهم ذلك؟.. إننى لا أفهمه؟

قال كارل فى تأثر : «ألا يمكنك أن تتحمل ذلك؟» .. كان قد فقد تقريبا كل احساس بأنه مستقل فى أعماق باخرة ما، ترسو إلى شاطئ قارة مجهولة ، وكان يغلب عليه الشعور بأنه فى منزله هنا، على فراش العطشجى، «ألم تتح لك فرصة الالتقاء بالقبطان فى مكان ما من هذه الباخرة؟ ألم تطلب منه أن يتيح لك الحصول على حقه؟ - «.. أوه .. أخرج من هنا، هيا ، انصرف إلى الخارج، لا أريد أن أراك هنا ، إنك لا تحسن الاستماع إلى ما أقوله، ثم .. توجه إلى النصيحة، كيف يمكننى الذهاب إلى القبطان؟»

وجلس العطشجى ثانية فى تتأقل، وأخفى وجهه بين راحتيه.  
قال كارل لنفسه. «أليس فى إمكانى أن أتقدم إليه بنصيحة أفضل من تلك !».

ثم دار فى رأسه أن أفضل ما يمكنه أن يفعل هو الذهاب للبحث عن صندوقه، بدلا من تقديم النصيحة التى لا تقابل إلا على أنها غباء، قال له

والده عندما أعطاه الصندوق، مازحا: «كم من الوقت يمكنك أن تظل محتفظا فيه بهذا الصندوق؟» .. والآن ربما كان ذلك الصندوق العزيز قد فقد بالفعل»، كان عزاؤه الوحيد الذى تبقى له هو أن أباه لم يكن يسعه أن يعلم بسهولة شيئا عن حالته الراهنة، حتى لو حاول أن يتحرى عن ذلك. كل ما كان يمكن للبحارة أن يقولوه، لا شئ سوى أنه قد وصل بسلام إلى نيويورك، إلا أن كارل قد شعر بالأسف عندما فكر فى أنه لم يكد يستعمل بالمرّة، جميع الأشياء التى كان الصندوق يحتويها، فلقد كان عليه، على سبيل المثال، أن يغير القميص الذى يرتديه بقميص نظيف آخر منذ مدة طويلة، ولكنه لم يفعل، وهكذا ذهب كل تدبيره عبثا، ولم يحدث ذلك سوى الآن، فى بداية عهده بالغربة، حيث كان من الضروري أن يظهر فى ملابس نظيفة، كان مضطرا إلى مواجهة الناس بالقميص القذر الذى يرتديه، إلا أن ضياع الصندوق لم يكن على هذه الدرجة من الخطورة، ذلك أن البدلة التى كان يرتديها كانت بالفعل أفضل كثيرا من تلك التى كان الصندوق يحتويها، تلك البدلة التى كانت فى واقع الأمر شيئا ينفعه فقط فى حالة الاضطرار، كانت أمه قد أصلحتها على عجل قبل أن يرحل مباشرة! ثم تذكر أن الصندوق كان يضم أيضاً قطعة سالامى «لحم حمير» من فيرونيز، كانت أمه قد زودته بها كاكلة شهية إضافية، لم يكن قد أكل منها سوى قطعة ضئيلة، لأنه كان قد فقد شهيته تماما طوال الرحلة، وكان الحساء الذى كانوا يقدمونه فى الباخرة لركاب الدفة، يزيد على حاجته، لكنه كان يود الآن لو كان السالامى فى متناول يده، إذن لا يمكنه أن يهديه للعطشجى. ذلك لأن أمثال هؤلاء الناس يبهجم أن يهديهم الآخرون شيئا زهيدا، كان كارل قد تعلم ذلك من والده الذى كان يدس السيجار فى جيوب صغار الموظفين الرسميين الذين كان يتعامل معهم، فكان يكسبهم، بهذا تماما. كل ما كان

كارل يملكه الآن ليهدى منه، لم يكن سوى نقوده، ولم يكن يرغب فى أن يمسخها فى هذه الأونة بالذات، وخاصة بعد أن فقد صندوقه.. ثم تحولت أفكاره ثانية إلى الصندوق.. ولم يسعه أن يفهم لماذا كان حريصا على مراقبته، مراقبة شديدة إلى ذلك الحد طوال رحلته، حتى أنه لم يكن يهناً بالنوم خوفا عليه، كل هذا.. لكى يتركه يسرق منه فى النهاية، بمثل هذه السهولة، وتذكر الليالى الخمس التى قضاها مركزا عينيه المرتابتين على فتى سلوفاكى كان سريره يقع إلى اليسار، بعد سريرين، ذلك الفتى الذى كان يتحين الفرصة.. كان كارل واثقا من ذلك، لكى يسطو على صندوقه، كان ذلك الفتى السلوفاكى ينتظر فقط حتى يغلب النوم كارل، فيستغرق فيه دقيقة واحدة، وذلك لكى يتمكن من تدبير أمر السطو على الصندوق، وإخفائه بعيداً، بسحبه بعصا طويلة مدببة، كان دائماً يلعب بها، أو يتمرن عليها طوال النهار، كانت البراعة تبدو فى أثناء النهار واضحة غاية الوضوح على وجه ذلك السلوفاكى، ولكن ما يكاد الظلام يحل، حتى يكثر من النهوض فى فراشه ليلقى نظرات مخبولة على صندوق كارل. لقد رأى كارل نظراته تلك فى وضوح تام، ويذكر أنه بين الحين والآخر كان أحدهم يشعل شمعة صغيرة، مع أن ذلك كان ممنوعاً حسب لائحة نظام الباخرة، ومن ثم يحدق بقلق المهاجر فى إحدى المنشرات الغامضة الخاصة بواحدة من وكالات الهجرة، فلو كانت إحدى تلك الشموع مشتعلة بالقرب منه، لأمكن لكارل أن يغفو للحظات ، لكن لو كانت تلك الشمعة المشتعلة بعيدة عنه، أو كان المكان مظلماً تماماً، كان عليه أن يحتفظ بعينيه مفتوحتين على اتساعهما. لقد أنهكه الجهد الذى كبده إياه هذا العبء وربما كان ذلك كله قد ضاع الآن عبثاً، آه لو أتيح له مرة أخرى أن يلتقى بباتريوم ذاك!

عندئذ، ارتفعت ، على البعد، فى الصمت المخيم على الباخرة أصوات  
طرقات قصيرة خافتة، شبيهة بوقع أقدام الاطفال، وكانت تقترب ويزداد  
وقعها ارتفاعا، حتى بدت أقرب ما تكون إلى وقع أقدام الرجال فى أثناء  
سيرهم، رجال فى طابور، وهو ما كانت تفرضه طبيعة المر الضيق.. و ..  
صوت اصطدام سواعد، على ما يبدو، كان من الممكن سماعه أيضاً، فنهض  
كارل الذى كان على وشك أن يسترخى تمهيدا للنوم متخلصا من كل همومه  
التي تتصل بالصناديق، أو السلوفاك، ولكز العطشجى بكوعه لكى ينبهه،  
ذلك أن مقدمة الطابور كانت تبدو على وشك الوصول إلى باب القمرة: قال  
العطشجى. «هذا هو طاقم الباخرة: لقد كانوا يلعبون هناك ، أعلى الباخرة،  
ثم عادوا للتمام.. لقد خلت الباخرة الآن تماما، ويمكننا أن نذهب نحن  
أيضاً! هيا بنا!» وأخذ كارل من يده وانتزع فى اللحظة الأخيرة صورة  
للغذراء موضوعة فى إطار، من الحائط الذى يعلو الفراش، ودسها فى جيب  
سترته، وأمسك صندوقه وغادر القمرة فى صحبة كارل.

«إننى فى طريقى الآن للإدارة، لكى أوضح لهم رأى، لقد ذهب كل  
الركاب، ولا حاجة بى للتفكير فيما سوف أفعله، ظل العطشجى يردد هذا  
القول، مضيفا إليه بعض التعديلات فى كل مرة، وبينما كان يسير فى طريقه  
ركل أحد جوانب المر بقدمه نحو فار كان قد اعترض طريقه، لكنه لم يفلح  
إلا فى أن يدفعه إلى الاسراع بالاختباء فى داخل جحره، الذى كان قد بلغه  
فى اللحظة المناسبة، كان بطيئاً فى جميع أعماله، ومع أن ساقيه كانتا  
طويلتين، إلا أنهما كانتا ممثلتين أيضاً للغاية.

وأخذنا طريقهما عبر جانب من المطبخ حيث كانت بعض الفتيات اللاتي  
يرتدين مرايل بيضاء متسخة- كن قد لاطخنها عمدا- يغسلن أطباقا فى  
أحواض هائلة، ونادى العطشجى فتاة تدعى «لينا» وطوق خصرها بذراعه،



ولما قاومت أحضانها في دلال، جرها معه جزءاً من الطريق قائلاً لها «إنه يوم القبض، ألن تأتي معي؟ فأجابته قائلة، ولماذا أكلف نفسي مشقة الذهاب معك، يمكنك أن تحضر لى النقود هنا! وعلى حين كانت تتلوى تحت ضغط ذراعه، ثم تنطلق مبتعدة على عجل. صاحت خلفه قائلة: من أين التقطت هذا الصبي الجميل؟ لكنها لم تكن تنتظر منه جواباً، وكان في وسعهما سماع ضحكات الفتيات الاخريات، اللاتي كن قد توقفن جميعاً عن العمل.

وواصلتا سيرهما حتى بلغا باباً فوقه كورنيش صغير، يرتكز على أعمدة رفيعة مذهبة، منحوتة كلها على شكل جسم امرأة، كانت تبدو بمقارنتها إلى باقى أجزاء الباخرة، مفرطة في الفخامة، وأدرك كارل أنه لم يسبق له المرور بهذا الجزء من الباخرة، الذي ربما كان مخصصاً في أثناء الرحلة لركاب الدرجتين الأولى والثانية.. لكن الأبواب التي كانت تفصله عن بقية أجزاء الباخرة، كانت مفتوحة جميعاً الآن على مصاريعها، تمهيداً لعمليات تنظيف الباخرة، حقاً، لقد التقيا في طريقهما ببعض الرجال الذين يحملون الكانيس فوق أكتافهم، وحيوا العطشجي ، وكان كارل مندهشاً للحد الذي بلغه نظام الباخرة، ولم يكن قد لمح كراكب من ركاب المؤخرة سوى القليل من مظاهر هذا النظام، وكانت تمتد بطول الممرات أسلاك التركيبات الكهربائية، وكان ثمة جرس صغير يسمع رنينه من حين لآخر..

قرع العطشجي الباب في احترام ، وعندما صاح شخص ما قائلاً «أدخل» طلب في وقاحة من كارل أن يدخل بإشارة من يده، فتقدم كارل إلى الداخل، ولكنه ظل واقفاً إلى جوار الباب. وكان منظر البحر يبدو من خلال النوافذ الثلاث التي كانت في الغرفة. فدق قلبه بصورة أسرع وهو يتطلع إلى حركة الأمواج المنعشة، وكأنه لم يكن يتطلع من قبل إلى البحر بلا انقطاع على مدى أيام خمسة بطولها، كانت البواخر الهائلة تقطع خط سير بعضها

البعض، مستسلمة لهجمات الأمواج بالقدر الذى يسمح لها به ثقلها البالغ، ولو أن المرأ ضيق حدقتى عينيه لبدت له هذه البواخر وكأنها تترنح تحت ثقل وزنها. ومن صواريخها كانت تتطاير رايات مستطيلة ضيقة، وكانت على الرغم من توترها بسبب سرعة طيرانها، ترفرف أحيانا وربما كان من الممكن سماع أصوات المدافع التى تنطلق فجأة دفعة واحدة من بعض البوارج الحربية.. وكانت تطلق للتحية، ومرت سفينة حربية من نوع ما، على مسافة غير بعيدة، وكانت فوهات مدافعها تتألق بتأثير انعكاسات ضوء الشمس التى تسقط فوق الصلب، وتبدو وكأنها مسنودة إلى الأمام بحركتها المطمئنة، المناسبة، مع أنها لم تكن تتحرك فوق أحد الصنادل، وكان من الممكن فقط رؤية مشهد من بعد للبواخر الأصغر حجما، وللقوارب، من مكان المرء عند الباب على الأقل، وهى تندفع هناك فى جماعات خلال المسافات التى تفصل بين البواخر الهائلة، وخلفها جميعا كانت تقوم نيويورك، وناطحات سحابها تحدى فى كارل بمئات الآلاف من عيونها، نعم، فى هذا المكان كان فى وسع المرء أن يدرك أين هو !

كان ثلاثة من السادة يجلسون حول مائدة مستديرة، أحدهم كان ضابطا من ضباط الباخرة، فى زى البحرية الأزرق اللون، وكان الآخران اثنين من موظفى الميناء فى زى أمريكى أسود.. وكانت فوق المائدة أكوام من مختلف أنواع الأوراق، انتهى الضابط أولاً من فحصها، وقلمه فى يده، ملأ بها حافظتى أوراقهما، إلا عندما كان الأمر يلزمهم باتباع أسلوب أو آخر، من أساليب العرف الرسمى، الذى كان يميله أحدهما على زميليه، وهو يصدر أصواتا تشبه الفرقة بأسنانه، طوال الوقت.

وإلى جوار النافذة الأولى كان يجلس شخص ضئيل الحجم إلى منضدة، وظهره للباب، كان منشغلا بفحص بعض دفاتر الحسابات الضخمة التى

كانت مصطفة فوق رف ضخمة فى مستوى رأسه، وإلى جواره كانت توجد خزانة حديدية مفتوحة، كانت تبدو للوهلة الأولى على الأقل خاوية. وكانت النافذة الثانية خالية، ويبدو من خلالها أكمل منظر للبحر، لكن بالقرب من النافذة الثالثة كان يقف سيدان يتحدثان فى أصوات خافتة، كان أحدهما مستندا إلى النافذة، وكان يرتدى زى الباخرة، ويعبث بمقبض سيفه، أما الرجل الذى كان الحديث موجها إليه، فكان يعطى وجهه للنافذة، ومن حين لآخر كانت تصدر حركة عن صف الزخرفة المفتوح فوق صدر محدثه. كان يرتدى الملابس المدنية، ويحمل عصا رفيعة من أعواد البامبو، كانت تستند مع كلتا يديه على خاصرته، على الرغم من وقفته المفرودة، كأنه السيف.

لم يكن أمام كارل متسع من الوقت لتفحص هذا كله، ذلك لأن أحد المساعدين قد تقدم نحوهما فى الحال ووجه السؤال للعطشجى، بنظرة بدت كما لو كانت تبين له، أنه ليس ثمة ما يبرر وجوده الآن هنا، فما الذى يريده، وأجاب العطشجى بأقصى ما يمكنه من الرقة التى تفوق الرقة التى وجه إليه بها السؤال، إنه يريد مخاطبة أمين حسابات الباخرة، فأشار المساعد بيده إشارة تفيد الرفض، لكنه مضى على أطراف أصابعه فى الوقت نفسه، نحو الرجل الجالس إلى دفاتر الحسابات متفاديا الاقتراب من المائدة المستديرة، بدورة طويلة حولها، وتجمد أمين الحسابات تماما - وقد بدا ذلك واضحا- عند سماعه كلمات المساعد، لكنه دار فى النهاية متجها نحو الرجل الذى يرغب فى التحدث إليه ودفعه بعيدا فى عنف، وأقصى عنه المساعد أيضاً، حتى يخلص نفسه تماما من الازعاج، فتحرك المساعد حينئذ بجانبه منسحبا متجها ثانية نحو العطشجى، وقال فى صوت لا يفتقر صاحبه إلى نصيبه هو أيضاً من الثقة بنفسه: - انصرف من هنا فوراً!

عند هذا الرد، تحولت عينا العطشجي إلى كارل، كما لو كان كارل هو قلبه الذى يفضى إليه بأساه. ودون أن يتوقف كارل لحظة ليفكر فيما عساه أن يفعله دفع نفسه مباشرة عبر الحجر، مصطدما بالفعل بأحد مقعدى الضابطين، بينما راح المساعد يطارده، ملوحاً بذراعيه المفرودتين كما لو كان يحاول الإمساك بحشرة. إن كارل كان قد سبقه إلى بلوغ منضدة أمين حسابات الباخرة التى تشبث بها فى عنف، استعداداً لمحاولة المساعد أن يسحبه بعيداً عنها.

واستيقظ انتباه كل من كانوا بالحجرة، بالطبع، فى الحال، قفز الضابط الجالس إلى المائدة واقفاً على قدميه، وتطلع موظفا الميناء فى هدوء، ولكن بانتباه، وتحرك السيدان اللذان يقفان أمام الناظفة أكثر نحو بعضهما البعض، أما المساعد الذى أدرك أنه لم يعد من شأنه الآن أن يتدخل، بعد أن انتبه رؤساؤه إلى الأمر، فقد تراجع إلى الخلف، وظل العطشجي منتظراً عند الباب فى توتر حتى تحين اللحظة التى يطلب فيها منه أن يتدخل، واستدار أمين حسابات الباخرة أخيراً دورة كاملة فى مقعده.

وانتزع كارل من داخل جيبه السرى الذى لم يكن يحفل بأن يطلع عليه هؤلاء الناس، جواز سفره، الذى فتحه، ووضعته إلى المنضدة بدلاً من أية محاولة أخرى لتقديم نفسه، وبدا على أمين حسابات الباخرة، كما لو كان يظن أن جواز السفر غير صحيح، ذلك لأنه قد دفعه جانبا فتناوله كارل عندئذ ودسه فى داخل جيبه، كما لو كانت هذه الخطوة الأولى من الشكليات قد انتهت على ما يرام.

ثم شرع يقول : «هل تسمح لى بأن أقول، إنه فى رأى قد حاق الظلم بصديقى العطشجي. ها هو شخص محدد استبد به شوبال فى هذه الباخرة! إن له سجلاً حافلاً بالخدمة المرضية، على عديد من البواخر، فى

إمكانه أن يسرد اسماءها على مسامعك.. إنه مثابر، شغوف بعمله، وأنه لمن الصعب حقيقة أن يرى المرء لماذا على هذه الباخرة بالذات حيث لا يتطلب العمل جهداً شاقاً كما هو فى سفن الشحن مثلاً، لا يلقى هذا الشخص سوى هذا الحظ القليل من الاهتمام.. لا بد أنه محض افتراء ذلك السبب الذى ينتهى به إلى تلك الحالة البائسة ويسلبه الاعتراف بالفضل الذى هو أهل له دون شك. لقد التزمت، كما يمكنك أن ترى ذلك بنفسك، بالاهتمام بالأمر العامة، وفى وسعه أن يعرض عليك شكواواه الصريحة بنفسه!

بهذا القول كان كارل قد خاطب السادة الحاضرين جميعاً، ذلك لأنهم فى الحقيقة، كانوا يستمعون إليه، ولأنه يبدو ، بعد هذا، أنه بين كل هؤلاء على الأقل لا بد من وجود شخص واحد عادل، وفيما عدا ذلك الشخص الوحيد العادل، يجب على أمين حسابات الباخرة أن يكون عادلاً أيضاً، وأخفى كارل أيضاً فى مراوغة حقيقة أنه لم يتعرف على العطشى إلا منذ تلك الفترة القصيرة فحسب. لكن كان فى مقدوره أن يلقى خطبة أفضل بكثير من خطبته تلك التى ألقاها، لو لم بتثبث ذهنه بمواجهة ذلك الوجه الأحمر، وجه الرجل الذى كان يمسك بالعصا البامبو، والذى كان قد أصبح الآن فى مجال رؤيته للمرة الأولى.

كان هذا صحيحاً، كل كلمة مما قيل ! صرح العطشجى بذلك، حتى قبل أن يسأله أى شخص عن رأيه، ودون أن ينظر فى الحقيقة أى شخص إليه. ربما كان ذلك الحماس الزائد الذى أبداه، خطأً شنيعاً لو أن الرجل ذا الزخارف التى تنتشر على صدر رداءه، كما بدا الآن على أنه القبطان بالطبع، لم يكن قد وطن عزمه نهائياً، على الاستماع إلى حقيقة الامر. ذلك أنه فرد ذراعه، وصاح فى العطشجى: تعال هنا! فى صوت قاس كالصخرة. فأصبح كل شئ يعتمد الآن على سلوك العطشجى.. أما عن

عدالة قضيته، فلم يكن ثمة ظل من الشك يساور كارل فى ذلك بحال من الأحوال.

وظهر لحسن الحظ فى هذه اللحظة أن العطشجى كان رجلا متمرسا بخبرة لا حد لها.

ففى هدوء يعد مثلا لرباطة الجأش سحب من داخل صندوقه، فى محاولته الأولى لفتحها، حزمة صغيرة من الأوراق، ومذكرة، وتقدم بهما نحو القبطان، كما لو كان ذلك أمرا متوقعا.. متجاهلا أمين حسابات الباخرة تماما، ونشر مستنداته تلك على افريز النافذة. لم يكن يوجد أمام أمين حسابات الباخرة ما يفعله، فلم يجد بدا من أن يتقدم هو أيضاً إلى الأمام وقال مفسرا: «إن هذا الرجل جعاج خبيث! إنه يقضى فى حجرة صرف الأجور، وقتنا أطول من الوقت الذى يقضيه فى غرفة الآلات. لقد دفع هذا الشخص شوبال الهادىء إلى اليأس المطبق، استمع إلىّ، وهنا استدار إلى العطشجى: «إنك متشبث إلى حد فظيع بدفع نفسك إلى الأمام. كم مرة من المرات طردت حتى الآن من حجرة صرف الأجور؟ وأعترف أيضاً بوقاحتك فى طلب أشياء لا حق لك فى المطالبة بها حال من الأحوال؟ كم من المرات اندفعت مهرولا من حجرة صرف الأجور إلى مكتب أمين حسابات الباخرة؟ وكم من المرات قام الآخرون فى صبر بتوضيح حقيقة أن شوبال هو رئيسك المباشر، وأنه هو الشخص الذى يتعين عليك أن نتعامل معه وحده؟ والآن جئت أيضاً إلى هنا، بينما القبطان حاضر هنا بنفسه، لتزعجه، بوقاحتك، وكأن ذلك كله لم يكن كافيا، حتى تصطحب معك «لسان حال»، ليشرح فى طلاقة تلك التظلمات الملفةقة التى لقتتها له، صبى لم يسبق لى أن رأته على هذه الباخرة من قبل مطلقا!

وتمالك كارل نفسه بقوة حتى لا يقفز مندفعاً إلى الامام.

إلا أن القبطان كان قد اشترك لحظتها في الحديث بهذه الملاحظة: «من الأفضل أن نستمع إلى ما ينبغي على الرجل أن يواجه به نفسه! إن شوبال قد أصبح في هذه الأيام، أضخم ، إلى حد بعيد، بالنسبة لفردتى حذائه! إلا أن هذا لا يعنى أن اعتقد أنك محق» كانت الكلمات الأخيرة موجهة إلى العطشجى، كان طبيعياً ألا يشترك القبطان في المناقشة منذ البداية، إلا أن كل شئ بدأ وكأنه كان يسير فى طريقه الصحيح. وبدأ العطشجى فى تقرير حالته، وتمالك نفسه منذ البداية حتى أنه كان يطلق على شوبال «مستر شوبال» وشعر كارل بالرضا الزائد، بينما كان يقف بجوار منضدة أمين حسابات الباخرة الخاوية، حتى أنه فى غمرة اغتباطه راح يضغط على فتاحة الخطابات إلى أسفل باصبعه! لم يكن مستر شوبال عادلاً! مستر شوبال يفضل الأجانب ! أمر مستر شوبال العطشجى بمغادرة حجرة الآلات، وأرغمه على تنظيف دورات المياه. وهى مهمة ليست من اختصاص العطشجى مطلقاً! وفى إحدى المرات كانت كفاءة «مستر شوبال» هى أيضاً موضوعاً للتساؤل لأنه يبدو فى صورة لا تتطابق مع حقيقة أمره. وعند هذا الحد ركز كارل نظراته على القبطان، وحدث فيه فى تبجيل رصين، كما لو كانا زميلين حتى يمنعه من التحيز ضد العطشجى بسبب غلظة أسلوب الرجل فى التعبير عن متاعبه. كما أنه لم يبد كذلك أن شيئاً محددًا قد تمخض عنه تدفق العطشجى فى الإيضاح .

ومع أن القبطان ظل مستمرا فى الانصات، وهو مستغرق فى أفكاره، إلا أن عينيه كانتا تتمان عن قراره بالاستماع إلى العطشجى هذه المرة إلى النهاية، وفقد باقى السادة صبرهم، ولم يلبث صوت العطشجى أن غطى الحجرة، فكان ذلك علامة تنذر بالسوء. وكان السيد الذى يرتدى الملابس

المدنية، هو أول من أفصح عن نفاذ صبره عندما راح يعبث بعصا البامبو، ويقرع بها - ولو فى رقة - أرضية الحجرة.

وظل الآخرون يحدقون إلى أعلى من حين لآخر، لكن موظفى الميناء، اللذين كانا يبدو عليهما الضيق لضياح وقتهما، اختطفا أوراقهما ثانية، وشرعا - ولو فى شرود إلى حد ما - فى تفحصها، أما ضابط الباخرة فقد استدار إلى منضدته، وصعد أمين حسابات الباخرة الذى ظن الآن أنه قد انتصر اليوم، تنهيدة عالية مفعمة بالاستهزاء، ومن التشتت العام للاهتمام، بدا أن المساعد كان هو الشخص الوحيد المحتفظ بصفائه. على نقضهم جميعاً، وهو الوحيد الذى تعاطف إلى حد ما مع ذلك الرجل البائس الذى لاقى الكثير، وأوماً مطرقاً فى أسى نحو كارل، كما لو كان يحاول تفسير أمر ما.

بينما، كانت الحياة فى الميناء خارج النوافذ تضى فى طريقها. كان صندل للشحن محملاً بجبل من البراميل، التى لابد كانت قد ربطت بصورة مثيرة للدهشة، طالما أنها لم تتدحرج. كان ذلك الصندل يمضى مبتعداً، حاجباً ضوء النهار تماماً، وقوارب بخارية صغيرة. تمنى كارل لو أتيح له أن يتفحصها فى دقة، لو سمح له الوقت بذلك، كانت تنطلق مبتعدة كالقذيفة، لأقل حركة تبدر من الرجل الواقف أمام العجلة. وهنا وهناك أشياء غريبة تهتز فى حرية مع حركة المياه التى لا تستقر.. أشياء كانت قد غاصت ثانية على الفور، وغمرتها المياه أمام عينيه المدهوشتين، وقوارب تابعة لخطوط عابرات المحيط كانت تجدف مبتعدة ببجارتها الذين يتصببون عرقاً، وكانت تمتلئ بالركاب الذين يجلسون فى صمت، وترقب كما لو كانوا مرصوصين هنالك. غير أن بعضهم لم يكونوا يتوقفون عن تحريك رعوسهم للتحديق فى



المشهد المتغير. حركة بلا نهاية ، تنتقل من المعدن الذى لا يكل إلى الآدميين  
البؤساء، ومشاعلهم.

إلا أن كل شئ كان يتطلب السرعة، والوضوح، والتقرير الدقيق، وما  
الذى كان العطشجى يفعله؟ لا شك أنه كان مستمرا فى حديثه، حتى لقد  
تصيب عرقا، وكانت يداه ترتعشان بشدة، حتى لم يعد فى استطاعته أن  
يمسك بالأوراق التى كان قد وضعها على حافة النافذة. ومن كل النقاط  
الفرعية كانت تنصب التظلمات التى تتناول شويبال. كانت تبدو كل منها فى  
ذاكرته كافية لاجبار شويبال على التسليم باستبداده وظلمه، إلا أن كل ما  
كان العطشجى قد تمكن من تقديمه إلى القبطان، لم يكن سوى خليط تعس،  
كان كل شئ يحتشد فيه فى وقت معا، وبلا مبرر.. وظل الرجل الذى يمسك  
بالعصا المصنوعة من البامبو، فترة طويلة محدقا فى السقف بينما يصفر  
لنفسه، واحتجز موظفا الميناء، ضابط الباخرة على مائدتهما، ولم يبد عليهما  
ما يدل على استعدادهما للسماح له مرة أخرى بالابتعاد. وكان أمين  
حسابات الباخرة قد كبت رغبته فى الصياح فقط نظرا لهدوء القبطان،  
ووقف المساعد وقفة انتباه، منتظرا فى كل لحظة أن يصدر القبطان أمرا  
يتعلق بالعطشجى.

عند هذا الحد لم يتمكن كارل من أن يظل ساكنا، ولهذا فقد تقدم  
متباطئا نحو الجمع، وفى رأسه تجرى منطلقة فى سرعة، كل الوسائل التى  
يمكنه بها أن يقبض فى براعة على زمام الأمر.

كانت اللحظة، لحظة حرجة دون شك. وكانت قد طالت بعض الشئ وربما  
طرد كلاهما فعلا خارج المكتب وربما كان القبطان رجلا طيبا، وربما كانت  
لديه أيضاً - أو هكذا بدا الأمر لكارل - بعض الأسباب الخاصة التى تدفعه  
فى تلك اللحظة إلى التظاهر بأنه سيد عادل، لكنه قبل كل شئ قبطان لا

مجرد أداة يلعب بها المرء فى طيش، ولقد كان هذا بالضبط هو النحو الذى كان العطشجى يعامله على أساسه، فى غمرة السخبط الذى أفعم به قلبه. لهذا قال كارل للعطشجى «يجب عليك أن تعرض الأمور على نحو أكثر بساطة، وأكثر وضوحا، إن القبطان لا يمكنه أن يتخذ قرارا عادلا بناء على ما تلقىه عليه. كيف يتسنى له أن يعرف كل الميكانيكيين، وصبيان الباخرة بأسمائهم، فضلا عن أن يعرفهم بأسمائهم الأولى؟ حتى تنتظر منه عندما تذكر له هذا وذاك، أن يدرك على الفور من هم الذين تقصدهم؟ رتب تظلماتك. واذكر أهمها أولا، ثم بعد ذلك التى تليها فى الأهمية، ولعلك ترى أنه من غير الضرورى حتى أن تذكر معظمها. لقد سبق أن شرحتها لى دائما على نحو أكثر وضوحا!» وفكر قائلاً فى نفسه، على سبيل التبرير، إذا أمكن سرقة الصناديق فى أمريكا، فلا شك أن المرء يسعه أن يلقى بكذبة، من حين لآخر، بدوره هو أيضاً!

لكن هل كانت ثمة فائدة قد أسفرت عنها نصيحته؟ لعلها لم تكن قد جاءت بالفعل متأخرة كثيرا عن وقتها . لقد توقف العطشجى عن الكلام فوراً، عندما استمع إلى الصوت الذى يألفه، ألا أن عينيه كانتا ممتلئتين بالدموع.. دموع كرامته المطعونة، ودموع الذكرى، وحزن الحاضر البالغ حتى أنه قد تمكن بصعوبة من أن يتعرف على كارل، فكيف يمكنه عند هذا الحد - تحقق كارل من هذا فى صمت، وهو يواجه العطشجى الصامت أخيراً - أن يغير فجأة أسلوبه فى الحديث، عندما بدا واضحا له، وقد قال كل ما يمكنه قوله دون أن يستثير أدنى بادرة عطف، وأنه لم يكن فى الوقت نفسه قد قال شيئاً على الإطلاق، ولا يسعه أن يتوقع من هؤلاء السادة أن يستمعوا مرة أخرى إلى كل ذلك اللغو، وفى مثل هذه اللحظة كان على كارل

نصيره الوحيد أن يقطع استرسال حريته بتلك النصيحة الطيبة المزعومة،  
التي أوضحت أن كل شئ قد ضاع.. كل شئ!

قال كارل لنفسه: «لو أنني كنت قد تكلمت قبل ذلك بدلا من التطلع عبر  
النافذة!» خافضا عينيه أمام العطشجى، ومدليا ذراعيه إلى جانبيه كدليل  
على أن كل أمل قد انتهى.

إلا أن العطشجى أخطأ فهم هذه الحركة، شاعرا بلا شك أن كارل كان  
يضممر له نوعا من اللوم! وفى رغبة صادقة فى إيضاح الحقيقة، كلل  
العطشجى كل أخطائه الأخرى بالشروع فى مشاجرة مع كارل، لاحظتها  
عندما كان الرجال المجتمعون حول المائدة المستديرة قد بلغ بهم السخط  
مداه، على تلك الثثرة الفارغة التى كانت تعطل أعمالهم الهامة، وعندما كان  
أمين حسابات الباخرة قد أخذ يتبين شيئا فشيئا أن صبر القبطان، قد  
أصبح أمرا لا يمكن فهمه، وعندما كان على وشك الانفجار ، وعندما كان  
المساعد قد تحول مرة أخرى بصورة نهائية إلى صف سادته، وراح يقيس  
العطشجى بنظرات وحشية، وعندما كان الرجل الذى يمسك بالعصا  
المصنوعة من البامبو، أخيرا، ذلك الرجل الذى كان القبطان يرمقه بين الحين  
والآخر بنظرات ودية، قد ضاق تماما بوجود العطشجى، بل أصيب فى  
الحقيقة بالقرص منه، فاخرج مفكرة صغيرة، وانشغل فى وضوح بافكار  
مختلفة تمام الاختلاف وهو ينظر فى مفكرته أولا، ثم يعود فيوجه نظراته  
نحو كارل.

قال كارل : «إننى أعرف!» وكان يحاول بصعوبة أن يتفادى التيار الذى  
كان العطشجى يوجهه الآن نحوه، إلا أنه تمكن من الاستجداد بابتسامة  
ودية وجهها للعطشجى على الرغم من كل الشقاق الذى كان قد قام فى  
نفسه.. إنك على حق، إنك على حق! إننى لم أشك فى ذلك قط!..

ولخوفه من أن ترتطم به يدا العطشجي اللتان كان يلوح له بهما، كان كارل يود لو أمكنه أن يمسك بهما، وإن كان الأفضل أن يسحب الرجل إلى أحد الاركان، حتى يتمكن من أن يسر إليه بما قد يهدئ تائرتة ويشجعه من الكلمات التي يجب ألا يسمعها الآخرون، إلا أن العطشجي كان قد تخطى كل الحدود، فشرع كارل بالفعل في التماس شئ من العزاء فى فكرة. أنه فى مقدور العطشجي، عند الاضطرار أن يواجه الرجال السبعة الذين تضمهم الحجرة بالعنف النابع من يأسه. لكن على المنضدة، كانت هناك شبكة أجراس تمكن من رؤيتها بنظرة، أجراس عديدة لا حصر لها ، كان مجرد الضغط عليها بيد واحدة، كفيلا بأن يقيم الباخرة كلها، وأن يأتى بكل الرجال العدوانيين الذين تمتلئ بهم ممراتها.

تقدم السيد الذى يمسك بالعصا المصنوعة من البامبو الآن، على الرغم من التجائه إلى التباعد لضجيره البالغ، نحو كارل ، وسأله بصوت ليس مرتفعا غاية الارتفاع، ولكنه كان واضحا بدرجة كافية، ومسموعا فوق ضجة هذيان العطشجي: «بالمناسبة ما هو اسمك؟» فى تلك اللحظتو .. كما لو كان شخص ما خلف الباب ينتظر توجيه هذا السؤال، انبعثت طرقة على الباب، فنظر المساعد عبر الحجرة إلى القبطان، وأوماً القبطان، وعلى هذا توجه المساعد نحو الباب وفتحه. كان يقف فى الخارج رجل متوسط الحجم فى معطف حربى قديم، لا يبدو عليه مطلقا أدنى صلة شبه بذلك النوع من الرجال الذين يتعاملون مع الآلات. ومع ذلك فقد كان هو شويال.. فلو لم يكن كارل قد استنتج ذلك من تعبير الارتياح الذى أضاء العيون جميعا، حتى عيني القبطان، فلا شك أنه كان سيستنتجه من الرعب الذى سيطر على سلوك العطشجي الذى ضم قبضتيه على امتداد ذراعيه المفرودتين فى حدة جعلت أطباقتهما، تبدو أهم شئ على الإطلاق فى وجوده كله، هاتان

القبضتان اللتان كان على أتم الاستعداد لأن يضحى فى سبيلهما بأى شىء آخر فى الحياة. كانت قوته كلها مركزة فى قبضتيه، بما فيها تلك القوة التى كانت تحمله على الوقوف منتصباً فوق قدميه.

وهكذا أصبح العدو هنا هو أيضاً، منتعشا، ومبتهجا، فى ملابس الشاطئ وتحت ذراعه دفتر ضخم، لعله ينطوى على تقرير عن ساعات العمل، والأجور المستحقة للعطشجى، وكان يتفحص فى جراحة وجوه الحاضرين جميعاً، وبدا كما لو كان اهتمامه الأول الذى يجب الاعتراف به فى صراحة هو : أن يكتشف فى أى جانب من جوانب الحجره كانوا يقفون! كان الرجال السبعة الذين تجمعهم الحجره أصدقاءه بالفعل، وعلى الرغم من أن القبطان كان قد أثار بعض الاعتراضات عليه قبل قليل، أو أنه قد تظاهر بأنه يفعل ذلك، لأنه قد أحس بالأسف من أجل العطشجى، فقد كان واضحاً أنه لايجد أدنى أثر للخطأ فى جانب شوبال. وأن رجلاً كالعطشجى، لايمكن أن يكون قد أهين بهذه الدرجة من القسوة، ولو كان شوبال ليلازم على شىء، فقد كان هذا الشىء الذى يجب أن يلام عليه هو أنه لم يكبح جماح العطشجى، الميال للاعتراض دائماً، بصورة كافية طالما أن ذلك الشخص قد جرؤ على مواجهة القبطان فى نهاية الأمر.

إلا أنه من الممكن الاطمئنان إلى أن مواجهة شوبال والعطشجى ستنتهى، حتى ولو كانت على يد محكمة من البشر، إلى نفس النتيجة التى ترضاهها العدالة السماوية، طالما أن شوبال، حتى ولو نجح فى التظاهر بالصلاح، سينهار بسهولة، فى نهاية الأمر.

إن توهجا قصير الأمد لطبيعته الشريرة سوف يكشف عن طبيعته تلك لهؤلاء السادة، ولسوف يمهد كارل لذلك. وأن لديه بالفعل خبرة مباشرة واسعة بالمر، وبالضعف، وبطباع الشخصيات المختلفة التى تجمعها

الحجرة، وفى هذا المقام لن يكون الوقت الذى أنفقه بداخلها قد ضاع عبثاً. لقد كان مما يؤسف له أن العطشجى كان يفتقر افتقاراً شديداً إلى المهارة، إنه لا يبدو مطلقاً أهلاً للفعل الحاسم .

فلو أن امرءً دفع شوبال نحوه، فلعله أن يشج جمجمة ذلك الرجل، الشائهة بقبضتيه. إلا أن القدرة على تخطى الخطوتين اللازمتين حتى يصبح شوبال فى متناول يده، كانت فوق طاقته، فلماذا لم يتوقع كارل، ما كان يبدو متوقفاً على هذه الدرجة من البساطة، وهو أن شوبال كان سيظهر لا محالة، حتى لو لم يكن قد ظهر تلقائياً كما حدث، فلا بد أنه كان سيحضر بناء على طلب القبطان! فلماذا لم يدبر خطة محكمة للهجوم بالاشتراك مع العطشجى، بينما كانا فى طريقهما إلى هنا، بدلا من السير فى سداجة، ودون أدنى استعداد، على نحو يبعث على اليأس؟ حتى بلغا أحد الأبواب «كما اتفق لهما أن فعلا؟ فهل كان العطشجى قادرا على أن يتفوه الآن بكلمة، أو الرد بنعم أو لا، كما يتحتم عليه أن يفعل لو قدر له أن يستجوب الآن، رغم أن الاستجواب - ولا جدال فى ذلك - كان أمرا بعيد الأمل فى حدوثه، إسرافا فى التفاؤل! ها هو يقف هناك، ساقاه متخاذلتان، وركبته مرتعدتان، ورأسه ملقى إلى الخلف، والهواء يتردد إلى داخل وخارج فمه المفتوح، كأنما لا توجد للرجل رتتان تتحكمان فى حركة الهواء.

كان كارل نفسه يشعر بمزيد من القوة، وصفاء الذهن، ربما لم يسبق له أن أحس بهما على هذا النحو فى بيته مطلقاً من قبل، فلو استطاع والده ووالدته فقط أن يرياه الآن، مدافعا عن العدالة فى أرض غريبة أمام رجال نوى سلطة، ومع أنه لم ينتصر بعد، إلا أنه عازم فى إقدام على أن يحوز النصر النهائى! فهل يعيدان النظر فى فكرتهما عنه؟ ويستبقياه إلى

جوارهما، ويمجدانه؟ انظر فى عينيه أخيراً، أخيراً.. هاتان العينان  
المفعمتان بالولاء لهما؟ تساؤلات مبهمة، ولكن ليس الآن، هو أو ان طرحها.  
- «لقد جئت إلى هنا لأننى أعتقد أن هذا العطشجى قد اتهمنى بالغش  
أو بشئ من هذا القبيل. وقد أخبرتنى إحدى فتيات المطبخ بأنها قد شاهدته  
يفعل ذلك! أيها القبطان وأنتم جميعاً أيها السادة وإننى على أتم الاستعداد  
لتقديم الإثباتات التى تدحض أياً من هذه الاتهامات. ولو شئتم أن أقدم لكم  
شهادات الشهود غير المنحازين، الذين لاتشوب نزاهتهم الشوائب، هؤلاء  
الشهود الذين يقفون فى انتظار سماع شهادتهم الآن أمام باب هذه  
الحجرة!».

كان هذا هو التقرير الذى تقدم به شوبال، وقد كان للحق تقريراً،  
واضحاً جريئاً و.... ربما خيل للمرء من التعبيرات التى تبدلت على وجوه  
المستمعين إنهم قد استمعوا لأول مرة بعد انقطاع فترة طويلة سادها  
الصمت إلى صوت بشرى حقاً. ولاشك فى أنهم لم ينتبهوا إلى الفجوات  
التي كان من السهل أن يتبينها المرء فى تلك الخطبة الرائعة. لماذا مثلاً.  
كانت الكلمة الأولى، المناسبة التى تهيأت له هى «الغش»؟ فهل حدق أن اتهمه  
أحد بذلك؟ لعله استبدل بها كلمة: التحامل على جنسية من الجنسيات؟ كانت  
إحدى فتيات المطبخ قد شاهدت العطشجى وهو يمضى فى طريقه إلى  
الإدارة، فتكهن شوبال على الفور بما يعنيه ذلك!، فهل كان إحساسه بالذنب  
هو الذى شحذ إدراكه؟ ثم إنه قد جمع الشهود فوراً، ألم يفعل ذلك؟ ومن ثم  
يتحول فيصفهم بأنهم غير منحازين، ويصفهم كذلك بالنزاهة، ربما لكى  
ينتفع هو بهذه الصفات! احتيال! ولا شئ سوى محض احتيال! ولم  
ينخدع هؤلاء السادة جميعاً بذلك فقط، بل لقد صادفت فعلته استحسانهم  
أيضاً!

ثم .. لماذا تعمد التأخير، هذه الفترة الطويلة التي انقضت بين وشاية فتاة المطبخ وموعد حضوره إلى هنا. لقد تأخر في المجيء حتى يترك الفرصة الكافية للعطشجي حتى يرهق السادة، وحتى يكون عزمهم على الحكم الواضح قد تبدد! هذا الحكم الواضح الذي كان شوبال يخشاه قبل أى شىء غيره! كما أنه قد انتظر أمام الباب فترة طويلة، لاشك فى أنه قد فعل ذلك، فهل كان قد تعمد عدم الطرق على الباب، حتى سمع السؤال العارض الذى وجهه السيد الذى يمسك عصا البامبو. هذا السؤال الذى استند إليه. على أمل أن يكون العطشجي قد فرغ بالفعل من مهمته؟

كان كل شىء واضحا الآن وضوحا كافيا، كما أن تصرف شوبال العفوى كان يؤكد، لكن لا بد من توضيح ذلك لهؤلاء السادة بوسائل أخرى أشد فعالية. يجب أن يهتزوا فى عنف، فأسرع إذن الآن يا كارل، واستغل كل دقيقة تبقت أمامك، قبل أن يشرع الشهود فى دخول الحجر، ويقلبوا القضية بأكملها رأسا على عقب !

إلا أن القبطان كان قد أشاح فى تلك اللحظة نفسها لشوبال بيده. طالبا منه أن ينصرف، فانتحى جانبا من فوره - وقد رأى أن تدبيره قد تأجل على ما يبدو لوقت ما - وهرع إليه المساعد، حيث راحا يتبادلان معا حديثا هامسا، يتضمن نظرات جانبية عديدة موجهة نحو العطشجي وكارل. بالإضافة إلى حركات وإشارات لها مغزاها.

كان يبدو على شوبال، وكأنه كان يرتب فى ذهنه خطبته الرائعة القادمة! وفى الصمت الذى ران على الحجر، قال القبطان، موجها حديثه إلى السيد الذى يمسك بعصا البامبو فى يده: «هل ترغب فى أن توجه سؤالا ما إلى هذا الصبى، يا مستر جيكوب؟»



فأجاب الآخر، بانحناء خفيفة ردا على مجاملة القبطان، ثم عاد ثانية،  
فسأل كارل: «ما هو اسمك؟».

فأجابه كارل الذى ظن أن مهمته الأساسية يمكن أن تتم بصورة أفضل،  
لو حاز رضا ذلك الشخص الذى يلح بتساؤله .. أجابه مسرعا، فى  
اقتضاب، دون أن يحلول تقديم نفسه - على عادته - بواسطة جواز سفره،  
الذى كان عليه أن ينتزعه ثانية من داخل جيبه:

- كارل روسمان!

- حقا!

قالها السيد الذى دعى باسم جيكوب متراجعا. بابتسامة مرتابة وكذلك  
ابتسم القبطان. وأمين الباخرة والضابط. وحتى المساعد ابتسم هو أيضا،  
وعلت الدهشة البالغة وجوهم جميعا عند سماعهم اسم «كارل» كان موظفا  
الميناء وحدهما، وشوبال هم الذين ظلوا دون مبالاة.

وعاد مستر «جيكوب» مرة أخرى فقال: «حقا؟ وهو يتقدم نحو كارل  
بخطوات جامدة «إن فأننا خالك جيكوب، وأنت .. ابن أختى العزيز! لقد  
كنت مشتبهها فى ذلك وطال الوقت!»، وجه جملته الأخيرة للقبطان قبل أن  
يحتضن كارل الذى استسلم له فى ذهول، وهو يقبله.

وعندما تخلص كارل من عناق خاله سأل فى لطف.. لكن فى برود شديد  
محاو لا بغاية ما يمكنه أن يحسب النتائج التى قد تتمخض عنها هذه  
التطورات الجديدة لصالح العطشجى، قائلا «وما عسى أن يكون اسمك؟».

لم يكن ثمة ما يحتاج إلى توضيح أن شوبال لم يكن يسعه فى هذه  
اللحظة أن يخرج من هذا الموقف بأى شىء فى صالحه.

ورد القبطان، الذى اعتقد أن مستر جيكوب قد شعر بالإهانة لسؤال  
كارل، لأنه كان قد تراجع فى اتجاه النافذة، لاشك لكى يخفى عن الآخرين

اضطرابه، وانفعالات وجهه الذى كان يربت عليه بمنديل فى يده قائلا: «ألا تترك حظك السعيد أيها الشاب.. إنه السيناتور ادوارد جيكوب، ذلك الذى صرح الآن بأنه خالك، إن من تدعى «برومر» هذه طفلا من ابن أختى، صبى يتمتع بصحة جيدة عمدته باسم «جيكوب» وواضح أنها أطلقت هذا الاسم عليه،، تيمنا بشخصى المتواضع، ذلك أن حديث ابن أختى إليها، الذى كان يشير فيه إلى من وقت لآخر، كان قد ترك أثرا عميقا فى نفس تلك المرأة، و.. اسمحوا لى بأن أضيف أن هذا كان من حسن الطالع .. أما والدا الصبى، فإنهما لكى يتخلصا من النفقة، ويتجنبيا الفضيحة - وينبغى على أن أقر بأننى أجهل جهلا تاما طبيعة القوانين التى يسرى تطبيقها فى هذا الخصوص، وأجهل كل الملابس التفصيلية وظروف هذه الحالة - أقول إذن إنهما لكى يتجنبيا الفضيحة، ويتخلصا من دفع النفقة. قاما بطرد ابنهما - ابن أختى العزيز- وأرغماه على الرحيل إلى أمريكا، دون أن يكون مستعدا - ويا للعار - لمواجهة أعباء تلك الرحلة.. وهذا ما يسعكم أن تلمسوه بأنفسكم!

فما عسى أن يكون الحال الذى كان سينتهى إليه مصيره، لو لم ترسل إلى تلك المرأة هذا الخطاب الذى وصلنى فى النهاية، بعد أن تأخر طويلا، أمس الأول، وسردت لى فيه القصة كاملة، وكذلك أوصاف ابن أختى، وفى حكمة بالغة، اسم الباخرة التى رحل عليها أيضا ؟!

فلو كان لى أن أشرع فى تسليطكم أيها السادة، فلعلنى أقرأ عليكم بضع فقرات قصيرة مما جاء فى هذا الخطاب، ثم جذب ورقتين كبيرتين من أوراق الخطابات ممثلتين بالكتابة فى خط دقيق، ونشرها أمامهم :

- «ولست أشك فى أنكم ستهتمون بالانصات إليها، ذلك أن هذا الخطاب قد كتب بأسلوب ينطوى على شىء من الدهاء المتعمد، الساذج، ويشيع فيه

الاهتمام البالغ الذى ينم عن الحب - لوالد الطفل - إلا أننى لا أنوى أن أمضى فى قراءة أكثر مما يلزمنى فى توضيحي لحقيقة الحال، وحتى لا أخرج مشاعر ابن أختى منذ بداية لقائى به، مشاعره تلك المرهفة لاتزال بلا شك، ويمكنه أن يقرأ ذلك الخطاب لمعلوماته الخاصة فيما بعد على انفراد فى الحجرة التى تم إعدادها الآن، فى انتظاره.

إلا أن كارل لم يكن يكنُّ أية مشاعر ليوهانا بزومر، وتذكرها ثانية وهو يعود بذاكرته إلى الماضى الذى تلاشى الآن.. تذكرها وهى تجلس فى مطبخها إلى جوار منضدة المطبخ تعتمد بكوعها على سطحها.. كانت تتطلع إليه كلما دخل المطبخ لكى يملاً كوباً من الماء لوالده، أو يقوم بأداء طلب لوالدته. وكانت هى تجلس أحياناً بلا مبالاة إلى أحد جوانب المنضدة تكتب خطاباً، أو ترسم ملامح وجه كارل من مخيلتها، وفى أحيان أخرى كانت تجلس وهى تخفى وجهها بيدها ولا تكاد تعى شيئاً مما يقال لها .. . .

كانت تركع فى أحيان أخرى داخل حجرتها الضيقة الملاصقة للمطبخ مستغرقة فى الابتهاال أمام صليب خشبي، وكان كارل يشعر بالخجل عندما كان يمر بها، أو يلمحها من خلال فتحة الباب الموروب. .. كانت تحدث ضوضاء مزعجة أحياناً بداخل المطبخ. .. تتراجع وهى تضحك كالمخبولة، عندما كان كارل يقترب منها، وفى مرات، كانت تغلق باب المطبخ فى إثر دخول كارل وتقبض بيدها على أكرة الباب، ولا تسمح له بالخروج حتى يظل يتوسل إليها طالباً منها أن تسمح له بالخروج فى أوقات أخرى كانت تحضر له أشياء لم يكن فى حاجة إليها وتدسها فى يده.. فى صمت. وذات مرة نادته قائلة: «كارل» وبينما كان يقف متحيراً فى أمر هذه الألفة المفاجئة، سحبته إلى غرفتها.. وكانت تتنهد، وتزم - فى قلق - ملامح وجهها، ثم .. أغلقت الباب خلفه، وطوقت عنقه بذراعيها فى عنف حتى أوشك على

الاحتناق، وحينما كانت تسأله إن كان عليها أن تخلع ثيابها، كانت قد خلعت ملابسها هو بالفعل بيديها، وأرقدته فى فراشها، كما لو كانت قد عازمت على ألا تتركه لأى مخلوق آخر، و.. على أن تحنو عليه، وتدله.. إلى الأبد .. ثم صاحت قائلة : «كارل .. كارل يا عزيزى»، وبدت عيناها وكأنيهما قد أوشكتا على افتراسه، بينما لم تثبت عيناها على أى شىء مطلقا وكان يشعر بالضيق، وهو غارق فى كومة الملابس التى بدا وكأنيها كانت قد كومتها من أجله هو وحده.. ثم استلقت إلى جواره، وطلبت إليه أن يسر لها بشىء، لكنه لم يستطع أن يقول لها شيئا، فتظاهرت بالغضب، سواء كان ذلك على سبيل المزاح، أو أنها كانت قد غضبت منه بالفعل، وراحت تهزه، وتتسمع إلى دقات قلبه.. وأدنت صدرها منه حتى يتمكن من الاستماع بدوره إلى خفقات قلبها أيضا، إلا أنها لم تنجح فى أن تحمله على الاستماع إلى أى شىء، ثم .. ضغطت بطنها العارية إلى جسده، وتحسست ساقيه بأصابعها بصورة مقرزة، حتى لقد حاول أن ينهض رافعا رأسه وعنقه عن الوسائد.. ثم ضغطت جسدها إلى جسده.. بدت كما لو كانت قد أصبحت جزءا منه، وربما لهذا كان قد تملكه شعور جارف بالحنين، و... عاد أخيرا إلى فراشه، ودموعه تنهمر فوق خديه، بعد محاولات متعددة قامت بها، لتعود به مرة أخرى إلى داخل حجرتها.. .. كان هذا هو كل ما حدث، إلا أن خاله قد استطاع أن يحيل ذلك الحادث إلى أسطورة، و.. يبدو أن الطباخة كانت مشغولة تماما به، وأنها أخبرت خاله بوضوله، ولقد كان هذا خير ما قامت به فى سبيله، وسوف يبحث هذا الأمر فيما بعد، لو أمكنه أن يفعل ..

و.. صاح السيناتور: - و .. الآن .. أرجو أن تخبرنى بصراحة، عما إذا كنت خالك أم لا ..

فأجابه كارل وهو يقبل يده ويتلقى منه قبلة فوق حاجبيه قائلا - أنت خالى وإننى فى غاية السعادة لعثورى عليك، غير أنك تكون مخطئا لو اعتقدت أن والدى ووالدى يتحدثان عنك بالسوء وعلى أية حال فلقد وصلتك نقاط عديدة مغلوطة فى ثنايا القصة التى بلغتك، وأعنى أن الأمر لم يحدث فى الواقع بتفاصيله كلها على ذلك النحو، إلا أنك لا تتوقع بالطبع أن تدرك على نحو بالغ الدقة أمورا تجرى فى مكان بعيد كل هذا البعد ولا يخيل لى أن ضررا ما من الممكن أن يصيب هؤلاء السادة إذا اتفق لهم أن استمعوا إلى بعض التفاصيل الخاطئة التى تتناثر فى ثنايا حدث لا يهمهم فى شيء!

قال السيناتور - «حديث رائع» وقاد كارل نحو القبطان الذى أبدى له عطفه فى وضوح وسأله - أليس ابن أختى رائعا.

قال القبطان - «إننى سعيد غاية السعادة» وانحنى انحناءة نمت عن دقة تدريبه العسكرى.. «بالالتقاء بابن أختك يا سيدى السيناتور، ولقد حظيت باخرتى بشرف الاستئثار بهذا المشهد الذى انتهى «بجمع الشمل» وتم فى داخلها إلا أن الرحلة فى ذلك الجزء الخلفى من الباخرة لم تكن رحلة طيبة بالمرّة ذلك لأن مختلف أنواع الناس بالطبع يسافرون فى ذلك المكان ونحن نبذل أقصى جهد يسعنا أن نبذله لتوفير الراحة الممكنة لركاب هذا الجانب من الباخرة، بصورة تعضل كثيرا، ما توفره الخطوط البحرية الأمريكية من الراحة لمثل هؤلاء المسافرين.. أما عن تحويل السفر فى هذا الجزء من باخرتنا إلى متعة خالصة فشيء لم يسعنا بعد أن نحققه .

قال كارل - «لم يسبب لى هذا المكان أى شرر».

وكرر السيناتور قوله ضاحكا بصوت مرتفع .. لم يسبب له هذا المكان أى ضرر.

وأكمل كارل قائلا - .. فيما عدا إننى أخشى أن أكون قد فقدت صندوقى . وبذلك تذكر كل ما مر به وما تبقى أمامه ليفعله... وتطلع حوله فرأى الآخرين مازالوا يقفون فى أماكنهم صامتين تغلبهم الدهشة وتتم نظراتهم عن التبجيل وأعينهم مثبتة عليه .. موظفا الميناء وحدهما لقسوتهما ووجهيهما اللذين يقطران اعتزازا واضحا بالنفس هما اللذان أظهرتا شيئا من الأسف لحضورهما فى هذا الوقت غير المناسب، وربما كانت الساعة التى استقرت أمامهما على المائدة، أكثر أهمية بالنسبة إليهما من أى شىء آخر حدث فى هذه الحجرة، أو قد يحدث.

وكان أول من عبر عن شعوره بعد القبطان - وهو أمر غريب - هو العطشجى، الذى قال .. - إننى أهنئك قلبيا .. وشد على يد كارل ووشت حركته تلك، بشىء من الاعتراف بالفضل، لكنه عندما توجه إلى السيناتور بنفس كلماته التى وجهها إلى كارل، انسحب السيناتور متراجعا إلى الخلف، كما لو كان العطشجى قد بالغ فى تجاوز حدوده، فعدل العطشجى فى الحال عن نيته .

وأدرك الآخرون الذين كانوا قد شهدوا الآن ما انتهى إليه الحال، واجبههم فتجمعوا حول كارل والسيناتور فى حلقة صاخبة..

وهكذا قدر لكارل أن يتلقى بالفعل تهانى شوبال، وتقبلها، وشكره على مشاعره، وكان آخر المهنيين هما موظفا الميناء، اللذان قالوا كلمتين لا أكثر بالإنجليزية، كان لهما تأثير يبعث على الضحك ..

وأحس السيناتور برغبته فى ارتشاف آخر قطرة من المتعة التى أتاحتها له الموقف، فشرع فى تنشيط ذهنه وأذهان الآخرين بالإسهاب فى ذكر التفاصيل الثانوية التى تتعلق بالحادث ولم تقابل هذه التفاصيل بأى نوع من أنواع الضجر، بل قوبلت بالطبع من الجميع بقدر كبير من الاستحسان

والاهتمام وعلى هذا فقد ذكر لهم أنه كان قد خط فى مفكرته - حتى يتسع أمامه المجال للبحث فى حالة الضرورة - ملامح ابن أخته، وصفاته المميزة، كما أوضحتها الطباخة فى خطابها، وعندما بدأ يشعر بالضيق الذى سببه له هياج العطشجى، أخرج مفكرته، لجرد أن يسلى نفسه بتصفحها، ثم راح يقارن - لمتعته الخاصة - الأوصاف التى ذكرتها الطباخة، تلك الأوصاف التى لم يكن نصيبها من الدقة مما يرضى عنه مطلقا، أى رجل من رجال المباحث واستغرق فى مقارنتها بملامح كارل عندما واجهه.. و.. هذه هى الطريقة المثلى للعثور على ابن أخت .. قالها السيناتور فى زهو كما لو كان يرغب فى تلقى المزيد من التهانى ..

تساءل كارل قائلا - «ما الذى سيحدث الآن للعطشجى»، متجاهلا ملاحظات خاله الأخيرة. كان قد تخيل فى وضعه الراهن، أن فى إمكانه أن يقول كل ما يطرأ على باله.

وأجاب السيناتور قائلا: «سوف ينال العطشجى ما يستحقه من جزاء. وهو الجزاء الذى يراه القبطان مناسبا وأعتقد أننا قد نلنا كفايتنا. بل وأكثر من الكفاية عن موضوع العطشجى.. بالإضافة إلى أن هذا هو ما لا يختلف عليه أحد من السادة الموجودين هنا دون شك».

وقال كارل: «إلا أن هذا ليس هو لب الموضوع. عندما يتعلق الأمر بالعدالة.

كان كارل يقف بين خاله من ناحية وبين القبطان من الناحية الأخرى.. ولعله كان قد أدرك دوره، فى المكان الذى كان يقف فيه فقد كان يحاول تحقيق شئ من التوازن بينهما.

إلا أن العطشجى كان يبدو وكأنه قد فقد الأمل.. كانت يدها مدسوستين إلى منتصفهما فى حزام بنطلونه. حيث بدا حجمهما بالإضافة إلى الجزء

الأسفل من السترة العازلة. الذى كان قد تهدل فوق الحزام. كتلة ضخمة بارزة، بصورة لافتة للنظر، فى أثناء انهماكه فى حملته المهتاجة. إلا أن ذلك مما لا يؤبه به مطلقا. لقد كشف لهم بؤسه الداخلى. فلينبطقوا الآن إذن إلى الخرق البالية التى تستر جسده أيضا ويمكنهم بعد ذلك أن يلقوا به إلى الخارج.

وكان قد استقر فى ذهنه أن شوبال سيقدم إليه هذه الخدمة الأخيرة.. بمعبونة المساعد. فقد كانا أقل الرجال الموجودين بداخل الحجرة أهمية، وسوف يهنا شوبال بالراحة حينئذ حيث لا يعود هناك وجود لمن يدفعه إلى «اليأس التام» على حد تعبير أمين الحسابات.. ويصبح فى وسع القبطان أيضا أن يكس فى باخرته حشودا من عمال رومانيا.. وتصبح اللغة الرومانية هى اللغة السائدة فى الباخرة كلها. ولعل الحال أن يصبح عندئذ على أتم ما يرام.. فلن يكون هناك عطشجى ليتسبب بعد فى ازعاج مكتب الإدارة بهياجه! على أن آخر ما قام به من جهود سيظل باقيا، على الأغلب، كذكرى ودية. بعد أن أعلن السيناتور فى وضوح. أن الضيق الذى أصابه كان هو السبب المباشر فى تعرفه على ابن أخته. ولقد حاول ابن الأخت أكثر من مرة أن يقدم له يد المساعدة بالفعل. وعلى هذا فقد أتاح له مقدما لقاء خدماته جزاء يتعداه بكثير. هو مشهد هذا اللقاء!.. ولم يفكر العطشجى حتى فى أن يطلب شيئا آخر منه الآن ذلك أنه حتى وإن كان ابن أخت سيناتور. فقد كان لا يزال بعيدا عن أن يكون قبطانا. ولم يكن الحكم القاطع ليخرج إلا من فم القبطان!..

وبينما كان العطشجى مستغرقا فى مثل هذه الأفكار. حاول جاهدا ألا ينظر نحو كارل. رغم أنه - لسوء حظه - لم يكن يجد شخصا آخر سواه يمكن ألا تقضى عيناه لرؤيته فى هذه الحجرة المليئة بالخصوم.



قال السيناتور لكارل : لا تسيء فهم الموقف. فربما كانت هذه المسألة مسألة عدالة إلا أنها فى الوقت نفسه مسألة نظام أيضا. وكلا الأمرين على هذه الباخرة. وخاصة الأخير.. يتوقفان على تقدير القبطان».

غمغم العطشجى الذى كان قد سمعه وأدرك ما يعنيه قائلا وهو يبتسم فى جهد.

- «هذا صحيح!»-

- «إلا أننا قد قمنا بالفعل. لفترة طويلة للغاية. بتعطيل القبطان عن أداء واجباته الرسمية التى لابد له من القيام بها الآن، وقد وصل إلى نيويورك، وقد حان الوقت الذى يجب علينا فيه أن نسرع بمغادرة الباخرة. بدلا من إضافة خطأ آخر إلى أخطائنا بالتدخل دون مبرر إطلاقا فى هذا الخلاف البسيط بين اثنين من الميكانيكيين فنخلع عليه بذلك كثيرا من الأهمية، إننى أدرك تمام الإدراك وجهة نظرك يابن الأخت العزيز. وهذا الإدراك يتطلب منى أن أسرع بإبعادك فوراً عن هنا!».

قال القبطان - «سأمر بإعداد قارب لكما فى الحال!» دون أن يعترض على ما قاله السيناتور مطلقا. لدهشة كارل الشديدة. حتى لقد بدا له أن خاله قد امتهن نفسه. واندفع أمين حسابات الباخرة مسرعا إلى متصدته وأبلغ أمر القبطان إلى البحارة!

وقال كارل لنفسه «لم يكذب ببقى شيء من الوقت. إلا أننى لا يمكننى أن أفعل شيئا دون أن أتسبب فى غضب الجميع. ولا يمكننى فى الحقيقة أن أترك خالى الآن فى نفس اللحظة التى عثر فيها على، إن القبطان شخص مؤدب دون شك. إلا أن أديه هذا سرعان ما يتلاشى عندما يتعلق الأمر بمسألة النظام. كما أن خالى لاشك قد قصد ما قاله. ولست أرغب فى أن

أتحدث إلى شويبال. وإننى ليؤسفنى حتى مصافحته. أما بقية الموجودين هنا فلا شأن لهم بالأمر».

وحينما كان يفكر على هذا النحو. تقدم فى ببطء نحو العطشجى وجذب يد الرجل اليمنى من حزامه. وضغط عليها فى رفق بين راحتيه.

سأله قائلاً: «لماذا لا تقول شيئاً لماذا تراجعت عن كل محاولة».

لم يجب العطشجى.. بل عقد حاجبيه. كما لو كان يبحث عما ينبغى عليه أن يجيب به. وبينما كان مستغرقاً فى ذلك. خفض عينيه .. ونظر إلى يده المستقرة بين راحتي كارل.

- «لقد لقيت معاملة ظالمة. لم يلحقها أى شخص آخر سواك على هذه الباخرة. إننى أعلم هذا تمام العلم» وحرك كارل أصابعه بين أصابع العطشجى إلى الخلف وإلى الأمام.. بينما تطلع العطشجى حوله وقد تألقت عيناه. كما لو كانت نفسه قد أفعمت بسعادة غامرة. لايمك أن يحسده عليها أحد.

- «وعليك الآن أن تتأهب للدفاع عن نفسك أحب بنعم. أو بلا..

- وإلا فلن يتاح لهؤلاء الناس أدنى فكرة عن الحقيقة. عليك أن تعدنى بأنك ستفعل ما أقوله لك، ذلك إننى أخشى ولدى من الأسباب ما يحملنى على ذلك أنه لم يعد فى مقدورى أن أقدم لك بعد. يد المساعدة.. ثم انفجر كارل باكية بعد ذلك. وقبّل يد العطشجى ساحباً تلك اليد المتشقة المتراخية لحظتها فى وهن. وضغطها على خده وكأنها كنز يوشك على أن يتخلى عنه إلا أن خاله السيئاتور كان قد أسرع الآن إلى جانبه، وجذبه. مبتعداً به برفق. لكن بحزم .

قال السيئاتور وهو يبادل القبطان نظرة خبيرة من فوق رأس كارل.

- «يبدو أن العطشجى قد ترك أثرا سحريا فى نفسك. لقد شعرت .. بالوحدة. ثم وجدت العطشجى.. وأنت مدين له بالكثير الآن. لا بأس بهذا كله. إننى أؤكد لك. لكننى أرجوك. ولو من أجلى. ألا تشتت مرة أخرى على هذا النحو. وتعلم أن تدرك وضعك!».»

ارتفع الصخب خارج الباب. كانت قد انبعثت صيحات. بدت مرتفعة كما لو كان شخص ما قد راح يفتح الباب فى عنف. ودخل بحار فى حالة مضطربة. مشعثا. وحول وسطه تلتف مريلة فتاة صاح قائلا وهو يثنى كوعيه كما لو كان لايزال يشق طريقه وسط الزحام: «يوجد حشد كبير منهم فى الخارج..» - ثم تاب فجأة إلى رشدة. وحيا القبطان. ولكنه لحظ المريلة المشدودة إلى وسطه عندئذ فنزعها وطوح بها إلى الأرض. وصاح: لقد تجاوزوا حدودهم، لقد شدوا حول وسطى مريلة فتاة، ثم دق كعبيه معا. وأدى التحية للقبطان. وشرع شخص ما فى الضحك. إلا أن القبطان صاح فى عنف: «تبدو الحال فى صورة بديعة للغاية. من الخارج؟».

تقدم شوبال خطوة إلى الإمام قائلا «إنهم شهودى أرجو عفوك يا سيدى عن سلوكهم الشائن. إن الرجال يفقدون صوابهم أحيانا. عندما يصلون إلى نهاية إحدى الرحلات».

فأصدر القبطان أمره قائلا: «أدخلهم إلى هنا». ثم استدار ناحية السيئاتور على الفور فى أدب لكن فى عجلة:

«هل تفعل خيرا الآن يا سيدى السيئاتور. بأن تصحب ابن شقيقتك وتتبع ذلك الرجل. الذى سيرشدك إلى القارب المعد لك. لست بحاجة إلى توضيح مدى السرور والشرف. الذى حظيت به. بتعرفى بك. وأود فقط. يا سيدى السيئاتور. أن أنتهر أقرب فرصة لاستئناف حديثنا الذى لم يتصل

عن حالة الأسطول الأمريكى. وأرجو أن يقطع حديثنا مرة أخرى أيضا.  
حدث آخر سار».

ورد خال كارل قائلا وهو يضحك «يكفينى ابن أخت واحد. أؤكد لك  
والآن تقبل تحياتى الحارة على كرمك. وإلى اللقاء. وأضيف أنه ربما لا يكون  
من المستبعد أن تتاح لنا فرصة طويلة للقاء. فى أثناء رحلتنا المقبلة. إلى  
أوروبا». بينما طوق كارل بذراعه فى حرارة.

فأجاب القبطان قائلا «سيسرنى ذلك غاية السرور». وصافح السيدان  
بعضهما بعضا. ولم يكد كارل يتمكن إلا من أن يلمس يد القبطان مسرعا.  
فى صمت. ذلك أن انتباه الأخير. كان قد شغله بالفعل الخمسة عشر  
شخصا الذين أصبحوا الآن فى داخل الحجرة يقودهم شوبال، وقد تم  
تعنيفهم فيما يبذون، إلا أنهم لا يزالون رغم ذلك يصخبون صخبا شديدا.

وطلب البحار من السيناتور أن يأذن له فى أن يتقدمهما. وأفسح له  
ولكارل ممرا خلال الجمع المحتشد. حتى تمكنا فى يسر من الخروج بين  
صفين من الرجال الذين انحنوا لهما.

ولقد بدت على هؤلاء الأشخاص فى وضوح الخفة التى كانوا ينظرون بها  
إلى هذا النزاع. بين شوبال والعطشجى فلم ينظروا إلى هذا النزاع إلا على  
أنه مجرد هزل. ولم يكن حتى وجود القبطان ليفلح فى فرض شىء من الجد  
على سلوكهم.

ولح كارل بينهم فتاة المطبخ التى تدعى - لينا - والتى غمزت له الآن فى  
خبث. بينما كانت تشد إلى وسطها تلك المريلة التى كان البحار قد قذفها  
إلى الأرض، فقد كانت مريبتها.

وبينما كانا يتبعان البحار. تركا الممر وتحولا إلى ممر صغير أدى بهما  
بعد خطوتين إلى باب صغير. هبط منه سلم صغير يوصل إلى القارب الذى

كان فى انتظارهما. وأصبح البحار الذى كان يتقدمهما فى داخل القارب بقفزة واحدة. ونهض البحارة الذين كانوا فى القارب واقفين وأدوا التحية. وكان السيناتور لاحظتها ينبه كارل إلى كيفية الهبوط إلى أسفل. عندما انخرط كارل، الذى كان قد توقف فوق أعلى درجات السلم فجأة فى نهضة عنيفة، ووضع السيناتور يده اليمنى تحت ذقن كارل. وجذبه إليه. وربت عليه بيده اليسرى. وهبط السلم فى وضعهما هذا درجة درجة. وهما ملتصقان ببعضهما البعض. ودخلا القارب حيث وجد السيناتور مكانا مريحا لكارل يواجه مباشرة. وبإشارة من السيناتور دفع البحارة بالقارب بعيدا عن الباخرة، من ثم انطلقوا فى التجديف بأقصى سرعة!

لم تكن تفصلهم سوى بضع ياردات قليلة عندما اكتشف كارل، على غير توقع أنهم كانوا فى الجانب الذى تطل عليه نوافذ حجرة الإدارة الثلاث. كانت النوافذ الثلاث تمتلئ بشهود شوبال. الذين حيوهما. ولوحوا لهما بأيديهم فى ود بالغ، ولوح الخال جيكوب بالفعل لهم بيده إلى الخلف وأظهر أحد بحارة القارب براعته.. بأن طير بأصابعه قبلة نحو الياخرة دون أن يخل بإيقاع تجديفه المنتظم، وبدا الآن وكأنه لم يوجد بالفعل أى عطشجى بالمرّة. وتطلع كارل بإمعان شديد إلى خاله الذى كانت ركبتاه تكاد تلمسان ركبتى كارل وخامره الشك فى قدرة هذا الرجل على أن يملأ مكان العطشجى. أزاغ خاله بعينيه. وحدق بهما فى الأمواج التى كان قاربهما يهتز فوقها.

## الفصل الثانى

### الخال جيكوب

اعتاد كارل سريعا أسلوب حياته الجديدة فى منزل خاله، وكان خاله قد استجاب فى الحقيقة لأقل رغبة من رغباته، فلم يعد كارل مجبرا على أن يتعلم من خلال التجربة المرة التى غالبا ما ترهق المرء عند بداية تعرفه على بلد من البلدان الأجنبية.

وكانت غرفة كارل تقع فى الطابق السادس من عمارة كانت أعمال خاله تشغل طوابقها الخمسة الأخرى بالإضافة إلى طوابق ثلاثة أخرى كانت تقع فى أسفل العمارة. وكانت حجرته ساطعة الضوء بنافذيتها وبابها الذى يفتح على إحدى الشرفات، حيث كانت الدهشة البالغة تأخذه كل صباح عندما كان يخرج إلى تلك الشرفة ناهضا من فراشه الصغير!

غرفة ربما لم يكن ليحل بمثلها مطلقا لو أنه كان قد نزل هذا البلد كمهاجر صغير معدم، فضلا عن احتمال عدم التصريح له بدخول الولايات المتحدة مطلقا تبعا لتقدير خاله الذى كان على دراية بقوانين الهجرة بل أنه ربما كان قد أجبر على العودة ثانية إلى وطنه، دون اعتبار مطلقا لحقيقة أنه كان قد أصبح بلا وطن.

كان التعاطف شيئا لا يصح لك أن تأمل فيه فى بلد كهذا وكانت أمريكا تتفق فى هذا الصدد تماما مع ما كان كارل قد قرأه عنها ماعدا شيئا واحدا هو أن هؤلاء الذين واتاهم الحظ فيها كان يبدو عليهم أنهم ينعمون هنا بحظهم مختالين بأنفسهم بين أصدقائهم الذين لا يزالون بشيء.

كانت ثمة شرفة خارجية ضيقة تمتد بطول حجرة كارل. لكن ماهى ميزة ذلك المكان المرتفع المتميز الذى لايتيح له رؤية أكثر من منظر شارع واحد فحسب يمتد مستقيما بين صفين من المباني التى تتخذ أشكالا مربعة ويبدو لهذا وكأنه يهرب مبتعدا إلى حيث تتبدى خطوط إحدى الكاتدرائيات التى تبدو هائلة الحجم وسط ضباب متكاثف! ومنذ الصباح حتى المساء ثم فى قلب الليل الحالم بعد ذلك كان ذلك الشارع يبقى دائما مجرى لتيار قلب دائم من الحركة، كانت تبدو له من أعلى مضطربة معقدة، تبدو فيها هياكل كل الناس، فى كل لحظة هياكل مضغوطة وحولها سطوح جميع أنواع المركبات التى ترسل إلى الفضاء ضجيجا آخر أشد إسرافا وتعقيدا من ضجيج حركة الشارع، وتتصاعد الأتربة والروائح جميعا وتنتشر فى فيضانات من الأضواء التى ترسلها مختلف الأشياء التى يعج بها الشارع، ترتفع هذه الضجة كلها، ثم تعود فتراجع لتتجمع فى عنف مرة أخرى، فترهق العين المبهورة التى ترى هذا الاختلاط كما لو كان سطحا من الزجاج يغطى أعلى الشارع ويتهشم فى عنف متناثرا إلى شظايا فى كل لحظة.

كانت عيناه مفتوحتين على كل شىء وكان خاله جيكوب قد نصحه بالآخذ شيئا فى الوقت الحاضر مأخذ الجد، ليتفحص كل شىء بالفعل ويأخذه فى اعتباره لكن دون أن يجهد نفسه. إن الأيام الأولى لأى أوروبى فى أمريكا تبدو كما لو كانت ميلادا جديدا ولم يكن كارل يحاول أن يشغل نفسه كثيرا بأمر أيامه الأولى هذه دون داع ما دام المرء يعتاد على الأشياء هنا بسرعة أكبر من سرعة اعتياد الطفل القادم إلى الدنيا من العالم الآخر لهذه الأشياء إلا أن عليه أن يضع نصب عينيه أن الأحكام الأولى لا يعول عليها دائما ولهذا فلا يجب على المرء أن يسمح لها بالتأثير على أحكامه المقبلة التى سوف تركز عليها فى نهاية الأمر حياته فى أمريكا، ولقد عرف

هو شخصيا وافدين جددا، منهم على سبيل المثال، من نبذوا هذه الافتراضات الحكيمة وراحوا ينفقون أيامهم بطولها فى شرفاتهم يحدقون منها نحو الشارع فى أسفل كالقطعان الضالة. ربما كان استغراقه وحيدا على هذا النحو فى التحديق المتبذل نحو الحياة المتشابكة لنيويورك يسبب له حيرة بالغة.. إلا أن هذه الحيرة لو تملك شخصاً وفد إلى أمريكا لمجرد المتعة فلعلها تملكه فى حدود لا تتعداها. أما أن تمتلك شخصاً ينوى البقاء فى هذه الولايات فلا معنى لها عندئذ سوى أنها أداة تدمير فحسب، وهو لفظ مؤثر بلا داع، ولعله ينطوى أيضا على شىء من التهويل، وكان الجال جيكوب فى الحقيقة يكشر فى ضيق كلما وجد كارل واقفاً فى الشرفة حين يكون فى زيارة من زيارته لكارل، تلك الزيارات التى كانت تحدث مرة فى كل يوم وفى أوقات مختلفة من النهار، وقد لاحظ كارل ذلك سريعا وكان لهذا يحرم نفسه بقدر الإمكان من متعة الوقوف لفترات طويلة فى الشرفة ومع ذلك فقد كانت هذه هى المتعة الوحيدة التى كانت فى متناول يده. وكان فى غرفته مكتب ذو تصميم رائع على الطراز الأمريكى، نفس المكتب الذى ظل والده لسنوات طويلة يحلم بالحصول على مثله محاولا الحصول عليه بثمان رخيص من كل أنواع المزادات دون أن يوفق مطلقا نظرا لضالة دخله. هذا المكتب، لم يكن يربطه بالطبع أى وجه من وجوه المقارنة بذلك الذى كان يطلق عليه مكتب أمريكى الطراز فى مزادات أوروبا، فهو يحتوى مثلا على ما يقرب من مائة درج من مختلف الأحجام، حيث كان يمكن «لرئيس الولايات المتحدة» نفسه أن يجد مكانا مناسباً لكل ملف من ملفات الرسمية، وكان يوجد بالإضافة إلى هذا «منظم» فى أحد الجوانب، فلو أدرت مقبضا ما، أمكنك أن تحدث وضعا لكل هذه الأدرج غاية فى التعقيد، ويمكنك أن تقوم بتبديل الأدرج على سبيل التسلية، أو لكى تتناسب مع حاجتك وتغطس



هذه المكعبات فى ببطء لتشكّل أساس مجموعة جديدة أو قمة الأدرّاج المتدرّجة من أسفل إلى أعلى، وحتى بمجرد إدارة المقبض مرة أخرى، فإن ترتيب كل شيء يتغيّر تغيّراً تاماً، ويتمّ التحوّل بصورة بطيئة، أو فى سرعة محمومة تبعاً لدرجة ضغطك على المقبض عند إدارته، لقد كان هذا المكتب اختراعاً جديداً كل الجدة وأنه ليذكر كارل تماماً بمنظر الكريسماس التقليدى الذى كان يعرض على الأطفال المذهولين فى ساحة السوق فى بلده حيث يذكر نفسه أيضاً، وقد تدثر جيداً بملابسه الشتوية، وتوقف مستعبداً فى أغلب الأحيان، يحاول عن كثب أن يقارن حركة المقبض الذى كان يديره رجل عجوز، بتغيّر المنظر، تقدم الملوك المقدسين الثلاثة مترنحين وإشعاع النجم، صورة المذود المقدس المتواضعة.

ولقد بدأ له دائماً أن والدته عندما تقف خلفه لم تكن تتابع تفاصيل هذه المشاهد بانتباه كافٍ. فكان يسحبها لتلتصق به حتى يشعر بها تضغط على ظهره ويصيح بأعلى صوته، ويظلّ يحدد لها كل ما يلاحظه على المناظر، ربما أرنوب بوى صغير بين العشب فى مقدمة المنظر جالساً على ساقيه الخلفيتين، ثم ظلّ رابضاً وكأنه يتحفّز للانفداع ثانية حتى تغلق أمه فمه بيدها ثم تعود فيما يبدو إلى سابق حالها من الشرود، لم يكن المكتب قد صنع لمجرد أن يذكره دون شكّ بمثل هذه الأشياء لكن لا بد أن تكون قد وجدت علاقة غامضة ما فى تاريخ اختراعه شبيهة بتلك العلاقة التى انبعثت من ذاكرة كارل. ولم يكن الخال جيكوب على عكس كارل راضياً عن هذا المكتب بالذات كان يريد أن يشتري مكتباً كامل المعدات من أجل كارل لكن كانت كل المكاتب فى هذه الأيام مجهزة بتلك الأجهزة الحديثة التى تتميز أيضاً بإمكان أن تتحوّل إلى مكاتب من الطراز القديم بنفقات لا تكاد تذكر وعلى كل حال قلم ينس خاله أن ينصحه بالأى يستعمل المنظم «مطلقاً» .

وقد شفع نصيحته بالإشارة إلى حساسية «المنظم» البالغة وسهولة إصابته بالعطب وارتفاع تكاليف إصلاحه ثانية! ليس من الصعب أن يتبين المرء أن هذه الملاحظات كانت مجرد إدعاءات ومع أن الخال جيكوب كان يمكنه أن يغلق «المنظم» إلا أنه لم يفعل ذلك.

وفى الأيام القلائل الأولى التى أتيج لكارل وخاله أن يتبادلا خلالها عديدا من الأحاديث. ذكر كارل أنه كان مغرما فى وطنه بالعزف على البيانو مع أنه لم يمارس العزف عليه كثيرا، ولم يتلق دراسات فى العزف عليه فيما عدا تعليمات والدته الفطرية وكان كارل واعيا تمام الوعى أن تطوعه بهذه المعلومات، كان فى الحقيقة طلبا لبيانو، ولهذا حدق لحظتها بعينيه فى خاله حتى اتضح له أن خاله يمكن أن يكون مسرفا إلى حد ما، ولم ينفذ هذا الاقتراح فى الحال. لكن بعد مرور حوالى ثمانية أيام، قال خاله له كما لو كان يصرح له بموافقة يصعب عليه إعلانها. أن البيانو قد وصل الآن ويمكن لكارل لو شاء أن يشرف على نقله.. ولقد كان ذلك أمرا هينا جدا وإن لم يكن أهون من عملية نقل البيانو نفسها فقد كانت العمارة تحتوى على مصعد خاص لنقل العفش، يمكن أن يتسع لحمولة عربية كبيرة ممثلة بالأثاث، وفى داخل هذا المصعد ارتفع البيانو إلى حجرة كارل. وكان فى وسع كارل أن يصعد هو أيضا مع البيانو والعمال فى نفس المصعد. لكن كان ثمة مصعد آخر عادى، خال إلى جواره تماما .

وهكذا استعمل كارل هذا المصعد الأخير فى صعوده، محتفظا بنفسه دائما على نفس ارتفاع المصعد الآخر، باستخدام رافعة ما، وكان يحدق فى تركيز من خلال المربعات الزجاجية نحو الجهاز البديع، الذى كان قد أصبح ملكا خاصا له الآن! وعندما أصبح البيانو أخيرا فى داخل حجرته، وعزف عليه النوتة الأولى، كان قد بلغ به الفرح الأحمق أقصاه، حتى أنه قفز واقفا،

بدلا من مواصلة العزف ويدها على خاصرتيه وراح يحدق إلى البيانو فى طرب، على بعد عدة خطوات، كان الصوت فى الحجرة يرن على نحو رائع وقد تمكن من أن يزيل من نفس كارل شعوره بعدم الارتياح الذى أحس به لأنه يعيش فى عمارة مبنية من الصلب ولم يكن المرء يرى فى الحقيقة أى أثر للصلب فى داخل الحجرة نفسها على الرغم من منظر المبنى الخارجى كما لم يكن فى وسع المرء أيضا أن يكتشف أقل تنافر فى أثاثها لاينسجم مع الكل.

ولقد علق كارل فى البداية آمالا كبيرة على عزفه على البيانو، وكان يحلم أحيانا، بلا حياء قبل أن يغلبه النوم على الأقل، باحتمال تأثير عزفه على البيانو تأثيرا مباشرا على حياته فى أمريكا وعندما فتح نوافذه، ودخلت حجراته ضوءا الشارع كان من الغريب حقا أن يسمع على البيانو أغنية قديمة من أغاني الجيش فى بلده، حيث يتمدد الجنود فى إحدى الليالى عند نوافذ الثكنات ويحدقون فى مربع من الضوء فى الظلام فى الخارج، ويغنون لبعضهم البعض من نافذة إلى أخرى.. لكن الشارع يبقى كما هو دون تغيير، لو نظر كارل إليه بعد ذلك يبقى عبارة عن جزء صغير فى ترس هائل لايمكن أن تلمسه يد قبل أن يدرك المرء تماما كل القوى التى تتحكم فى مداره، ولقد أباح الخال جيكوب العزف على البيانو ولم يتفوه بكلمة واحدة تعبر عن عدم ارتياحه بذلك، وخاصة أن كارل كان يستغرق فى العزف عليه عندما يكون وحيدا تماما، ولقد أحضر لكارل بالفعل نوتات بعض المارشات الأمريكية، وبينها السلام الوطنى، إلا أن حب كارل الخالص للموسيقى لم يفلح فى أن يفسر له معنى ذلك السؤال الذى وجهه لكارل ذات يوم عندما سأله فى جدية تامة، إن كان فى نيته أن يتعلم العزف على الفيولينة أو النفخ فى البوق أيضا.

وكان تعلم اللغة الإنجليزية هو أول وأهم واجبات كارل، وكان مدرس شاب فى إحدى الكليات التجارية المجاورة، يحضر فى الساعة كل صباح إلى حجرته، فيجده عاكفا بالفعل فوق المكتب على كراسات تمريناته، أو سائرا يذرع الحجرة ذهابا وإيابا وهو يحفظ المفردات. وقد أدرك كارل فى وضوح أنه لو أراد أن يتقن اللغة الإنجليزية فليس لديه من الوقت ما يضيعه فى غير العمل، وأدرك أن هذه كانت أيضا أفضل فرصة يمكنه أن ينتهزها ليدخل السرور على قلب خاله، بالتقدم السريع فى الدراسة ومع أنه كان يقصر نفسه فى البداية على استخدام أبسط التحيات، إلا أنه سرعان ما أصبح قادرا على أن يستخدم اللغة الإنجليزية فى أجزاء كبيرة، كانت تتزايد دائما فى أحاديثه مع خاله، حينما كان حديثهما الجياد الراكضة، ولم يكن من الممكن أن يرى المرء سوى ذراع مالك المرفوعة عندما كان يشير بأوامره إلى كارل، وبعد انقضاء نصف الساعة المفعمة بالمتعة، التى تنقضى كالطم، كان يعلن التوقف، وكان ماك يبدو حينئذ دائما فى عجلة شديدة من أمره، فيقول لكارل إلى اللقاء، وهو يربت على خده عدة مرات كما لو كان قد سره بالفعل أن يشاهد ركوبه، ثم يختفى، ثم يصعد كارل ومدرس اللغة الإنجليزية إلى السيارة، ويعودان إلى دروسهما، خلال الطرق الخالية غالبا، ذلك لأنهما لو دخلا فى حركة المرور التى تتحرك على امتداد الشارع الرئيسى الذى يؤدي مباشرة من مدرسة ركوب الخيل إلى عمارة خاله فإن معنى هذا ضياع وقت طويل، وعلى كل حال، فقد تخلى مدرس اللغة الإنجليزية أخيرا عن القيام بدور الحارس، لأن كارل الذى لام نفسه أشد اللوم لإجبار هذا الرجل المرهق دون مبرر، على مرافقته إلى مدرسة الركوب، وخاصة عندما تبين له أن الإنجليزية التى كان يستعملها فى حديثه مع ماك خلال التدريب،

كانت بضع جمل غاية فى البساطة، توسل لهذا إلى خاله أن يعفى الرجل من القيام بهذا الواجب، وبعد تفكير طويل نزل خاله على رغبته .

ولقد انقضى وقت طويل قبل أن يسمح الخال جيكوب لكارل ببعض المعلومات التى تتصل بعمله، مع أن كارل كان قد سأله طويلا من قبل أن يسمح له بشيء من ذلك. كان عمله نوعا من القومسيون «السمسرة»، والتسهيل أو ما يشبه ذلك، على حسب أدق التخمينات التى توصل إليها كارل، ولعل عمله كان نوعا من العمل الذى لا وجود له فى أوروبا. ذلك لأن العمل لم يكن يتوقف على نقل البضائع من المنتج إلى المستهلك أو التاجر، لكنه كان تداولا لكل أنواع السلع الضرورية، والمواد الخام التى تتداولها الشركات فيما بينها، وبين الاحتكارات الصناعية.. وقد كانت طبيعة العمل تبعا لهذا هى شكل ما من النشاط الذى يتضمن الشراء، والتخزين، والنقل، والاتجار فى الكميات الهائلة من البضائع، كل ذلك فى وقت معا، ولهذا كان لابد أن تتوافر له أقصى درجات الدقة، والاتصالات الدائمة التى لا تنقطع، الاتصالات التليفونية والتلغرافية بكل عملائها المختلفين. ولم تكن صالة عمال التلغراف أصغر، بل كانت أكبر كثيرا من صالة مكتب التلغراف فى مدينة كارل، التى أتيح له ذات مرة أن يلقي عليها نظرة، بمساعدة زميل من زملائه فى المدرسة، كان له من يعرفونه فيها، وكان من الممكن رؤية أبواب أكشاك التليفونات وهى تفتح، وتغلق من أى مكان اتفق للمرء أن ينظر نحوه، بداخل صالة التليفونات، وكانت الضجة بداخلها تكاد تدفع المرء إلى الجنون.. فتح خاله أول باب من هذه الأبواب، ورأى كارل تحت الضوء الكهربائى الساطع، عاملا معزولا تماما عن كل صوت يمكن أن يصدر عن الباب.. تطوق رأسه حلقة من الصلب وتضغط السماعتان على أذنيه. كانت ذراعه اليمنى موضوعة فوق منضدة صغيرة، ويبدو كما لو كانت ثقيلة بدرجة

غريبة، وكانت الأصابع وحدها تمسك بقلم رصاص، مستمر في الارتعاش بانتظام وسرعة لا إنسانيتين وكان مقتضبا في الكلمات التي كان يقولها في «المرسل»، وكان المرء يلاحظ غالبا، أنه رغم ما يبدو عليه من التأهب طالبا رفع الصوت أو راغبا في مزيد من الدقة في المعلومات، فإن الجملة التالية التي يسمعا كانت ترغمه على أن يخفض عينيه، وأن يمضى في الكتابة قبل أن يتمكن من تنفيذ نيته، وعلاوة على ذلك فإنه لم يكن بحاجة إلى أن يقول شيئا، كما أوضح ذلك الخال جيكوب لكارل في صوت طبع، ذلك لأن هذه المحادثة نفسها التي يقوم بها هذا العامل، كانت تجرى في نفس الوقت بواسطة عاملين آخرين، ويمكن بعد ذلك بمقارنة التقريرات المختلفة، تجنب الأخطاء قدر المستطاع. وعندما خرج الخال جيكوب وكارل في تلك اللحظة من الكشك، انسل ساع إلى داخله، وخرج بالمنكرات التي فرغ العامل من تدوينها لتوه، وفي داخل القاعة كان يرتفع ضجيج متواصل يسببه الناس الذين يندفعون هنا وهناك، لم يقل أحد إلى اللقاء، كما أن التحيات كانت ممنوعة، وكان كل واحد يقفو أثر خطوات الذي يسبقه متخذنا نفس الواجهة، مركزا عينيه على الأرض، التي كان عليه أن يقطعها بأسرع ما يمكنه، أو يلقى بنظرة سريعة إلى كلمة، أو علامة هنا أو هناك على الأوراق التي يحملها في يده، والتي يتلاعب بها الهواء في أثناء حركته المسرعة!

- «لقد حققت شيئا خارقا بالفعل!»-

قالها كارل في مرة من المرات التي قام فيها بتجولاته خلال المبنى الذي استغرقه عدة أيام ليجوس في كل أجزائه، حتى ولو لم يكن عليه سوى أن يلقى مجرد نظرة على كل قسم.

- «دعنى أذكر لك أيضا، أننى بدأت في إنشاء هذا كله بنفسى منذ ثلاثين عاما، وكان عملى محدودا في ذلك الوقت، بالقرب من احواض

السفن، ولو تصادف وعهد إلي بتفريغ خمس عبوات فى يوم واحد، فقد كنت اعتبره يوما عظيما، وأعود إلى المنزل منتفخا بالزهو، واليوم تغطى مخازنى ثالث المساحات الكبيرة فى الميناء ومخزنى القديم هو الآن المطعم والمخزن الذى يضم حاجيات الحمالين الذين يعملون لدى، والذين يشكلون خمسا وستين فرقة.

قال كارل: "إن هذا مدهش فى الحقيقة".

وأجابه خاله منهيأ حديثه: "إن التطورات فى هذا البلد سريعة دائما". وذات يوم ظهر خاله فجأة قبل الغداء مباشرة، ذلك الغداء الذى كان كارل يتوقع أن يتناوله وحيدا كعادته وطلب منه أن يرتدى بذلته السوداء فى الحال، وأن يصحبه لتناول الغداء بصحبة اثنين آخرين من اصدقائه فى العمل، وبينما كان كارل يبدل ملابسه فى الحجرة المجاورة، جلس خاله إلى المكتب، وتطلع إلى التمرينات الانجليزية التى كان كارل قد انتهى توا من أدائها، ثم أنزل ذراعه إلى جانبه، وصاح فى دهشة قائلا بأعلى صوته: "مستوى من الدرجة الأولى، حقيقة!".

وواصل كارل ابدال ملابسه فى ارتياح لاشك فيه، عند سماعه هذه الكلمات التى تمتدحه، إلا أنه على كل حال كان قد أصبح الآن واثقا تمام الثقة من انجليزيته.

وفى حجرة طعام خاله، التى مازال يذكرها منذ الليلة الأولى لوصوله، نهض رجلان طويلان متينا البنيان، واقفين، كان أحدهما يدعى "جرين" وكان الآخر، يدعى "بولاندر"، كما اتضح من خلال الحديث اللاحق، ذلك أن خاله لم يكن يتفوه تقريبا بكلمة تتناول أحداً من معارفه، وكان دائما يترك الفرصة لكارل، حتى يكتشف من خلال ملاحظته ما الذى كان هاما، أو مثيرا للاهتمام فى أمرهم، وخلال تناول الغداء، لم يدر بينهم من الحديث

سوى ما يتناول أمور العمل، الذى كان يعنى بالنسبة لكارل درسا ممتازا فى المفردات الانجليزية التجارية، وترك كارل وحيدا لينشغل بأمر طعامه، كما لو كان طفلا، ليس عليه سوى أن يجلس معتدلا وأن يحصر اهتمامه فى إفراغ طبقه، إلا أن مستر جرین مال على المائدة نحوه، وسأله بالانجليزية دون أن يغيب عن باله أن ينطق كل كلمة بأقصى ما يمكنه من الوضوح، ماذا كانت على وجه العموم انطباعاتك الأولى عن أمريكا؟ وبنظرات قليلة جانبية وجهها نحو خاله، أجاب كارل تقريبا إجابة كاملة فى الصمت التام الذى أعقب ذلك السؤال، واستخدم لإرضاء نفسه، وأيضا كنوع من الامتنان عددا من تعبيرات نيويورك المتميزة. واندفع الرجال الثلاثة معا فى الضحك عندما نطق بإحدى الجمل، وخشى كارل أن يكون قد ارتكب خطأ ملحوظا لكن لا، فقد فسر له مستر "بوللاندر" أنه كان قد قال بالفعل لتوه، شيئا غاية فى الظرف. وفى الحقيقة كان المستر "بوللاندر" قد بدا وكأنه قد شغف بكارل بصورة ما بالفعل، وبينما عاد الخال جيكوب، ومستر جرین ثانية إلى التشاور فى شئون أعمالهما طلب مستر "بوللاندر" من كارل أن يقترب بمقعده، وسأله أسئلة لا حصر لها عن اسمه، وعائلته وعن رحلته، وأخيرا، لكى يعطيه فرصة راح فى سرعة، وهو يضحك، ويسعل يحكى له عن نفسه، وعن ابنته التى يعيش معها فى منزل ريفى صغير على مقربة من نيويورك، حيث يقضى فيه أمسياته فقط، لأنه كان مديرا لأحد البنوك، ولأن عمله يفرض عليه التواجد طوال اليوم فى نيويورك، ولقد وجهت لكارل الدعوة بالذهاب إلى المنزل الريفى فى حرارة، ذلك أن أمريكيا حديثاً على هذا النحو، ويفتقر كذلك إلى التجربة لابد أن يكون فى حاجة إلى استحمام من حين لآخر من "نيويورك". وسأل كارل خاله فى الحال، أن يأذن له بقبول هذه الدعوة، فسمح له خاله بذلك فى سرور واضح، وإن يكن دون تحديد وقت



معين أو حتى دون أن يعيرها كثيرا من الاهتمام، كما توقع كارل ومستر "بوللاندر".

لكن فى اليوم التالى، استدعى كارل إلى أحد مكاتب خاله - كان لخاله عشرة مكاتب مختلفة فى هذا المبنى وحده، حيث وجد خاله، ومعه المستر "بوللاندر" مضطجعين تقريبا على نفس الصورة فى مقعدين وثيرين.

قال له خاله: إن مستر "بوللاندر"، الذى كان من الممكن تمييزه فى ظلمة المساء التى كانت تخيم على الحجرة، قد حضر لكى يصحبك معه إلى منزله الريفى، كما قيل بالأمس. فأجاب كارل قائلاً: لم أكن أعلم أن ذلك كان سيتم اليوم، وإلا كنت قد أعددت نفسى لذلك.

فقال خاله: إذا لم تكن على استعداد، فلعله من الأفضل أن تؤجل هذه الزيارة إلى وقت آخر.

وصاح مستر "بوللاندر" قائلاً: وما هى حاجتك إلى الاستعداد، أن الشاب يجب أن يكون مستعداً دائماً لأى شىء.

فقال خاله مستديراً نحو ضيفه: لا يتعلق الأمر به، لكن عليه أن يصعد ثانية إلى حجرته، وسوف يسبب هذا تأخيرك.

فقال مستر "بوللاندر": يوجد متسع من الوقت لهذا، لقد عملت حساب التأخير، وغادرت مكتبى مبكراً.

فقال الخال جيكوب: هل رأيت مدى الاضطراب الذى أحدثته زيارتك الآن بالفعل؟

قال كارل: إننى فى غاية الأسف إلا أننى سوف أكون هنا ثانية فى خلال دقيقة واحدة، واندفع خارجاً.

قال مستر "بوللاندر": لا تتعجل إنك لا تسبب لى أقل ازعاج، بل على العكس، إنه ليسرنى أن تقوم بزيارتى.

- سوف يفوتك درس الركوب غدا .. هل ألغيتَه؟

قال كارل: لا .. لست أدرى .. لقد بدأت هذه الزيارة التي كان يتطلع إليها ترهقه الآن.

وتساءل خاله: وهل تنوى الذهاب على الرغم من ذلك؟

وتدخل مستر "بوللاندر"، ذلك الرجل العطوف، لمساعدة كارل، قائلاً: سوف نتوقف في طريقنا عند مدرسة الركوب، وندبر أمر كل شيء. قال الخال جيكوب: ثمة شيء آخر هو أن "ماك" سيتوقع ذهابك. فقال كارل: إنه لن يتوقع ذهابي لأنه سوف يذهب على كل حال إلى المدرسة.

فقال الخال جيكوب: حسناً إذن، وكأن أجابة كارل لم تكن سوى مجرد حجة واهية.

وتدخل المستر "بوللاندر" مرة أخرى لحل المشكلة، قائلاً: لكن .. كلارا .. كانت كلارا هي ابنة مستر بوللاندر، تتوقع حضوره هي أيضاً وفي هذا المساء نفسه، ولا شك أن لها الأفضلية على "ماك".

قال الخال جيكوب: بالتأكيد .. حسناً، إذن، أسرع بالذهاب إلى حجرتك. وبحركة بدت كما لو كانت حركة لا ارادية، دق عدة مرات على ذراع المقعد، وكان كارل قد أصبح لحظتها عند الباب، عندما أوقفه خاله ثانية بسؤاله:

- بالطبع، ستكون هنا ثانية، غدا صباحاً، لتحضر درس اللغة الإنجليزية.

فصاح المستر "بوللاندر" قائلاً: لكن يا سيدي العزيز، وهو يستدير مندهشاً في مقعده إلى الحد الذي سمحت له بها ضخامته:

- ألا يمكنه أن يبقى معنا على الأقل حتى بعد الغد؟ ألا يمكنني أن أحضره معي في الصباح الباكر بعد غد؟

فرد الخال جيكوب قائلاً: ليس ثمة مجال للسؤال في هذا الشأن، فلا يمكنني أن أسمح بانقطاع دراسته على هذا النحو، وفيما بعد، عندما يتاح له الحصول على وظيفة ثابتة من نوع ما، سأكون مسرورا عندما أتركه يقبل هذا النوع من الدعوات الممتدة لوقت أطول.

وفكر كارل في نفسه قائلاً: "يا له من اعتراض".

واكتأب المستر "بوللاندر" قائلاً: لكن فقط لمدة أمسية واحدة، ليلة واحدة؟ إنها لا تكاد في الحقيقة تستحق العناء.

قال الخال جيكوب: هذا ما أعتقد أنه أيضا.

فقال المستر "بوللاندر": على المرء أن يقبل ما يتيسر له، ثم عاد ثانية إلى الضحك، قائلاً: حسنا .. سأنتظرك .. ملوفا لكارل، الذي أسرع مبتعدا عندما لم يقل خاله شيئا أكثر من ذلك.

وعندما عاد بعد قليل، مستعدا للرحلة، وجد مستر "بوللاندر" وحده في الغرفة، كان خاله قد غادرها وهزم مستر "بوللاندر" يدي كارل بكلتا يديه في مرح، كما لو كان يريد أن يؤكد لنفسه كل التأكيد، أن كارل كان ذاهبا معه في نهاية الأمر. وكان كارل لا يزال مضطربا نتيجة لتعجله، ومع ذلك فقط ضغط يدي مستر "بوللاندر" بدوره. كان يكاد يطير فرحا لفكرة الزيارة.

- "أليس خالي غاضبا لذهابي؟"

- "لا مطلقا .. إنه لا يقصد كل ما قال جديا .. إنه فقط مهتم بأمر تعليمك اهتماما شديدا.

- "هل أخبرك هو نفسه أنه لا يقصد ما قاله جديا! .."

- "أو .. نعم"، قالها المستر "بوللاندر"، وهو يضغط على الحروف فى  
بطء، مؤكدا بهذا أنه لا يمكنه أن ينطق كذبا ..  
- "إنه من الغريب ألا يكون راغبا فى أن يسمح لى بزيارتك، مع أنك  
صديقه!" ..

وعلى الرغم من أن مستر "بوللاندر" هو أيضا لم يكن يوافق على ذلك، إلا  
أنه لم يجد تفسيراً للأمر، وكان كلاهما، وهما ينطلقان بعربة مستر  
"بوللاندر" خلال المساء الدافىء، قد راحا يقلبان هذا الأمر طويلا فى  
رأسيهما، على الرغم من أنهما قد تحدثا فى أمور أخرى. كانا يجلسان  
ملتصقين. وكان كارل متشوقا لسماع أكبر قدر ممكن عن الأنسة "كلارا"  
كما لو كان نفاذ صبره لطول الرحلة يمكن أن يخففه الاستماع إلى القصص  
التي تجعل الوقت ينقضى فى سرعة. لم يسبق له من قبل أن مر فى شوارع  
نيويورك فى المساء، لكن على الرغم من ازدحام الأرصفة والشوارع العامة  
بالحركة التي يتغير اتجاهها فى كل لحظة، كما لو كانت زوبعة، وكان الزئير  
المنبعث عن حركة الشوارع، يبدو أشبه بأصوات كائنات غريبة لا صلة لها  
بالبشرية مطلقا. وكان كارل وهو يجهد فى تركيز انتباهه لالتقاط كلمات  
مستر "بوللاندر" لم يكن يرى شيئا سوى معطف مستر "بوللاندر" الغامق،  
الذي كان موثقا بسلسلة ذهبية.. وخارج الشوارع الرئيسية حيث كان رواد  
المسارح يصخبون لخوفهم الشديد، من أن يكون الوقت قد تأخر بهم، وبينما  
هم يسرعون فى طريقهم بخطوات مهرولة، أو يمرقون فى عربات، بأقصى  
سرعة ممكنة، كانا قد وصلا بسرعة عادية إلى الضواحي، حيث تحولت  
سيارتهما عن طريقها بواسطة رجال البوليس الذين يركبون الجياد، أكثر من  
مرة - إلى الشوارع الفرعية .. ذلك لأن الطريق الرئيسى كانت تملؤه  
مظاهرة قام بها عمال المعادن المضربون، وكان المرور الضرورى، يسمح له

باستعمال مفترق الطرق. وعندما خرجت سيارتهما من الظلام الذى يخيم على الطرقات الضيقة، عبرت أحد هذه الشوارع الهامة، الفسيحة التى تكاد تكون فى اتساع الميادين، وبدا على كل من الجانبين رصيف لا ينتهى، ممتلىء بحشود متحركة من الناس الذين يتقدمون فى بطء إلى الأمام، حيث كانت أناشيدهم أكثر تجانساً من أى صوت إنسانى آخر مفرد. وكان يمكن رؤية رجال البوليس على ظهور الجياد فى الشوارع العمومية التى ظلت خالية، وهم يتحركون هنا وهناك، أو وهم يجلسون فوق جياد ساكنة لا تأتى بأية حركة أو .. حاملى الأعلام أو الأشرطة الممتلئة ببعض الكتابات، تمتد بعرض الشارع فوق رعوس المتظاهرين، أو .. زعيم عمالى محاط بالزملاء والأعوان، أو .. ترام كهربائى لم يتمكن من الفرار بسرعة ولهذا توقف الآن مظلماً، وخالياً، بينما السائق والكمسارى يستلقيان على الرصيف . وجماعات صغيرة من المتفرجين الفضوليين يقفون على البعد، يرقبون المساعدين. كانوا متسمرين فى أماكنهم على الرغم من أنه لم يكن لديهم أدنى فكرة عما كان يجرى .

إلا أن كارل كان يضطجع إلى الخلف فى سعادة، وكانت فكرة أنه سيكون الآن ضيفاً عزيزاً، فى منزل ريفى ساطع الضياء، محاط بأسوار عالية، وتقوم على حراسته كلاب الحراسة المدربة، كانت هذه الفكرة قد ملأته بالرضا البالغ، ومع أنه كان قد بدأ الآن يشعر بالنعاس يغالبه، ولم يعد قادراً على أن يلتقط تماماً ما كان مستر "بوللاندر" يوجهه إليه، أو كان يسمع أجزاء متقطعة من حديثه على الأكثر، فقد راح يلوم نفسه بين الحين والآخر، ويدعك عينيه حتى يرى إن كان مستر "بوللاندر" قد لاحظ نعاسه؟! ذلك .. أن هذا كان شيئاً حاول كارل أن يتجنبه بأى ثمن.

## الفصل الثالث

### منزل ريفى بالقرب من نيويورك

"حسنا، لقد وصلنا"، قالها مستر "بوللاندر" فى لحظة من لحظات شرود كارل. كانت العربية قد توقفت أمام منزل، كأغلب المنازل التى يملكها الأثرياء فى ضواحي نيويورك، منزل يتسع، ويمتد إلى أبعد مما ينبغى لمنزل ريفى أعد لسكنى أسرة واحدة فقط. ولما لم يكن يوجد أى ضوء ينبعث منه، سوى بصيص كان ينبعث من أحد جوانب طابقه الأسفل، فقد كان من الصعب أن يقدر المرء مدى ارتفاعه. وكانت تنبعث أمام المنزل اصوات تصدر عن حفيف اشجار جوز الهند، وثمة - كانت البوابة قد فتحت على مصراعيها عندئذ - ممر قصير يفصل المنزل عن تلك الاشجار، ويؤدى إلى درجات الباب الخارجى للمنزل. أحس كارل بالتعب عند هبوطه من العربية، حتى لقد بدأ يظن أن الرحلة كانت رحلة طويلة على نحو ما، وسمع فى ظلام الممر الذى كانت تظله اشجار جوز الهند، صوت فتاة إلى جانبه، تقول: "هذا إذن هو المسترجيكوب أخيرا!"، فقال كارل وهو يتناول اليد التى مدتها إليه تلك الفتاة التى لم يتمكن من أن يتحقق من شكلها : "أن اسمى هو روسمان!" وقال مستر "بوللاندر" موضحا : "أنه ابن أخت جيكوب فقط، أما اسمه فهو كارل روسمان!".

فقال الفتاة التى لم تكن تلتفت كثيرا إلى الاسماء: "لن يقلل هذا من سرورنا لرؤيته".

وألح كارل هو أيضا فى التساؤل، وهو يسير متجها نحو المنزل بين مستر "بوللاندر"، وبين الفتاة: "هل أنت الأنسة كلارا؟".

قالت : "نعم" ، وأضاء وجهها فى هذه اللحظة شعاع ينبعث من داخل المنزل ، وكانت تميل برأسها نحو كارل، وهى تضيف: "إلا أننى لا أريد أن أقدم نفسى هنا فى الظلام.

وفكر كارل، وهو يفيق أكثر كلما تقدم فى السير، قائلاً فى نفسه: "هل كانت تنتظرنا بجوار البوابة؟".

قالت كلارا: "على فكرة لدينا ضيف آخر هذه الليلة!"

فصاح "بوللاندر" منفعلاً: "مستحيل!".

وقالت كلارا: "إنه مستر جرین".

فتساءل كارل، وكأن إلهاما قد تملكه: "متى وصل؟"

- "منذ دقيقة واحدة، ألم تسمعا صوت سيارته التى كانت تتقدم سيارتكما؟".

وتطلع كارل إلى أعلى، نحو مستر "بوللاندر"، ليرى ما سيفعله فى هذا الموقف، ألا أن "بوللاندر" كان قد دس يديه فى جيبى بنطلونه، وكانت قدماه قد تسمرت فى أرض المر:

- "لا خير فى الحياة خارج نيويورك، فهى لا تعفيك من الازعاج، وسوف نحاول تدبير منزل لنا فى مكان أبعد كثيراً من هذا المكان، حتى ولو كلفنى بلوغه أن أقود سيارتى إلى منتصف الليل!".

وظلوا واقفين أمام الدرجات المؤدية إلى باب المنزل الخارجى.

قالت كلارا: "لكن وقتاً طويلاً قد انقضى بالفعل، منذ زارنا مستر جرین آخر مرة!"، كانت تتفق مع أبيها فيما قال، لكنها كانت تحاول تهدئته، والتخفيف من ضيقه.

قال "بوللاندر": "ولماذا جاء فى هذه الليلة بالذات؟"، وقد تدحرجت الكلمات فوق شفته السفلى المتهدلة فى غضب. كانت ترتجف، كما كان يرتجف كل جسده الثقيل المترهل فى وضوح.

قالت كلارا: "لماذا حقا؟".

وقال كارل، مندهشا هو نفسه للتعاطف الذى ربطه بهذين الشخصين اللذين كانا غريبين تماما عنه قبل يوم واحد: "ربما لن يلبث حتى يعود ثانية من حيث أتى!".

قالت كلارا : "أوه .. لا ، إن أعمالا هامة تربطه ببابا، وقد يستغرق بحثها وقتا طويلا، فلقد هددنى فور وصوله مازحا بقوله: "إن على أن أظل واقفة حتى الصباح إن كان قد راق لى أن أبدو أمامه فى صورة المضيفة المهذبة!".

فصاح "بوللاندر"، وكأن شيئا لم يكن أشد سوءا مما سمع، قائلا: "هذه هى القشة الأخيرة.. إذن فهو ينوى البقاء طوال الليل؟ .. وأضاف قائلا: "إننى أشعر بشيء من الرغبة"، ووشت عبارته هذه بشيء من القدرة على المرح، "إننى أشعر بالفعل بشيء من الرغبة يا مستر روسمان، فى أن أضعك ثانية فى داخل العربة، وأعود بك مباشرة إلى خالك!", لقد ضاعت هذه الليلة الآن مقدما، ومن يدرى متى يسمح لك خالك بزيارتك لنا هنا ثانية، إلا أننى لو عدت بك ثانية إلى نيويورك الليلة، فلن يكون أمامه أن يرفض السماح لك بزيارتنا فى المرة القادمة!".

وأمسك بيد كارل، لكى يشرع فى تنفيذ فكرته فى اللحظة نفسها، إلا أن كارل لم يتزحزح من مكانه، ورجت كلارا أباهما أن يتركه، فلن يكونا هى وكارل على الأقل فى حاجة إلى السماح لمستر جرين بازعاجهما مطلقا. وفى النهاية كان "بوللاندر" نفسه يخشى أن يكون قراره قد أصبح قرارا حاسما بحيث لا يمكنه أن يتحول عن تنفيذه، و.. فوق ذلك - وربما كان هذا هو القرار الحاسم فعلا - كانوا قد سمعوا فجأة مستر جرين، يهتف من أعلى الدرج، إلى الحديقة، قائلا: "أين أنتم بحق الجحيم؟".



فقال المستر "بوللاندر": "إننا قادمون!"، وراح يصعد الدرجات، وخلفه كارل، وكلاهما اللذان تفحصا الآن بعضهما فى الضوء.

قال كارل فى نفسه: "ما أشد احمرار شفثيها؟"، وتذكر شفثى مستر "بوللاندر" وكيف تحولتا إلى هذه الصورة الساحرة، فى شفثى ابنته!  
قالت: "سنتوجه بعد تناول العشاء مباشرة، إلى حجرتى، لو رغبت فى ذلك، وهكذا يمكننا على الأقل أن نخلص من مستر جرين، حتى لو تحتم على بابا أن يبقى معه ولعلك أن تكون لطيفا فتعزف لى على البيانو، فقد قال لى بابا إن لك مقدرة فائقة على العزف، ويؤسفننى أشد الأسف أن أصرح لك بأننى لا أستطيع مطلقا، أن أتمرن على العزف، وأننى لم ألمس البيانو الذى أملكه مطلقا، رغم حبى الشديد للموسيقى!".

كان كارل على أتم الاستعداد لتلبية رجاء كلارا، مع أنه كان يود لو كان فى أماكن المستر "بوللاندر" أن ينضم اليهما، ألا أن رؤيته لهيئة مستر جرين العملاقة - كان كارل قد اعتاد على رؤية كرش بوللاندر - عندما بدت لهم قامته فى أعلى الدرج، وهم يصعدون درجات السلم، قد طردت كل أمل كان قد تبقى لدى كارل فى انتزاع بوللاندر بعيداً عن هذا الرجل، فى تلك الليلة!  
واستقلبهم مستر جرين فى لهفة، وكأن وقتا طويلا كان قد انقضى بالفعل دون طائل، تناول ذراع مستر "بوللاندر"، ودفع كارل وكلارا أمامه نحو حجرة الطعام، التى كانت تبدو مبهجة غاية البهجة بالازهار التى كانت منسقة فوق المائدة، والتى كانت تنبثق من بين الاغصان والاوراق الخضراء، فجعلت وجود مستر جرين شيئا مؤسفا على نحو مضاعف. كان كارل يحدث نفسه بهذا، بينما كان ينتظر إلى جوار المائدة حتى جلس الآخرون، وكانت تتملكه الرغبة فى أن تظل الأبواب الزجاجية التى تفتح على الحديقة مفتوحة كما كانت، ذلك أن شذا قويا كان يهب إلى داخل الحجرة وكأن المرء

كان يجلس تحت تعريشة زهور، عندما نفخ مستر جرير منخاريه، واندفع لإغلاق هذه الأبواب الزجاجية نفسها، منحنيا إلى الترابيس التي في أسفلها، ومرتفعا على أطراف أصابع قدميه، ماذا ذراعه إلى أعلى لإغلاق الترابيس العليا، فعل ذلك في نشاط الشباب، حتى أن الخادم عندما أسرع إليه، لم يجد شيئا قد تبقى له ليقوم به، وكان أول ما تفوه به مستر جرير عندما عاد بعد ذلك إلى المائدة، هو التعبير عن دهشته لأن كارل كان قد طلب موافقة خاله على قيامه بهذه الزيارة. ودفع ملعقة ممتلئة بالشوربة إلى فمه، ثم ملعقة أخرى، وراح يشرح لكلا التي كانت تجلس إلى يمينه، ومستر "بوللاندر" الذي إلى يساره، لماذا كان مندهشا بهذه الصورة، وكم كان الخال جيكوب قلقا في اهتمامه بكارل، حتى أن عطفه عليه كان عظفا بالغا إلى حد أبعد ما يكون عن عطف خال على ابن أخته!

وحدث كارل نفسه قائلا: "إنه ليس قانعا بتدخله غير المرغوب فيه هنا، وإنما يصر أيضا على التدخل بيني وبين خالي .." ولم يتمكن كارل من ابتلاع قطرة واحدة من الشوربة الذهبية اللون، لكنه راح بعد ذلك يصب الشوربة في صمت في داخل حلقة، لأنه لم يرغب في أن يظهر ما شعر به من الغضب، واستمر تناول الوجبة في ببطء مؤلم.

ولم يظهر مستر جرير الذي كانت كلارا تعاونه في تناول وجبته، شيئا من الحيوية أو النشاط، وكان يطلق ضحكة عالية بين الحين والآخر كلما سنحت الفرصة، وترك المستر "بوللاندر" نفسه يستغرق في المناقشة مرة أو مرتين، عندما كان مستر جرير يتحدث عن الاعمال، إلا أنه سرعان ما انسحب حتى من الحديث عن الأعمال هي أيضا، وكان على مستر جرير أن يغريه على الحديث، بالعودة إليه ثانية على غير توقع. وفوق ذلك فقد ظل مستر جرير يكرر قوله بأنه لم يكن ينوى القيام بهذه الزيارة المفاجئة..

وعندما كان مستر جرين يقول ذلك، كان كارل يتسمع كما لو كان شخصا ما يتهدده، وكانت كلارا قد تشبثت به، و.. قالت له إن اللحم المشوى موجود إلى جوار مرفقه، وقالت إنه الآن فى حفلة عشاء! ويضيف جرين قائلًا: إن الأمر الذى جاء لمناقشته كان أمرا ذا أهمية خاصة، إلا أن أهم جزء فيه كان من الممكن أن يتم بحثه فى المدينة، فى هذا اليوم، مع ترك التفاصيل الثانوية لإتمام بحثها فى اليوم التالى أو فى أى يوم آخر فيما بعد.

ولهذا فقد استدعى بالفعل إلى مكتب المستر "بوللاندر"، قبل موعد الانصراف بوقت طويل، إلا أنه لم يجد المستر "بوللاندر" فى مكتبه، وكان عليه لهذا أن يتصل تليفونيا بمنزله، ليخبرهم بأنه لن يعود هذه الليلة، واستقل سيارته بعد ذلك إلى هنا.

فقال كارل فى صوت مرتفع، قبل أن يجد أى شخص آخر فرصة للرد على جرين: "إذن، فيجب على أن اعتذر إليك، لأننى الملوم على ترك مستر بوللاندر لمكتبه مبكرا اليوم، وأننى لفى غاية الأسف!"

وحاول مستر بوللاندر أن يخفى وجهه خلف فوطة السفرة، بينما ابتسمت له كلارا ابتسامة لم تكن تنم عن عطفها، بل كانت تشى برغبتها فى التأثير عليه على نحو ما .

وقال مستر جرين وهو يمزق حمامة مشوية بضربات قاطعة من سكينته:  
- "لم يطلب أحد منك أن تعتذر، بل إننى على عكس ذلك مغتبط جدا لقضاء الليلة فى هذه الصحبة السارة، بدلا من تناول العشاء وحدى فى منزلى، حيث لا يوجد لدى سوى مدبرة منزل عجوز هى التى أجدها فى انتظارى، وأنها عجوز جدا، حتى أن أقصى مجهود يسعها أن تبذله هو أن تنتقل من باب المطبخ إلى المائدة فحسب، وأضطجع أنا فى مقعدى إلى الخلف منتظرا بضع دقائق فى كل مرة، أرقبها فيها وهى تقطع رحلتها

الشاقة، ولم تتوقف هذه الرحلة إلا أخيرا عندما أقنعتها فى النهاية بأن تترك مهمة توصيل الأطباق من المطبخ حتى باب حجرة الطعام لخدامى، إلا أن الرحلة من باب حجرة الطعام حتى المائدة هى المهمة التى لاتزال تقوم الآن بأدائها على قدر ما يسعنى الاستنتاج!

صاحت كلارا قائلة: "يا للسماء، ما أشد اخلاصها!"

- "نعم .. لايزال يوجد اخلاص فى هذه الدنيا".

قالها المستر جرين، وهو يضع شريحة من الحمامة فى داخل فمه، حيث قام لسانه بالتقاطها فى الحال، وتصادف أن لاحظ كارل ذلك، فأحس بالغثيان، ونهض واقفا، وأمسكت به كلارا من يده وأمسكه مستر بوللاندر من اليد الأخرى.

قالت كلارا: "لم يحن وقت نهوضك من على المائدة بعد"، وعندما جلس ثانية فى مكانه، همست له قائلة: "سوف نختفى معا بعد لحظات قليلة، فتذرع بالصبر!"

وكان مستر جرين فى تلك الاثناء يتناول طعامه فى هدوء، كما لو كانت مهمة مستر بوللاندر وكلارا الطبيعية هى تهدئة كارل بعد أن أصابه بالغثيان.

كانت وجبة العشاء تمضى فى ببطء، مثقلة بالإرهاق الذى كان يسببه تدخل مستر جرين فى كل مجال، والذى لم يمنعه من أن يدخر هجوما جديدا، بدأه فى طاقة متجددة، وقد بدأ هجومه كما لو كان قد عزم على أن يستجم من عادات مديرة منزله العجوز، فراح يزجى المديح المرة بعد المرة للآنسة كلارا، ويطرى خبرتها فى تدبير المنزل، وقد أرضى هذا المديح غرورها فيما يبدو، وكان كارل على نقيضها يحس برغبته فى إيقاف هذا المديح، وكأنه كان هجوما موجها فى صورة ما، ومع ذلك فلم يقنع مستر

جرين بمهاجمة كلارا على هذا النحو، بل أعلن أسفه عددا من المرات على شهية كارل الضعيفة - دون أن يرفع رأسه عن الطبق الذى أمامه - تلك الشهية التى تبدو له ضعيفة ضعفا شديدا خلافا لما كان يتوقعه.

ودافع مستر "بوللاندر" عن شهية كارل، على الرغم من أنه كان عليه أن يشجعه على تناول المزيد من الطعام، بما أنه كان هو المضيف. كان كارل قد أصبح فى غاية الحساسية بسبب الضيق الذى كان يعانيه طوال فترة تناول الطعام، حتى لقد فسر كلمات مستر بوللاندر، خلافا لفكرته الطيبة عنه، على أنها نوع من عدم الكرم، وكان هذا سببا آخر لاندفاعه فجأة إلى تناول الطعام فى نهم وبسرعة لا تليق، لمجرد أن يجلس مسترخيا بعد ذلك بقية الوقت، تاركا سكينه وشوكته أمامه على المائدة بلا حركة، حتى لقد احتار الرجل الذى كان يقوم بالخدمة على المائدة، فيما كان ينبغى عليه أن يفعل بهما.

قال مستر جرين، وهو يحاول أن يوحي بأن ما قاله من الكلمات إنما تعنى رغبته فى المزاح، وذلك بأن شدد قبضته على سكينه وشوكته: "سوف أخبر خالك غدا، كيف أنك قد تسببت فى إغضاب الأنسة كلارا بعدم تناول عشائك"، وأستأنف حديثه قائلا وهو يداعب بأصابعه أسفل ذقن كلارا التى أسلت جفونها وتركته يفعل ذلك: "انظر إلى الفتاة .. كيف اطرقت برأسها إلى أسفل؟!".

ثم صاح، وهو يضطجع فى مقعده إلى الخلف: "أيتها الصغيرة المسكينة!"، ضاحكا بتثاقل الرجل المتخم بالطعام. وحاول كارل عبثا أن يجد سببا لسلوك مستر بوللاندر. كان يجلس ناظرا فى طبقه، وكأن أهم الأحداث كانت تجرى لحظتها على صفحته، ولم يجذب مقعد كارل قريبا منه، وعندما بدأ يتحدث، وجه حديثه إلى المائدة كلها، بينما لم يوجه شيئا لكارل بصورة

مباشرة، وكان كارل يعاني كذلك من أن جرين ذلك الخليع العتيد، من أبناء نيويورك، كان قد تجرأ على أن يدلل كلارا عمداً، وأن يهينه، وهو ضيف مستر بوللاندر أو يعامله على الأقل، وكأنه كان طفلاً، وأن يمضى على تلك الصورة، فى مواصلة سلوكه البشع الذى لم يكن كارل يدرى إلى أى حد يسعه أن يحتمله. وعندما نهضوا من على المائدة - عندما لاحظ جرين نية الجميع - كان هو أول من نهض من عليها، وبدا كما لو كان قد جر الآخرين إلى الاقتداء به، تحول كارل جانبا إلى إحدى النوافذ الهائلة الى تحيبتها اطارات ضيقة بيضاء، وتفتح على الشرفة، والتي كانت فى حقيقة أمرها عندما تطلع إليها وهو يقترب منها أبوابا حقيقية، ترى ما الذى طرأ على كراهية مستر بوللاندر وابنته، تلك الكراهية التى أظهرها فى البداية نحو جرين، والتي بدت حينذاك إلى حد ما غير واضحة لكارل الذى لم يتمكن من أن يفهم لها سببا؟ ماذا طرأ على تلك الكراهية حتى يقفا الآن مع الرجل، ويومئاً إليه، كان الدخان يتصاعد من سيجار مستر جرين الذى أهدها له بوللاندر، سيجار غليظ بالصورة التى كان والد كارل قد ذكرها له فى أحيان، على أنها حقيقية، ولعله لم يكن قد رآه بالفعل بعينه! كان الدخان ينتشر فى انحاء الحجرة، حاملا تأثير جرين حتى إلى الأركان والزوايا التى لم يطرقها بنفسه، وكان فى أماكن كارل أن يشعر من على البعد الذى كان يقف عنده بالدخان وهو يوسع أنفه، وبدا سلوك جرين الذى كان كارل قد حدق فيه بلفتة سريعة من رأسه، سلوكا مشينا فى رأى كارل، وبدأ كارل يفكر فى أنه كان واضحا وضوحا كافيا له الآن أن خاله كان قد عارض قيامه بهذه الزيارة، كل تلك المعارضة، لأنه كان يعلم فى بساطة مدى ضعف شخصية مستر "بوللاندر"، وتوقع لهذا، احتمال أن يتعرض كارل للإهانة بشكل ما - ولم يكن مصيبا فى هذا بالطبع - أما بخصوص الفتاة

الأمريكية، فإن كارل لم يحبها هي أيضا، على الرغم من أنها كانت قريبة غاية القرب من الصورة الجميلة التي تخيلها عليها، وكان كارل قد دهش بالفعل للتألق الغريب الذي بدا به وجهها منذ أن بدأت ملاطفات مستر جرين لها، وخاصة التألق الذي ومضت به عيناها المتيقظتان، والثوب المحبوك على جسدها، ذلك الثوب الذي لم ير مثله من قبل، وبعض طيات صغيرة من النسيج الأصفر اللون، وشت بقوة الانفعال، إلا أن كارل لم يبال بشيء من ذلك، وكان يسره أن يتخلى عن فكرة الذهاب إلى حجرتها، لو أمكنه أن يفتح الباب الذي إلى جواره - وقد وضع يده على المزلاج محاولا أن يفتحه ويقفز بداخل العربة أو - لو كان السائق نائما بالفعل - يسير على قدميه عائدا إلى نيويورك. كانت الليلة الصافية بقمرها الساطع، ملكا خالصا لكل شخص، وبدا له الخوف من أى شيء فى الخارج شيئا لا معنى له، وتخيل - وقد بدأ يشعر بالسعادة فى تلك الحجره لأول مرة - كيف سيتمكن فى صباح الغد - فليس فى امكانه أن يصل إلى نيويورك قبل ذلك الوقت - من أن يصيب خاله بالدهشة، حقا، إنه لم يسبق له أن دخل حجره نوم خاله، ولا كان يعلم حتى أين كانت تقع من ذلك المبنى، إلا أنه سرعان ما سيفلح فى العثور عليها، ثم .. يدق على الباب، وعند الصيحة المعهودة: "ادخل"، يندفع داخلا إلى الحجره، مصيبا خاله العزيز بالدهشة، خاله الذى يعرفه حتى الآن فى كامل ثيابه، وأزراره مغلقة حتى ذقنه، جالسا فى فراشه بملابس نومه، وعيناها المفعمتان بالدهشة مثبتتان على الباب، وقد لا تكون تلك المفاجأة فى حد ذاتها أمراً شديدا الأثر. إلا أن المرء عليه أن يقدر النتائج التى قد تترتب عليها، فربما أمكنه أن يتناول فطوره مع خاله لأول مرة، وسيكون خاله فى الفراش، ويجلس هو أمامه على مقعد، ويوضع الفطور على منضدة صغيرة بينهما، وربما أصبح هذا الفطور الذى جمعهما، ترتيبا

ثابتا فيما بعد، وربما تمكنا خلال تناول ذلك الفطور - بالفعل - أن يتحدثا إلى بعضهما فى صراحة أكثر، ولقد كان انعدام الثقة المتبادلة بينهما، فى نهاية الأمر ، هو السبب فى أنه كان يظهر شيئا من الجموح، أو العناد بمعنى أصح، ولا يزال إلى اليوم يبدو لخاله على هذه الصورة، وحتى لو اضطر إلى قضاء الليلة هنا - ويبدو أن هذا هو ما سيحدث بالفعل، لسوء الحظ، على الرغم من أنهم قد تركوه يقف وحيدا إلى النافذة، ويتسلى بالتطلع خارجها - فلعل هذه الزيارة غير الموفقة، أن تكون هى نقطة التحول فى علاقته بخاله، و.. ربما يكون خاله مستلقيا فى فراشه، ومستغرقا فى هذه اللحظات نفسها فى نفس الأفكار.

واستدار فى شىء من الرضا، كانت كلارا تقف إلى جواره، وتقول له: "ألا يسرك أن تشترك معنا على الاطلاق؟ ألا تحاول أن تشعر نفسك ، ولو قليلا، أنك هنا، فى منزلك؟ هيا .. سأقوم بمحاولة أخيرة معك!".

قادته عبر الحجرة، إلى الباب، وكان السيدان يجلسان إلى مائدة جانبية، يشربان فى أكواب مرتفعة، سائلا خفيفا فوارا ، لم يكن كارل يدرى ما هو، وكان يود لو تذوقه. وكان مرفقا المستر جرين معتمدين على المنضدة، وكان وجهه قريبا جدا من وجه مستر بوللاندر، ولو أن امرءا غيره لا يعرف مستر بوللاندر ، فربما ظن أن خطة إجرامية كانت تدبر بينهما، وليس عملا مشروعا، بينما تعقبت عينا مستر بوللاندر، كارل، إلى الباب بنظرة ودية، ولم يوجه مستر جرين نظرة واحدة إلى كارل، خلافا للقاعدة الثابتة، بأن عيني المرء تتعقبان لا إراديا ما تتعقبه عينا من يتحدث إليه، وبدا لكارل أن تصرف مستر جرين العدائى الواضح إلى هذا الحد، كان يشير إلى اعتقاده أن عليهما هو وكارل أن يتقاتلا بالفعل، وأن يشتبكا بالأيدي، وإلى أنه من



المحتم أن تحسم العلاقة بينهما عن هذا الطريق الذى ينتهى فى اللحظة الحاسمة بانتصار أحدهما وانهيار الآخر.

قال كارل فى نفسه: "لو كان هذا هو ما يعتقدده، فهو أحمق، إننى - فى الحقيقة - لا أريد شيئاً منه، وعليه أن يتركنى فى سلام!".

وما كاد يخطو إلى الردهة، حتى خطر له أنه ربما كان قد بدا فظا فى سلوكه، ذلك أن عينيه كانتا مركزتين فى جمود، على جرين، حتى أن كلارا كان عليها أن تسحبه إلى خارج الغرفة. ومضى فى صحبتهم الآن طائعا، وعندما كانا يمران خلال الردهات، لم يسعه إلا أن يصدق عينيه بصعوبة فى البداية، حينما كان يرى خادما بعد كل عشرين خطوة تقريبا، فى ملابس فاخرة، ممسكا بشمعدان ضخم، له عمود فى غاية الضخامة، حتى كان الخادم يضم كلتا يديه معا ليتمكن من الامساك به.

قالت كلارا، وهى تحاول أن تفسر له ذلك: "إن التركيبات الكهربائية الجديدة، قد تم تركيبها هناك فى حجرة الطعام فقط، ولقد اشترينا هذا المنزل منذ وقت قريب، وكان علينا أن نقوم باعادة بنائه كله تقريبا، وقد كان هذا هو أقصى ما يمكننا أن نقوم به لإعداد منزل قديم كهذا المنزل، بكل ما فيه من الاشياء الغريبة!".

قال كارل: "أذن فلديكم فى أمريكا منازل قديمة بالفعل، أيضا؟".  
فقالت كلارا ضاحكة، وهى تجذبه إلى الأمام: "بالطبع .. أن لديك أفكارا غريبة عن أمريكا!".

قال فى ضيق: "لا يجب أن تضحكى منى!", فهو فى النهاية يعرف أوروبا وأمريكا، بينما لا تعرف هى سوى أمريكا!  
وفى أثناء سيرهما، دفعت كلارا أحد الأبواب، فانفتح، بدفعة خفيفة من يدها، وقالت دون توقف: "هذا هو المكان الذى سوف تنام فيه!".

كان كارل يريد أن يتفحص الحجرة كلها فى الحال، إلا أن كلارا صاحت فى نفاذ صبر، وارتفع صوتها حتى أوشك على الصراخ، قائلة: إنه سيكون أمامه من الوقت ما يتسع لذلك فيما بعد، وأن عليه أن يمضى معها أولاً، ونشبت بينهما مشادة فى الردهة، حتى خطر ببال كارل أنه ليس ملزماً بأن يفعل كل ما تأمره به كلارا، فخلص نفسه منها، واندفع إلى داخل الحجرة. وكان الظلام الذى يبعث على الحيرة، كثيفاً خارج الشباك، وتبين فى وسط الظلام بعض الاغصان الممتدة من شجرة ضخمة كانت تتطوح فى الحديقة، وكان فى مقدوره سماع تغريد الطيور، ولم يكن يستطيع تمييز أى شىء فى داخل الحجرة، ولا حتى أن يتلمس طريقه خلالها، ذلك أن ضوء القمر لم يكن قد دخلها بعد! وشعر كارل بالأسف لأنه لم يحضر معه بطاريته الكهربائية التى كان خاله قد أعطاهها له، ففى هذا المنزل كانت البطارية الكهربائية شيئاً لا غنى عنه مطلقاً، وكان يمكن للمرء أن يرسل الخدم إلى فراشهم باعطائهم واحدة من تلك البطاريات الكهربائية!

وجلس على حافة النافذة، وحرق فى الظلام، وراح يتسمع، وبدأ أن طائراً ما، قد تسبب كارل فى ازعاجه، لأنه كان يصفق بجناحيه بين أوراق الشجرة العتيقة، وكان صغير قطار من قطارات الضواحي، ينبعث من مكان ما عبر الحقول، وكل شىء كان ساكناً تماماً فيما عدا ذلك.

ولم يمض وقت طويل حتى عادت كلارا مندفعة إلى داخل الحجرة، وصاحت فى غضب ظاهر: " ما معنى ذلك؟" وضربت قميصها بيدها.

وقرر كارل ألا يرد عليها بشىء، حتى تظهر شيئاً من الأدب، إلا أنها تقدمت نحوه بخطوات واسعة، وهى تصيح فى دهشة: "حسناً .. هل ستأتى معى، أم لا؟" وضربته سواء عن عمد، أو فى غمرة ارتباكها، ضربة شديدة على صدره، حتى لقد أوشك أن يسقط خارج النافذة، لو لم يكن فى

اللحظة الأخيرة، قد انزلق من على حافة النافذة، حتى لامست قدماه أرض  
الحجرة!

قال لها فى لوم: "ربما كنت قد وقعت خارج النافذة؟!"  
- "مما يؤسف له أنك لم تقع، لماذا تبدو غيبيا إلى هذا الحد؟ سوف  
أجذبك خارج هذه الحجرة فى المرة القادمة!".

وأمسكت به بالفعل، وحملته تقريبا بين ساعديها المدربتين حتى النافذة،  
وكانت الدهشة قد استولت عليه فلم يخلص نفسه من بين ساعديها، ثم عاد  
إلى نفسه، وتملص بجذعه متخلصا من بين ذراعيها، وأمسك بها بدوره.  
قالت فى الحال: "أوه .. إنك تؤلنى!".

لكن كارل أحس أنه من الخطأ أن يتركها، وسمح لها بحرية الحركة التى  
تتيح لها اتخاذ أية خطوات تريدها، لكنه تبعها، ملتصقا بها بشدة. كان من  
السهل أن يقبض عليها بشدة بملابسها المحبوكة.

همست: "اتركنى"، وكان وجهها المتضرج، قريبا من وجهه، حتى لقد كان  
يجهد نفسه لكى يرى وجهها: "أتركنى، سوف أعطيك شيئا لا تتوقعه!".

وفكر كارل فى نفسه: "لماذا تنتهد على هذا النحو، إننى لا أسبب لها أى  
ألم، فلست أضغط عليها، إنما أمنعها فقط عن الحركة، فإننى لا أضمن ما  
قد تفعله؟"، وظل متشبثا بها، لكن فجأة، فى لحظة غفلة، وبعد لحظة من  
السكون، أحس مرة أخرى فجأة بقواها تصارع جسده، ثم انطلقت متخلصة  
من قبضته، ثم شلت حركته، بحركة من حركات المصارعة، وضربت قدميه  
بركله بارعة من ساقها المشوكة، حركة غريبة عليه، ألقته أرضا أمامها فى  
سيطرة مدهشة، ثم وقفت تلهث قليلا، بجانب الحائط، كانت هناك أريكة  
بجوار ذلك الحائط، كان هو قد انطرح عليها، وتشبث بها فى سقطته، وظلت  
هى على مسافة كافية من مكانه، وقالت: "انهض الآن لو استطعت!".

- "أيتها القطة.. أيتها القطة المتوحشة!". كان ذلك هو كل ما استطاع كارل أن يصيح به، فى ثورة غضبه، وإحساسه بالعار: "لابد أنك معتوهة، أيتها القطة المتوحشة!".

قالت له: "احذر ما تقول!", ومدت يدها إلى حنجرته، التى راحت تضغط عليها بغاية العنف حتى أن كارل لم يتمكن من التقاط أنفاسه إلا بصعوبة، بينما لوحق بقبضتها الأخرى إلى خده، ولمسته كما لو كانت تجرب صفعه، ثم أعادتها إلى الخلف تدريجيا إلى أبعد فأبعد، على استعداد لتوجيه لكمة له فى أية لحظة.

وسأته قائلة: "ما قولك، لو أننى عاقبتك على وقاحتك مع أنسة بارسالك إلى منزلك وقد أحمرت أذنك من شدة اللطمات؟ ربما أفادك هذا فى أن تصبح شخصا طيبا طوال ما تبقى من حياتك، مع أنه لا يبدو عليك الاستعداد لتذكر ذلك. إننى أسفة فى الحقيقة من أجلك، فأنت فتى حسن الشكل إلى درجة كبيرة، ولو أنك كنت قد تعلمت المصارعة اليابانية، فربما كنت قد ضربتني، وعلى أية حال.. على أية حال، فأنتى أشعر برغبة شديدة فى لطم أذنك الآن، وأنت مستلق أمامى، ولعلنى أندم لأننى لم أفعل، لكن لو أننى فعلت ذلك، فدعنى أقل لك أننى سأفعله لأننى لا أستطيع مقاومة رغبتى تلك، ولن تكون لكمة واحدة بالطبع تلك التى سأسدها لك، بل إننى سأمضى فى تسديد اللطمات إلى أذنك، ولن أتوقف حتى تغطيك الكدمات الزرقاء والسوداء، وربما كنت واحدا من هؤلاء الرجال الشرفاء - يمكننى أن أصدق ذلك بسهولة - وسيشوق عليك أن تتحمل العار الذى أصابك بلطمك على أذنك، وستبتعد فى الحال. لكن لماذا كنت فظيعا فى سلوكك معى بهذه الصورة؟ ألا تحببني؟ ألا يستحق مجيئك إلى غرفتى أقل العناء؟ أه .. احذر، إننى سأصفعك الآن فجأة، سأصفعك فى التو واللحظة، و .. لو عفوت عنك

فى هذه الليلة، فاعمل على أن تسلك سلوكا أفضل فى المرة القادمة. إننى لست خالك حتى أحتمل طبعك الشكس، ومهما يكن الأمر، فدعنى أوضح لك، إننى لو تركتك الآن فلعلك لا تحتاج إلى الظن بأن العار الذى يلحقك يتساوى سواء لظمتك، أو عفوت عنك، سوف أصفعك على وجهك بغاية ما يسعنى العنف، وقد لا تظن أنت أننى فعلت ذلك. إننى لا أدرى ما الذى سيقوله ماك عندما أحكى له عن ذلك كله!".

وعندما طراً ماك على بالها، تراخت قبضتها، وأحس كارل فى انفعاله بأن ماك قد انقذه، وظل فترة قصيرة بعدها يحس بقبضة كلارا، وكأنها تقبض على حنجرته لاتزال، ولهذا تلوى فى مكانه لحظة قبل أن يعود إلى سكونه مرة أخرى، مستقلياً فوق الأريكة.

وطلبت منه أن ينهض، فلم يرد عليها، كما أنه لم يتحرك مطلقاً. وأشعلت هى شمعة فى مكان ما، وأضاعت الحجره، وظهر على السقف شكل متعرج بتأثير ضوء الشمعة، إلا أن كارل بقى ملقياً برأسه على الأريكة حيث تركتها كلارا، ولم يتحرك قيد أصبع، وتمشت كلارا عبر الحجره، وكان يسمع حفيف الثوب حول ساقىها وهى تنزع الغرفة، ثم بدا وكأنها قد توقفت فترة طويلة عند النافذة.

وسمعها تسأله فى النهاية: "هل انتهيت من عنادك؟"، وتبين كارل أنه من المستحيل أن يجد الراحة فى هذه الحجره التى خصصها له مستر بوللاندر، ليقضى فيها ليلته، وظلت الفتاة تتجول فى انحاء الحجره، وتتوقف لتتحدث إليه بين الحين والآخر. وكان هو قد ضاق بها من أعماقه. وكل ما كان يتطلع إليه هو أن يستغرق فى النوم فوراً، ثم يغادر هذا المنزل بعد ذلك. لم يرغب حتى فى أن يذهب إلى الفراش، كان يريد أن يبقى على الأريكة حيث كان، وكان ينتظر اللحظة التى تغادر فيها تلك الفتاة الحجره، حتى يقفز إلى الباب

خلفها، فيغلقه ويحكم رتاجه، ثم يمدد نفسه ثانية فوق الأريكة، وأحس برغبة شديدة فى أن يتمطى ويتثاب، إلا أنه لم يحب أن يفعل ذلك فى وجود كلارا، ولهذا بقى مستلقيا يحدق فى السقف، وهو يشعر بأن وجهه كان يزداد، ويزداد جمودا، ومرت أمام عينيه بقعة لعلها كانت ذبابة، حامت حوله دون أن يتحقق تماما من طبيعتها.

وتقدمت كلارا نحوه، مرة أخرى، وانحنت أمام عينيه، فلو لم يحرك جفونه لامكنه مع ذلك أن يراها جيدا.

قالت: "إننى ذاهبة الآن، وربما رغبت فى أن تأتى لرؤيتى فيما بعد، أن باب حجرتى هو الرابع، بعد باب هذه الحجرة، فى نفس هذا الجانب من الردهة، فاترك الأبواب الثلاثة التالية، والباب الذى يليها هو الباب المطلوب! لن أهبط إلى الطابق الأسفل، ثانية، بل سأبقى فى حجرتى. لقد سببت لى الازهاق أنا أيضا، و.. لن أتوقع مجيئك بالطبع، لكن .. لو رغبت فى المجيء، فتعال! وتذكر أنك قد وعدت بأن تعزف لى على البيانو، ربما كنت تشعر بأنك قد انطرحت هامداً، وأنك لا تستطيع أن تتحرك من مكانك، حسناً إذن، ابق حيث أنت، وتمتع بالنوم الهادئ، ولن أذكر لوالدى شيئا عن عراكتنا العارض، لا شىء فى الوقت الحاضر، أقول ذلك الآن إذا كنت تحس بشىء من الانزعاج له!"، وعلى الرغم من ارهاقها، الذى كان يبدو واضحا فى حركتها، انطلقت فى خفة إلى خارج الحجرة!.

وجلس كارل فى مكانه على الفور، كان يتعذر عليه مواصلة احتمال ذلك الاستلقاء، نهض، وتقدم نحو الباب لمجرد تحريك أطرافه، وتطلع منه إلى الردهة. كم كانت مظلمة! وشعر بالغبطة عندما أغلق الباب، وأحكم رتاجه، وجلس مرة أخرى على مائدته، على ضوء الشمعة، واستقر رأيه على عدم البقاء لحظة أخرى فى هذا المنزل، ورأى أن يهبط إلى مستر بوللاندر، وأن

يخبره صراحة بمعاملة كلارا له - واضعا في اعتباره ألا يهتم مطلقا لمحاولة دفاعه عنها - ويطلب منه أن يسمح له، بالعودة - لهذا العذر الكافي - سواء بالعربية، أو سيرا على الأقدام إلى منزل خاله! ولو أبدى مستر "بوللاندر" اعتراضا على عودته في نفس الليلة، فسيطلب منه كارل حينئذ أن يأمر خادما على الأقل، بأن يقوده إلى أقرب فندق، وربما كان من الثابت أن أحدا لا يعامل ضيوفه عن النحو الذي كان كارل يفكر فيه، إلا أنه من النادر أيضا أن يعامل الضيوف بالاسلوب الذي عاملته به كلارا، ولقد ظنت بالفعل أنها كانت رقيقة عندما وعدته بأنها لن تذكر شيئا عما حدث بينهما لمستر بوللاندر، لقد كان ذلك في الحقيقة أمرا شنيعا غاية الشناعة. هل كان قد دعى إلى مباراة للمصارعة؟ لو كان قد دعى إلى ذلك، فإنه سيكون خجلا أيضا لأن فتاة يبدو أنها قد أنفقت الجانب الأكبر من حياتها في تعلم المصارعة قد طرحته أرضا، وربما كانت فوق ذلك، قد تلقت تدريبا على يد ماك. وفي امكانها أن تخبر ماك بما شاعت، فماك شخص ذكي للغاية، وكارل واثق تمام الثقة في ذكائه، على الرغم من أن الفرصة لم تسنح له ولو لحظة واحدة ليتأكد من ذلك، إلا أن كارل يعلم أيضا أنه لو كان قد تلقى تدريبا على يدى ماك بدوره، فلا شك أنه كان سيبدى تفوقا أبعد كثيرا مما أظهرته كلارا من التفوق في المصارعة، إذن لحضر إلى هنا مرة أخرى، في يوم من الأيام، حتى بلا أية دعوة، وشرع في دراسة المعركة، دراسة محكمة، تدهش لها كلارا غاية الدهشة، ثم تناول كلارا هذه نفسها، وطرحها على نفس الأريكة التي طرحته عليها الليلة!

وكان عليه الآن أن يجد طريقه ثانية إلى حجرة الطعام، التي كان قد ترك فيها قبعبته لارتبাকে عندما غادرها، في مكان ما، وسوف يأخذ الشمعة بالطبع في يده، لكن لم يكن سهلا أن يجد المرء وجهته حتى في ضوء

الشمعة، فلم يكن يعرف، مثلا، موقع حجرته هذه بالنسبة لحجرة الطعام، وكانت كلارا فى طريقهما إلى هنا قد راحت تجذبه، فلم تترك له أقل فرصة للتطلع حوله، والتعرب على الطريق، كما كان باله مشغولا أيضا بمستر جرين، وبالخدم الذين كانوا يحملون الشمعدانات الضخمة، وباختصار، لم يكن يسعه بالفعل أن يتذكر إن كانا قد صعدا طابقا أو طابقين، أو أنهما لم يصعدا أى سلالم على الإطلاق، ولهذا فقد حاول أن يقنع نفسه بأنهما كانا قد ارتقيا سلما ما، لكنه وجد أمام الباب درجات كان عليه أن يصعدها، فلماذا لا يكون هذا الجزء من المنزل مرتفعا قليلا عن مستوى أرض الحديقة هو أيضا؟ لو أتيح له فقط شعاع من الضوء يتسرب من أحد الأبواب التى تتتابع فى تلك الردهة أو صوت يمكنه أن يسمعه على البعد، مهما كان خافتا؟

كانت ساعته - التى أهداها له خاله - تشير إلى الحادية عشرة، فأخذ الشمعة ومضى إلى الردهة، وترك باب حجرته مفتوحا، فإذا لم يوفق فى العثور على طريقه، فيمكنه على الأقل أن يعود ثانية إلى حجرته، ويمكنه فى حالة الضرورة القسوى أن يصل إلى حجرة كلارا أيضا، ولكى يضمن عودته إلى الحجرة، وضع مقعدا فى فتحة الباب، فربما انغلق من نفسه. وفى الردهة اكتشف أمرا سيئا - كان قد استدار إلى اليسار، مبتعدا بالطبع عن حجرة كلارا - فقد اندفع فى وجهه تيار هوائى، كان من الممكن رغم أنه كان تيارا ضعيفا أن يطفى شمعته بسهولة، لهذا اضطر إلى أن يحوط بيده على لهب الشمعة، وكثيرا ما كان يتوقف حتى يعود اللهب الذاوى إلى التوهج من جديد، كان يتقدم فى طريقه ببطء، وبدا ذلك وكأنه يضاعف من طول الطريق، وكان كارل قد قطع مسافة طويلة، بطول حائط أصم، خال من الأبواب أو الفتحات، ولم يكن فى مقدور المرء أن يتخيل ماذا كان يقع



خلف ذلك الحائط، حتى بلغ بابا بعد آخر، وتتابعت الأبواب، وحاول كارل أن يفتح بعضها، لكنها كانت جميعا مغلقة، وكانت الحجرات تبدو خالية، كانت مساحة واسعة جدا، على نحو غاية فى الإسراف وفكر كارل فى الحى الشرقى من نيويورك، ذلك الحى الذى وعده خاله بأن يصحبه إليه، حيث يقال أن عددا من الأسر كانت تعيش معا فى حجرة صغيرة، وأن منزل الأسرة بأكملها لم يكن سوى ركن من أركان الحجرة الواحدة، يتكدس فيه الأطفال حول والديهم، بينما يظل مثل هذا العدد الكبير من الحجرات الفسيحة خاويا هنا، ويبدو أن الغرض من وجودها هو فقط ترديد الصوت عندما يدق المرء على باب كل منها. وبدا له مستر «بوللاندر» شخصا ضلله أصدقاؤه المزيفون، وتمادى فى الهيام بأبنته التى تتسبب فى خرابه. ولا شك أن الخال جيكوب كان صائبا فى حكمه عليه، وقد كان من مبادئ خاله ألا يحاول التأثير على كارل فى حكمه بنفسه على الآخرين، وقد كانت مبادئ خاله هذه، هى السبب فى هذه الزيارة، وفى كل هذا التجول الحائر خلال تلك الردهات سوف يخبر خاله غدا بصراحة مطلقة عن هذا كله، مدليا بأحكامه الخاصة على كل شىء، وسوف يسعد خاله دون شك بالاستماع إلى أحكام ابن أخته، حتى عليه هو نفسه، وربما كانت مبادئ خاله هذه، هى الحقيقة، ربما كانت هى الشىء الحقيقى الذى يتمتع به خاله، وربما كانت هذه المبادئ قد أساعت كارل بصورة ما، ألا أن استيائه بدا له الآن على غير أساس.

وفجأة انتهى الجدار القائم على أحد جوانب الردهة، وظهر على امتداده درابزين، بارد جدا، من الرخام، وواجه كارل الفراغ الحالك - فهل كانت هذه الردهة هى البهو الرئيسى للمنزل؟ - كان من الممكن على ضوء الشمعة رؤية سقف مقبى - فلماذا لم يمرا هو وكلارا بها؟ وما هو الغرض من هذه

الحجرة الهائلة الشديدة الارتفاع؟ إن المرء يقف هنا كما لو كان واقفاً في  
يهو كنيسة من الكنائس! وأسف كارل غاية الأسف لأنه لن يبقى في هذا  
المنزل حتى الصباح، فقد كان يود لو أطلعه مستر بوللاندر على كل أجزاء  
المنزل في ضوء النهار، وفسر له كل شيء.

كان الدرايزين قصيرا للغاية، فلم يلبث كارل حتى وجد نفسه يسير بطول  
ردهة مغلقة، وباستدارة مفاجئة اندفع مسرعا نحو الحائط، وكان الحرص  
الشديد الذي كان يمسك به الشمعة في تشنج قد منعها من السقوط،  
والانطفاء. وبدت له تلك الردهة وكأنها بلا نهاية، ولم تكن بها نافذة واحدة،  
حتى يمكنه من خلالها أن يتبين أين كان، ولا كان يتحرك فوقه شيء في  
الطابق الأعلى، ولا تحته - وبدأ كارل يدور في حلقة، وكان لديه أمل ضعيف  
في أنه سيتمكن من الوصول إلى باب غرفته مرة أخرى، ولكنه لم يتمكن من  
العودة إلى الحجرة المرتفعة، ولا إلى الدرايزين، وكان قد منع نفسه عن  
الصياح حتى الآن، لأنه لم يكن يرغب في إثارة ضجة في منزل غريب في  
مثل تلك الساعة المتأخرة، لكنه تحقق الآن أن تجوله لن يوصله إلى شيء في  
هذا المنزل المظلم، وكان على وشك أن يطلق عقيرته، صائحا بأعلى صوته:  
«هالو!»، حتى يتردد صدى صيحته بطول الردهة في الاتجاهين، عندما لمح  
ضوءا خافتا يقترب خلفه، في نفس الطريق الذي سلكه، وأمكنه الآن أن  
يدرك طول تلك الردهة الممتدة في استقامة، كان ذلك المنزل عبارة عن قلعة،  
لا مجرد منزل فحسب، وكان فرحه لرؤية هذا البصيص المنقذ فرحا بالغا،  
حتى لقد نسى كل حذره، واندفع في اتجاه الضوء. وكان لا يزال ممسكا  
بشمعته المطفأة بعد أن خطأ بضع خطوات قليلة، لكنه لم يعد يلقى بالا إليها  
الآن، لأنه لن يكون في حاجة إليها بعد ذلك، فقد لمح خادما عجوزا يحمل

فانوسا ويتقدم نحوه، وسوف يدلّه هذا الخادم فى الحال على الطريق الصحيح.

تسأل الخادم، وهو يرفع فانوسه فى وجه كارل، فىضئ وجهه هو أيضا: «من أنت؟» كان وجهه وقورا إلى حد ما، بسبب اللحية الهائلة البيضاء التى كانت تنتهى فوق صدره فى حلقات دائرية. وقال كارل فى نفسه: «لابد أن يكون خادما أميناً، ما داموا قد سمحوا له بإطلاق لحية كهذه»، وكان يحرق بامعان فى اللحية بطولها وعرضها، دون حرج، لأن الرجل كان يتفحصه هو الآخر بدوره، وأجاب قائلاً، بأنه ضيف على مستر «بوللاندر»، وأنه قد ترك حجرته ذاهباً إلى حجرة الطعام، إلا أنه لم يجد الطريق إليها.

قال الخادم: «آه... نعم، إننا لم ننته من التركيبات الكهربائية بعد!». فقال كارل: «أعلم ذلك!».

وسأله الخادم قائلاً: «ألا تريد أن تشعل شمعتك من الفانوس؟!». فقال كارل، وهو يشعلها: «لو سمحت!».

وقال الخادم: «يوجد كثير من هذه التيارات الهوائية فى هذه الردهات، والشموع تنطفئ بسهولة، وهذا هو السبب فى أننى أفضل الفانوس عليها!». فقال كارل: «نعم، إن الفانوس عملى أكثر منها!».

وقال الخادم، وهو يرفع الفانوس إلى بدلة كارل: «لماذا تقطيك كل هذه القطرات من الشمع؟».

فصاح كارل فى انزعاج، قائلاً: «إننى لم ألاحظها مطلقاً!» أحس بالانزعاج لأنها كانت بدلتة السوداء التى قال خاله أنها تبدو عليه أفضل مما عداها، وهى قد تلوّثت الآن بهذه البقع، كما أنها لم تسلم كذلك من مباراة المصارعة التى دارت بينه وبين كلارا. تبين ذلك الآن أيضاً، وكان الخادم كريماً جداً، حتى أنه قام بتنظيف البدلة بقدر المستطاع، وظل كارل

يستدير حول نفسه، وهو يشير له إلى بقعة هنا، وبقعة أخرى هناك، وكان الرجل يزيلها جميعا فى طاعة.

وتسأل كارل عندما استأنفا طريقهما ثانية: «لكن لماذا كانت التيارات الهوائية هنا بهذه الكثرة؟!».

قال الخادم: «حسنا، لأنه لا يزال يجب إتمام الكثير من المبانى، إن عملية إعادة البناء قد بدأت فقط، فى الحقيقة، الا أنها تسير فى ببطء شديد، وقد قام عمال البناء أخيرا بإضراب، ولعلك تعلم ذلك، كما أن بناء منزل بهذه الضخامة يسبب كثيرا من المشاكل، بالإضافة إلى أن عديدا من الثغرات قد حدثت فى الجدران ولم يسد أحد تلك الثغرات بعد، ولهذا تمرح التيارات الهوائية فى كل أنحاء المنزل، ولو أننى لم أسد أذناى بقطعتين من القطن، لما كان فى مقدورى أن أحتملها!».

فتسأل كارل قائلا: «هل يجب علىّ إذن أن أتحدث فى صوت أكثر ارتفاعا؟».

قال الخادم: «لا .. إن صوتك واضح، لكن عند عودتك مرة أخرى إلى هذا الجانب من المنزل، وخاصة هذا الجزء منه، بالقرب من المقصورة التى ستنفصل فيما بعد عن باقى المنزل، فسوف تجد أن التيارات قد اشتدت بصورة لن يسعك أن تحتملها!».

- إذن فإن الدرابزين الذى على امتداد هذه الردهة، يؤدى إلى مقصورة!«.

- «نعم!».

- قال كارل: «لقد ظننت ذلك منذ قليل!».

قال الخادم: «إنها مقصورة تستحق الرؤية فى الحقيقة، ولعل مستر ماك، لولاها ما كان قد أقدم على شراء هذا المنزل لو كان لى أن أقول ذلك!».

وتساءل كارل: «مستر ماك؟ لقد ظننت أن هذا المنزل ملكا لمستر بوللاندر؟!».

قال الخادم: «نعم، ملكه دون شك، إلا أن مستر ماك كان هو الذى قام بشراؤه، ألا تعرف المستر ماك؟!»

قال كارل: «أوه .. نعم أعرفه، لكن ما هى علاقته بمستر «بوللاندر»؟!».

قال الخادم: «إنه خطيب السيدة الصغيرة!».

قال كارل، وهو يتوقف لحظة: «لم أكن أعلم ذلك بكل تأكيد!».

وتساءل الخادم: «أترى الأمر مدهشا إلى هذا الحد؟!».

فأجابه كارل قائلا: «إننى فقط أفكر فى هذا الأمر، فلو لم يعلم المرء جيدا حقيقة تلك العلاقات، لكان من السهل أن يتورط فى أشد أنواع الأخطاء!».

قال الخادم: «أما ما يدهشنى أنا، فهو أنهم لم يخبروك بشيء عن هذا!».

فقال كارل، وهو يشعر بالارتباك: «نعم.. هذا حق!».

وقال الخادم: «ربما ظنوا أنك تعلم، فهى تعد الآن أخباراً قديمة بالفعل، لكن ها نحن قد وصلنا..» وفتح بابا، ظهرت خلفه درجات سلم يودى مباشرة إلى الطابق الأسفل، ثم إلى الباب الخلفى لحجرة الطعام التى كانت مضيئة مازالت، كما كانت عند وصول كارل.

وقبل أن يهبط كارل متجها نحو حجرة الطعام، التى كان يصدر عنها صوت مستر بوللاندر، ومستر جرين، وهما مستغرقان فى حديثهما الذى لم ينقطع منذ ساعتين، قال الخادم: «سأنتظرك هنا لو شئت، لكى أصحبك مرة أخرى إلى حجرتك، فمن الصعب أن يجد المرء طريقه هنا بسهولة فى الليلة الأولى!».

فأجابه كارل الذى لم يدر لماذا أحس بالحزن الذى دفعه إلى أن يدلى الخادم بهذا التصريح: «لن ترانى حجرتى هذه مرة أخرى!».

وقال الخادم مبتسماً فى شىء من الرقة، وهو يربت على ذراع كارل:  
«لن تجد صعوبة فى عودتك إليها، كذلك الصعوبة التى لقيتها هذه المرة!»،  
ولعل الخادم كان قد فسر كلمات كارل على أنه كان ينوى قضاء بقية الليلة  
فى غرفة الطعام، يتحدث، ويشرب مع السيدين، ولم يشأ كارل أن يصرح  
بمزيد من الاعترافات عندئذ وجمال فى خاطره أيضاً أن هذا الخادم، الذى  
أحبه أكثر من أى خادم آخر فى هذا المنزل، يمكنه أن يدلّه على الطريق إلى  
نيويورك ولهذا قال له:

– «لو انتظرتنى هنا، فسوف يكون هذا كرماً شديداً منك، وإننى أتقبله  
شاكراً، وسوف أعود بعد لحظة، على كل حال، وأخبرك بما سوف أفعله،  
وأعتقد أننى قد أكون فى حاجة إلى مساعدتك».

قال الخادم: «حسناً»، ووضع فانوسه على الأرض، ثم جلس فوق قاعدة  
منخفضة لعلها كانت بعضاً من آثار ترميم المنزل «سوف أنتظر هنا، اذن،  
ويمكنك أن تترك معى شمعتك أيضاً!»، قال ذلك لكارل وهو يهم بهبوط  
درجات السلم ممسكاً بالشمعة المضاءة فى يده.

قال كارل: «إننى لا أعى الآن ما أفعله!»، وأعطى الشمعة للخادم الذى  
أوماً له فحسب، وكان من الصعب أن يقطع المرء بما إذا كانت إيماعته تلك  
مقصودة، أو أنها كانت مجرد حركة عفوية صدرت عنه عندما راح يتحسس  
لحيته بيده..

فتح كارل الباب الذى اضطرب فى صوت مرتفع رغماً عنه، فقد كان  
عبارة عن لوح واحد من الزجاج، كان يوشك على أن يقفز مخلوعاً من مكانه  
عندما يفتح فى غير احتراس، دفعه كارل متعجلاً من مقبضه، وتركه يتأرجح  
خلفه فى اضطراب مزعج، وكان كارل يريد أن يدخل الغرفة هادئاً غاية  
الهدوء، وأحس دون أن يستدير نحو الباب بأن الخادم يقف خلفه، كان قد

نهض من جلسته فوق القاعدة وتبعه، لكي يغلق الباب خلفه بحذر دون أن يصدر عنه أى صوت.

وجه كارل حديثه للسيدتين قائلاً: «اغفرا لى ازعاجى لكما». فنظرا إليه بوجهين مستديرين، قد علتها الدهشة، وألقى كارل فى هذه الأثناء بنظرة سريعة فى أنحاء الحجر، ليرى إن كانت قبعته فى مكان ما، إلا أنه لم يعثر عليها، وكانت الأطباق التى فوق المائدة قد رفعت جميعا، فظن فى ضيق أن قبعته ربما كانت قد رفعت أيضا إلى المطبخ مع الأطباق.

سأله مستر بوللاندر: «لكن أين تركت كلارا؟». بدا أن تهجم كارل لم يسبب له أى إزعاج، لأنه كان قد اعتدل فى مقعده، وأدار وجهه ناحية كارل، وبدا عدم الاكتراث على وجه مستر جرين الذى أخرج من جيبه كتابا من كتب الجيب، أضخم فى الحجم وعدد الصفحات من أى كتاب آخر من نوعه، وراح يبحث بين صفحاته عن صفحة ما، لكنه ظل يقرأ صفحات أخرى منه فى أثناء بحثه عن تلك الصفحة.

قال كارل: «لى رجاء أرجو ألا تسيء فهمه!»، وكان قد اندفع مسرعا نحو مستر «بوللاندر»، ثم وضع يده على ذراع مقعده، حتى يقترب منه بقدر ما يستطيع.

وتساءل مستر «بوللاندر»: «وما عسى أن يكون هذا الطلب؟!»، وكان ينظر إلى كارل نظرة صريحة واضحة: «إنه طلب أوافق عليه مقدماً!»، ووضع ذراعه حول كارل، وسحبه بين ركبتيه، واستسلم كارل، مع أنه كان يشعر بأنه كان كبيرا بالنسبة لهذا التذليل، إلا أن هذه المعاملة جعلت تصريحه بطلبه مع ذلك أكثر صعوبة.

وأضاف مستر «بوللاندر» متسائلا: «ما الذى أحسست به بصراحة، بوجودك هنا، ألا ترى أن المرء يجد شيئا من الحرية عند خروجه من المدينة

إلى الريف، عادة؟» ونظر بطرف عينه نحو مستر جرين، نظرة لها معنى لا تهبطه العين، وإن كان كارل قد حجب تلك النظرة عن مستر جرين إلى حد ما: «إن هذا الشعور ينتابني عادة كل مساء!». «

وحدث كارل نفسه قائلاً: «إنه يتكلم، وكأنه لا يعلم شيئاً عن هذا المنزل الهائل، وهذه الردهات التي لا حصر لها، ولا عن المقصورة والحجرات الخالية، أو الظلام الذى يجثم فوق كل مكان!». «

قال مستر «بوللاندر»: «حسناً.. وما هو طلبك؟»، وجذب كارل الذى كان يقف صامتا إليه فى ود.

قال كارل: «أرجو...»، ولم يكن فى مقدوره مهما حاول خفض صوته أن يمنع جرين الذى كان يجلس خلفه من سماع كل شىء، وقد كان يسره لو تمكن من إخفاء هذا الطلب عنه، هذا الطلب الذى قد يفسر بسهولة على أنه إهانة موجهة لمستر «بوللاندر»: «أرجو.. أن تسمح لى بالعودة إلى منزلى الآن، رغم تأخر الوقت!». «

وما أن تفوه بأسوأ ما فى طلبه، حتى انطلقت البقية كلها بعد ذلك، فقال دون أدنى موارد أشياء لم يكن قد فكر فيها من قبل: «إننى أريد قبل كل شىء، أن أعود إلى منزلى، وسوف يسرنى أن أرجع ثانية إلى هنا، ويسعدنى أن أكون حيث تكون يا مستر بوللاندر، لكننى لا أستطيع أن أبقي هنا الليلة بالذات، إنك تعلم أن خالى لم يكن راغباً فى السماح لى بهذه الزيارة، ولست أشك فى أنه كان يملك أسباباً كافية لذلك، كما توجد لديه دائماً أسباب كافية لكل شىء يعمله، وقد تهيأ لى من الجسارة ما جعلنى أفرض عليه بالفعل أن يسمح لى بها، على الرغم من أنه كان على صواب. إننى قد قمت ببساطة باستغلال عطفه على، إننى لم أهتم مطلقاً باعتراضاته، لأننى أعلم تمام العلم، أن تلك الاعتراضات لم تكن لتغضبك يا



مستر «بوللاندر»، لأنك صديقه المفضل، أفضل أصدقاء خالي جميعا، ولا يمكن لأى شخص آخر أن يقارن بك مطلقا من بين أصدقاء خالي، وقد كان هذا هو العذر الوحيد لعدم طاعتي لخالي، مع أنه عذر لا يكفى، ولعلك لا تعرف الكثير عن علاقتى بخالي، ولهذا فساأذكر لك النقاط الأساسية فى هذه العلاقة، فإلى أن تنتهى دراستى للغة الإنجليزية، وطالما لم أتحوّل إلى الحياة العملية كلية، فإننى أعيش معتمدا كل الاعتماد على كرم خالى الذى أقبله، بالطبع، لصلة القرابة التى تربطنا. ولا يجب أن تظن أن بإمكانى حتى الآن أن أكسب عيشى بسهولة، وقد شاء الله أن يحرمنى من كل وسيلة أخرى أستعين بها على مواجهة الحياة، وأصرح بأن تعليمى لم يكن تعليما عمليا يؤهلنى لكسب العيش، لقد اجتزت بدرجات متوسطة أربع سنوات دراسية بإحدى المدارس الثانوية بأوروبا، إلا أن هذه الدراسة لا تجدى شيئا، ولا تنفع المرء بالمرّة فى مواجهة الحياة، ذلك لأن مدارسنا متخلفة غاية التخلف فى تدريس أساليب مواجهة الحياة، وقد تضحك لو أننى أخبرتك بالأشياء التى تعلمتها فى تلك السنوات الأربع، ولو أتيح لصبى مثلى أن يمضى فى دراسته، فينتهى من الدراسة الثانوية، ثم يلتحق بالجامعة، فربما أفاد ذلك فى النهاية، وزوده بمعرفة تامة، تؤهله للقيام بعمل من الأعمال، وتمنحه الثقة فى قدرته على السعى وراء الرزق، لكننى - لسوء الحظ - لم أتمكن من مواصلة الدراسة المنتظمة، ويخيل إلى أحيانا أننى لا أعرف شيئا بالمرّة، وعلى أية حال، فأرقى معلوماتى لا يمكنها أن تعيننى على مواجهة الحياة فى أمريكا. لقد أدخلت حديثا بعض الإصلاحات على نظم التدريس ببعض المدارس الثانوية فى بلدى، فأصبحت تدرس اللغات الحديثة، وقد تدرس أحيانا بعض المواد التجارية، إلا أن تلك النظم الحديثة، لم تكن قد وجدت بعد، عندما انتهيت من دراستى الابتدائية، والتحقّت بالمدرسة الثانوية،

ولاشك أن والدي كان يريدني أن أتعلم اللغة الإنجليزية، لكن لم يكن في مقدوري أن أتنبأ وقتها بسوء حظي، وبأنني سأحتاج إلى استعمال اللغة الإنجليزية في يوم من الأيام، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد كان على أن أتعلم في المدرسة أشياء أخرى كثيرة، فلم يتسع وقتي لدراسة اللغة الإنجليزية، إنني أذكر هذا كله لكي أوضح لك مدى اعتمادي على خالي، وإلى أي حد أعتبر نفسي مدينا له، نتيجة لذلك. ولعلك توافقني على أن وضعي، نظرا لهذه الظروف، لا يسمح لي بأن أسيئه أدنى إساءة، أو أعصي حتى أوامره التي لا يعلنها. فلو كان لي أن أكفر ولو عن نصف الغلطة التي ارتكبتها الآن بالفعل بمجيئي إلى هنا بغير رضاه، فيجب على أن أعود إلى المنزل في الحال».

خلال هذه الخطبة الطويلة التي ألقاها «كارل»، كان مستر «بوللاندر» يستمع في انتباه، ويضغط على كارل من حين لآخر ضغطا خفيفا، لم يكن كارل يشعر به، وخاصة كلما كان كارل يذكر اسم (خاله جيكوب)، وكان يحرق في جدية، مرات عديدة، وكأنه كان يتوقع شيئا من جرين، الذي كان مشغولا بكتاب الجيب الذي كان يتصفحه. وكان كارل قد بدأ يشعر بقلقه يزداد، ويزداد، كلما اتضحت له علاقته بخاله أكثر فأكثر خلال خطبته، وجاؤ لا شعوريا تخليص نفسه من نراع بوللاندر. كل شيء هنا كان يعوقه، الطريق المؤدى إلى خاله، خلال الباب الزجاجي، و.. هبوط الدرجات، والسير بطول الطريق، وعلى امتداد الطرق الريفية، وخلال الضواحي، إلى الشارع الرئيسي العريض حيث يقوم منزل خاله، تهيأت له كلها شبكة دقيقة التنظيم، تستلقى هناك خاوية وملساء، وممهدة، تدعوه بأعلى صوتها، واختلطت رقة مستر «بوللاندر»، بسماجة مستر جرين. كان كل ما جاء يرجوه من هذه الحجرة الممتلئة بالخنان هو السماح له بالعودة، وأحس

بانفصاله عن مستر بوللاندر، ويرغبته في محاربة مستر جرين، وكان كل ما حوله عبارة عن خوف غامض، كانت وطأته قد جعلته عاجزاً عن الرؤية. وتراجع خطوة إلى الخلف، ثم توقف على مسافة متساوية من مستر بوللاندر، ومستر جرين.

تساءل مستر «بوللاندر» قائلاً، وهو يمسك بيد مستر جرين فى توسل، مستديراً نحوه: «أليس لديك شيئاً تقوله له؟».

وقال مستر جرين: «لست أدرى ماذا يمكننى أن أقوله له»، قالها مستر جرين بعد أن أخرج خطاباً من بين صفحات كتاب الجيب أخيراً، ووضعته أمامه على المائدة، وأضاف قائلاً: «إن رغبته فى العودة إلى خاله مسألة تخصه، وبإمكان المرء أن يزعم أن عودته تجلب السرور إلى خاله، ما لم يكن قد تسبب بالفعل فى إغضاب خاله غضباً شديداً بعصيانه له، ذلك العصيان الذى كان هو كل ما أمكنه أن يقدمه لخاله. ولست أشك فى هذه الحالة إنه من الأفضل له أن يبقى هنا. من الصعب أن يقطع المرء بشيء، إننا كلينا صديقان لخاله، وليس من السهل أن يقول المرء إن كانت صداقتى لخاله أوثق، أو صداقة مستر بوللاندر له، ومع ذلك فنحن لا يمكننا أن نعرف ما الذى يفكر فيه خاله الآن خاصة بينما تفصلنا هذه المسافة التى تبلغ عدة أميال، عن نيويورك».

قال كارل، وهو يقاوم نفوره، مقترباً من مستر جرين: «يمكننى أن أفهم مما قلتَه إنك أنت أيضاً ترى أنه من الأفضل لى أن أعود إلى خالى فى الحال».

فأجاب مستر جرين قائلاً: «لم أقل شيئاً من هذا!»، وعاد مرة أخرى إلى تأمل الخطاب، وراح يمر بأصابعه عن حوافه، ويبدو أنه كان يرى أن مستر

بوللاندر قد وجه إليه سؤالاً، وأنه أجاب عليه، على حين لا علاقة له بكارل على الإطلاق.

عند ذلك تقدم مستر «بوللاندر» نحو كارل، واقتاده في رقة مبتعداً عن مستر جرين، في اتجاه النافذة الكبيرة، ثم قال وهو ينحنى على أذن كارل، ويمر بمنديله على وجهه تمهيداً لما يود أن يقوله، حتى اصطدم المنديل بأنفه، فأفرغه مستخدماً منديله: «عزيزى مستر روسمان، لا يتبادر إلى نفسك الظن بأننى أريد أن استبقيك هنا على الزغم منك، هذه مسألة لا مجال فيها للشك، ولا يمكننى أن أضع السيارة تحت تصرفك، إننى أعترف بذلك، لأنها قد وضعت فى جراج عام يبعد مسافة غير قصيرة من هنا، فلم يتسع لى الوقت بعد لبناء جراج هنا، ولا يزال أمامى أن أعيد بناء كل شىء هنا، كما أن السائق لا يبيت هنا أيضاً، ولكنه ينام فى مكان ما بالقرب من ذلك الجراج، ولست أدرى أنا نفسى بالفعل أين ينام. وعلاوة على ذلك، فليس الوقت الآن وقت عمله، ولا يتوقع المرء ظهوره إلا فى الوقت المناسب فقط، فى الصباح. مع إننى لا أعتبر هذا كله عقبات تحول دون عودتك إلى خالك، لأنك لو صممت على ذلك، فسوف أصبحك فى الحال إلى أقرب محطة سكة حديد، رغم بعدها عن هذا المكان، حيث لا يمكنك أن تصل إلى خالك فى هذه الحانة، قبل وصولك إليه فى صباح الغد، فى عربتى، إلا بوقت قصير، فسوف نعود معا إلى نيويورك فى الساعة صباحاً».

قال كارل: «سوف أذهب إذن بالقطار يا مستر بوللاندر بالفعل، إننى لم أفكر فى استخدام القطار مطلقاً، ولقد ذكرت أنت نفسك أننى يمكننى أن أصل بالقطار قبل وصولى معك فى صباح الغد، بعربتك!».

- «لكن الفارق لن يكون ذا أهمية فى هذه الحالة!».

قال كارل: «حتى ولو لم يكن الفارق كثيرا.. حتى لو حدث ذلك يا مستر بوللاندر، إننى يسرنى دائما أن أجيء ثانية إلى هنا، ذاكرًا عطفك بالطبع، هذه هى الحقيقة، إذا قدر لك بعد ما رأيته من سلوكى هذه الليلة أن تدعونى لزيارتك مرة أخرى، وربما أمكننى أن أشرح لك فى زيارتى القادمة، على نحو أكثر وضوحا، لماذا كانت كل دقيقة تبعدنى عن خالى الآن، مسألة بالغة الخطورة!».

وأضاف قائلا، كما لو كان قد حصل بالفعل على الإذن بالرحيل: «لكننى أرى أنه لا ضرورة لأن تصحبنى بنفسك الآن، لا ضرورة لذلك فى الحقيقة بالمرّة، ويوجد خادم يقف الآن خارج هذه الغرفة، يسره أن يدلنى على الطريق إلى المحطة، والآن ينبغى علىّ فقط أن أبحث عن قبعتى!». وبهذه الكلمات مضى عبر الحجرة، ليلقى نظرة سريعة أخيرة، عسى أن تكون قبعته فى مكان ما.

قال مستر جرين: «يمكننى أن أزودك بقبعة!»، وأخرج قبعة من جيبه قدماها له قائلا: «ربما نفعتك الآن هذه القبعة!».

وتوقف كارل مندهشا، ثم قال: «لكننى لا يمكننى أن أنتزع منك قبعتك، ويمكننى بدلا من ذلك أن أمضى حاسر الرأس، لست فى حاجة إلى أى شىء!».

«خذها، إنها ليست قبعتى!».

قال كارل: «فى هذه الحالة، أشكرك!»، وتناول القبعة متعجلا، حتى لا يتأخر أكثر من ذلك، وارتداها، ولم يتمالك نفسه من الضحك، لأنها كانت تناسبه تماما، ثم خلعا ثانية، وتفحصها، إلا أنه لم يجد بها العلامة الخاصة التى كان يبحث عنها، كانت تبدو وكأنها قبعة جديدة للغاية، قال: «إنها تناسبنى تماما!».

صاح المستر جرین، وهو يضغط على المائدة بإبهامه: «إذن فالقبة تناسبك؟».

كان كارل فى طريقه إلى باب الحجره، لیبحث عن الخادم، عندما نهض مستر جرین، وتمطى بعد وجبته الدسمة، وراحته الطويلة، وضرب صدره بيده عدة ضربات مدوية، وقال لكارل فى صوت يجمع بين النصيحة والأمر: - «يجب عليك قبل أن ترحل أن تقول وداعا للآنسة كلارا!».

ووافقه مستر بوللاندر، الذى كان قد نهض واقفا هو أيضا، قائلا: «نعم، يجب أن تفعل ذلك!»، ومن طريقة نطقه لهذه الكلمات، كان يمكن للمرء أن يقول إنها لم تكن قد خرجت من أعماقه، وراح يخبط بيده فى ضعف على جانب بنطلونه، ويزرر جاكته، ثم يفك أزرارها مرة أخرى، تلك الجاكتة البالغة القصر، والتي لم تكن تصل إلى عجزه، طبقا للموضة السائدة، إلا أنها كانت رداء لا يليق برجل ضخم الجثة كمستر بوللاندر. وكان فى إمكان المرء أن يلاحظ فى وضوح، وهو يقف بجوار مستر جرین، أن سمعة مستر بوللاندر لم تكن مظهرا من مظاهر الصحة، كان ظهره السمين منحيا إلى حد ما، وبدا كرشه ناعما ومترهلا، كان يبدو عبئا عليه بالفعل، وكان وجهه السمين شاحبا، ومهموما وربما كان مستر جرین يبدو أكثر بدانة من مستر بوللاندر، إلا أنها كانت بدانة متناسقة، ومتوازنة فى جميع أجزاء جسده، وكان يقف بكعبيه متلاصقين، كأنه جندي، ويرفع رأسه فى استقامة مرحة، كان يبدو كرياضى كبير، أو كابتن فرقة رياضية.

واستأنف مستر جرین حديثه قائلا: «عليك أن تذهب الآن أولا إلى الآنسة كلارا، فقد يسرك هذا، كما أنه يتناسب تماما مع ترتيباتى الزمنية، فلدى فى الحقيقة أمر هام سوف أخبرك به قبل أن تغادر هذا المنزل، أمر لعله يحسم أيضا مسألة عودتك إلى نيويورك أو عدم عودتك إليها، إلا أننى مضطر لسوء

الحظ، بناء على التعليمات التي تلقيتها، ألا أفشى لك شيئا مما لدى قبل منتصف الليل، وعليك أن تدرك أنني أسف أنا نفسي لذلك، ففيه إقلاق لراحتي هذه الليلة، لكنني سألتزم بالتعليمات التي تلقيتها، إنها الحادية عشرة والرابع الآن، ويمكنني أن أفرغ في خلال الفترة الباقية من الوقت من مناقشة أعمالى مع مستر بوللاندر، تلك المناقشة التي قطعها أنت، ويمكنك أنت أيضا أن تقضى وقتا ممتعا مع الأنسة كلارا، وعليك أن توافقنا هنا في تمام الثانية عشرة، حيث أنهى إليك بما يتحتم عليك أن تلم به».

فهل كان فى وسع كارل أن يرفض هذا الطلب، الذى يفرضه عليه التأدب، والعرفان بفضل مستر بوللاندر، والذى توجه إليه به، علاوة على ذلك، رجل وقح، فى حقيقة الأمر، ولا مبال، بينما لم يتدخل مستر بوللاندر الذى يعنيه هذا الأمر بكلمة، ولا حتى بنظرة؟ وماذا عساها أن تكون تلك الأخبار الهامة التى لم يكن له أن يعلمها قبل منتصف الليل؟ إن لم تكن هذه الأخبار لتعجل بعودته فى خلال ثلاثة أرباع الساعة الباقية هذه على الأقل، بدلا من تضييعها عليه كاملة، فلا شك أنها أخبار لا تهمه فى شيء. إلا أن ما كان يحيره أكثر هو تفكيره فيما إذا كان سيجد الجراة على زيارة كلارا أصلا، على الرغم من عدائها له، فلو كان معه الآن خنجر كذلك الذى أعطاه له خاله، ليستعمله ثقلا للخطابات! فلن تكون حجرة كلارا تلك دون شك سوى وكر خطير لا يعرف الأمان. كان يستحيل عليه تماما أن يذكر شيئا يسيء إلى كلارا هنا، فلقد كانت ابنة بوللاندر، وخطيبة ماك أيضا، كما عرف أخيرا، فلو كانت قد سلكت معه سلوكا مغايرا بعض الشيء، لكان قد أعجب بها فى الحقيقة لتلك الروابط التى تربطها ببوللاندر، وماك، كان لا يزال مستغرقا فى كل تلك الخواطر، عندما أدرك أن أحدا لم يكن ينتظر منه ردا على الإطلاق، ذلك أن جرین قد فتح الباب، وقال للخادم الذى هب

واقفا من فوق القاعدة التي كان يجلس عليها «اصحب هذا الشاب إلى الأنسة كلارا!».

حدث كارل نفسه، عندما هرول الخادم، وهو يئن لضعفه، واقتاده في صمت تام، نحو حجرة كلارا: «هذا هو إذن الأسلوب الذي يتم به تنفيذ الأوامر هنا!»، وعندما مر كارل من أمام حجرته، التي كان بابها مفتوحا لا يزال، سأل الخادم أن يتيح له الفرصة لكي يدخلها للحيطة، على أمل أن يجمع شتات نفسه، إلا أن الخادم لم يسمح له بذلك. قال له: «لا.. يجب أن تأتي معي فوراً إلى الأنسة كلارا، لقد سمعت ذلك بنفسك!».

قال كارل: «ولكنني أريد دخول الحجرة لمدة دقيقة فقط!» كان يتطلع إلى الاسترخاء، مستلقيا فترة وجيزة فوق الأريكة، محاولا إضاعة الوقت حتى يحين منتصف الليل.

فقال الخادم: «لا تحاول أن تعوقني عن أداء واجبي!».

وحدث كارل نفسه، قائلاً: «يبدو أنه يظن أن زهابي إلى الأنسة كلارا هو نوع من العقاب»، وسار بضع خطوات قليلة، لكنه توقف بعدها ثانية في عناد.

قال الخادم: «تقدم أيها السيد الصغير، ما دمت لم ترحل، إنني أعلم أنك ترغب في الرحيل الليلة، إلا أننا لا نحقق عادة ما نرغبه، ولقد أخبرتك بالفعل أن رحيلك يكاد يكون مستحيلاً!».

فقال كارل: «إنني لا أرغب في الرحيل، إلا أنني سأرحل بالفعل رغم ذلك، وإنني ذاهب إلى الأنسة كلارا فقط، لكي أقول لها.. إلى اللقاء!».

قال الخادم: «هل الأمر كذلك؟!»، ولاحظ كارل أن الخادم لم يكن يصدق ما قال: «فلماذا إذن لا ترغب في أن تقول لها إلى اللقاء؟.. هيا.. تعال!».

جاءهما صوت كلارا، قائلة:



- «من الذى فى الردهة؟»، وشاهدها وهى تتحنى وتتطلع إلى الردهة برأسها، خارج أحد الأبواب القريبة، وفى يدها لمبة مكتب كبيرة لها غطاء أحمر، وأسرع الخادم إليها، وذكر لها سبب وجوده، وتبعه كارل متباطئاً. قالت كلارا: «لقد جئت متأخراً!».

ولم يرد عليها كارل فى الحال، ولكنه قال للخادم فى رفق، لكن فى لهجة أمره فيها شيء من الحزم، لأنه كان قد فهم الآن شخصية هذا الرجل: «سوف تنتظرنى أمام هذا الباب».

قالت كلارا: «لقد كنت على وشك الذهاب إلى الفراش»، ووضعت اللمبة فوق المنضدة، وأغلق الخادم الباب من الخارج فى هدوء: «إنها الحادية عشرة والنصف الآن تماماً!».

فقال كارل متسائلاً وكأن هذا الخبر كان نذيراً له بالإسراع: «هل تعدت الحادية عشرة والنصف؟»، فى هذه الحالة إذن، يجب على أن أقول إلى اللقاء فى الحال، لأننى يجب أن أكون فى حجرة الطعام فى تمام الساعة الثانية عشرة!».

قالت كلارا: «وما هو هذا الأمر الذى يدعوك إلى هذه العجلة!».

كانت تسوى فى شروذ طيات قميص نومها، وكان وجهها متورداً، وكانت تبتسم، فرأى كارل أنه لم يكن هناك ما يندرز بوقوع اشتباك فى مشاجرة أخرى مع كلارا؟ وأضافت قائلة: «هل يمكنك مع ذلك أن تعزف لى قليلاً على البيانو كما وعدنى بابا بالأمس، وكما وعدت أنت الليلة؟».

قال: «نعم، ولكن أليس الوقت متأخراً لذلك الآن!»، كان يحاول أن يرضيها، لأن سلوكها كان مختلفاً الآن تماماً عن ذى قبل، كما لو كانت قد ارتفعت إلى مستوى رقة بوللاندر، وماك أيضاً.

قالت: «نعم، إن الوقت متأخر بالفعل!»، وبدا وكأن رغبتها فى الاستماع إلى العزف قد تلاشت الآن، لأنها أضافت تقول: «كما أن أى صوت يصدر

الآن، سيتردد صداه خلال المنزل كله، وأخشى لو عزفت أن يستيقظ الخدم الذين ينامون فى الطابق العلوى!».«

- «لست كما ترين مصرا على العزف، وأمل أن أعود مرة أخرى، فى أى يوم آخر، أو إذا لم يثقل عليك، أن تقومى بزيارة خالى، وتلقين نظرة على حجرتى أثناء وجودك، فأنا أمتلك بيانو رائعاً، أهده لى خالى، ولو شئت فسوف أعزف لك حينئذ كل مقطوعاتى، وإن لم تكن كثيرة لسوء الحظ، كما أنها لا تليق أيضاً بذلك البيانو الرائع، الذى يصلح لعازف بارع، لكن ربما أتيح لك الاستماع إلى عزف لا بأس به، لو حدثت لى مقدما موعد قيامك بهذه الزيارة، لأن خالى ينوى إحضار مدرس مشهور لكى أتدرب على يديه.. ولك أن تتخيلى إلى أى حد أترقب حضور ذلك المدرب، ولاشك أن عزفه سيكون جديرا بأن تشرفينى بزيارتك للحظات خلال درس من هذه الدروس، وحتى أكون صريحا معك غاية الصراحة، فإننى أعترف لك بارتياحى لتأخر الوقت، وبأننى لن أعزف لك الآن، فأنا لا أجيد العزف فى الحقيقة، ولو عزفت لك الآن، فسوف تدهشين لرداءة عزفى، فاسمحن لى الآن بالرحيل.

كما أن موعد زهابك إلى الفراش، فوق ذلك، لابد أنه قد حان الآن!»  
وأضاف قائلاً بابتسامة، عندما كانت كلارا تتطلع إليه فى رقة، ويبدو كأنها لا تضمّر له أية ضغينة بسبب المشاجرة، ومد لها يده: «فى بلدى يقول الناس، نوما هنيئاً، وأحلاما سعيدة!».

قالت دون أن تتناول يده: «انتظر، فعلك تريد أن تعزف لى رغم ذلك»، واختفت خلال باب جانبى صغير، كان البيانو بجانبه.

وحدث كارل نفسه قائلاً: «وما هو الحل فى هذه الحالة.. لا يمكننى أن أبقى طويلاً، حتى ولو بدا سلوكها معى بهذه الرقة!» وانبعثت طرقة على باب

الحجرة، وهمس الخادم من خلال فرجة الباب الضيقة، دون أن يجروء على فتحه: «اسمح لى، لقد دعيت الآن، ولا يمكننى أن أنتظر أكثر من ذلك!». فأجابه كارل، وكان يحس الآن بالثقة فى قدرته على أن يجد الطريق إلى حجرة الطعام بمفرده: «يمكنك الذهاب إذن، لكن اترك لى فانوسك أمام الباب، كم الساعة الآن؟!».

قال الخادم: «الثانية عشرة إلا الربع تقريباً!».

قال كارل فى نفسه: «إن الوقت ينقضى فى ببطء»، وتذكر كارل حين هم الخادم بإغلاق الباب أنه لم يمنحه بقشيشاً، فأخرج شلناً من جيبه - كان يحمل قطع الفكة المعدنية الآن تشخلل فى جيب بنطلونه على الطريقة الأمريكية، أما أوراق البنكنوت فكان يضعها فى جيب صديريه -، وناول الشلن للخادم قائلاً: «خذ هذا مقابل عطفك!».

وكانت كلارا قد عادت، وهى تربت على شعرها المرتب بأصابعها عندما خطر لكارل ألا يترك الخادم ينصرف، وإلا فمن الذى سيده له على الطريق إلى محطة السكة الحديد؟ حسناً، لا شك أن مستر «بوللاندر» سيتمكن من أن يتصيد خادماً من مكان ما، وربما كان ذلك الخادم العجوز قد دعى إلى حجرة الطعام، وعلى هذا فسوف يعود إلى جلوسه فوق القاعدة التى جلس عليها من قبل.

- «ألن تعزف لى حقاً على البيانو ولو قليلاً؟! إن المرء نادراً ما يستمع إلى الموسيقى هنا، فمن المؤسف أن يفقد المرء فرصة تتاح له بالاستماع إلى قليل من العزف!».

قال كارل: «إن علىّ إذن أن أبدأ العزف فى وقت غير مناسب!»، وجلس إلى البيانو فى الحال، دون أن يضع فى اعتباره شيئاً آخر سوى تأخر الوقت.

وسألته كلارا: «هل تحتاج إلى نوتات موسيقية معينة؟!»  
فأجابها قائلاً: «لا .. شكرا، إننى حتى لا أجد قراءة الموسيقى قراءة  
صحيحة».

وبدأ يعزف..

كانت قطعة صغيرة تلك التى كان يجيد عزفها، وكان يجب أن يعزفها فى  
بطء، حتى يمكن فهمها، وخاصة بالنسبة للغرباء، إلا أنه عزفها مسرعا فى  
مارش واحد صاحب، وهبط السكون الذى كان قد تشوش فى كل أنحاء  
المنزل مرة أخرى، عندما فرغ كارل من العزف. وظلا جالسين فى مكانهما،  
وكانت قد تجمدا من الارتباك، فلم يأتيا بأية حركة.

ثم قالت كلارا: «عزف جيد بالفعل!»، لم يكن يوجد أى شكل من أشكال  
المجاملة يصلح لإطراء كارل بعد ذلك العرض الموسيقى الذى فرغ منه  
بأقصى سرعة.

سألها قائلاً: «كم الساعة الآن؟».

- «الثانية عشرة إلا الربع!».

قال: «إذن فلا يزال أمامى قليل من الوقت!»، وحدث نفسه قائلاً: «ترى  
ما هى تلك القطعة الأخرى؟»، ثم أضاف قائلاً: «لا يمكننى أن أعزف القطع  
العشر التى أعرفها جميعا، إلا أننى يمكننى أن أعزف من بينها لحنا واحدا  
على الأقل بصورة جيدة قدر المستطاع! وبدأ فى عزف لحنه المفضل، وهو  
«أنشودة الجندي»، فى بطء شديد، حتى أثار فى نفس من تستمع إليه،  
الرغبة فى الاستماع إلى قطعة أخرى، رفض كارل أن يعزفها فى البداية، ثم  
اضطر إلى أن يعزفها أخيرا على مضض، كان عليه أولا أن يبحث عن  
المفاتيح بعينه كما يفعل عند عزف أى من مقطوعاته، ثم تذكر قطعة أخرى  
كانت تنتهى بنفس نهاية القطعة التى يعزفها، فاستغرق فى تذكر النهاية

الصحيحة. ثم قال بعد أن فرغ من العزف: «لست عازفاً مجيداً!»، وهو يتطلع إلى كلارا، والدموع تترقرق في عينيه!.

ثم انبعث صوت تصفيق من الحجرة المجاورة، فصاح كارل قائلاً وهو يتراجع فجأة إلى الخلف: «يوجد شخص آخر كان يستمع!».

فقالت كلارا بركة: «إنه ماك!»، وسمع كارل بالفعل صوت ماك، وهو يهتف: «كارل روسمان.. كارل روسمان!».

فقفز مطوحاً ساقيه من فوق مقعد البيانو، وفتح الباب! رأى ماك شبه مضطرب في فراش ثنائى ضخم، بينما تنتشر البطاطين فوق ساقيه في اضطراب، ورأى كذلك ستارة من الحرير الأزرق كانت هي الديكور الوحيد للفراش، كانت تشي بذوق تلميذات المدارس، وكان الفراش بسيطاً فيما عدا ذلك غاية البساطة، شائع الطراز، ومصنوعاً من الخشب الرخيص، وكانت شمة شمعة تحترق فوق المنضدة التي بجوار الفراش، لكن الملاءات، وثياب ماك الليلية كانت بيضاء ناصعة كلها، حتى أن ضوء الشمعة الساقط عليها كان ينعكس على نحو يبهر الأبصار، وكانت الستارة تشع هي أيضاً، عند حوافها على الأقل، بتموجاتها الخفيفة الحريرية، المتهدلة. وكان باقى الفراش إلى جوار ماك مباشرة غارقاً، كما كان يغرق كل شيء آخر في ظلام حالك، ومالت كلارا تستند إلى عمود الفراش، وعيناها مثبتتان لحظتها على ماك.

هتف ماك وهو يمد يده إلى كارل قائلاً: «هاللو.. إنك تعزف عزفاً جيداً جداً، ولم أكن أعلم حتى الآن بموهبتك فى ركوب الخيل فقط!».

قال كارل: «لست أجد لا هذا ولا ذاك!»، ولو كنت أعلم أنك كنت تتسمع لما كنت قد عزفت، لاشك فى ذلك، إلا أن هذه السيدة الصغيرة..»، وتوقف كارل عن متابعة حديثه، كان قد تردد فى أن يقول (خطيبتك) بعد أن رأى ماك وكلارا يشتركان بالفعل فى نفس الفراش!.

ورد ماك قائلاً: «إلا إننى أدركت وجود تلك الموهبة، وهكذا تحتم على كلارا أن تغريك بالمجئ من نيويورك إلى هنا، وإلا ما أتيح لى أن أستمع إلى عزفك بالمرّة، ولا شك أنه عزف هواة، واضح جداً، وخاصة فى المقطوعتين الأخيرتين، وقد كانتا بسيطتين غاية البساطة، وتمرنّت أنت جيداً على عزفهما، ولقد ارتكبت خطأً أو اثنتين، إلا أنهما قد سببا لى سرورا زائداً، مع تجاوز حقيقة أننى عادة لا أستخف بالعازفين مهما كان مستوى عزفهم، لكن ألا تجلس؟ ألا تمكث معنا فترة قصيرة؟! قدمى له مقعداً يا كلارا!». «

قال كارل فى خشونة: «شكراً، لا يمكننى أن أبقى، وإن كان يسعدنى ذلك، ولقد قضيت وقتاً طويلاً فى هذا المنزل قبل أن أكتشف وجود مثل تلك الغرفة المريحة!». «

قال ماك: «سوف أعيد بناء كل شىء على هذا الطراز!». «

وفى تلك اللحظة دق جرس ما اثنتا عشر دقيقة فى تتابع سريع، كل دقيقة منها فى أعقاب الأخرى، وكان كارل يكاد يحس بهبات الهواء الذى حركته ذبذبة دقائق ذلك الجرس الهائل فوق خديه، أى نوع من القرى تلك القرية التى يوجد بها مثل ذلك الجرس؟..

قال كارل مندفعاً إلى الردهة، وهو يمد يده لملك وكلارا، دون أن يشد على أيديهما: «لقد حان وقت زهابى!». «

لم يجد الفانوس أمام الباب، وندم على تسرعه فى منح الخادم بقشيشاً، وراح يتحسس طريقه بطول الحائط إلى حجرته، لكنه ما كان يقطع نصف المسافة إليها، حتى رأى مستر جرين، وهو يتطوح مسرعاً نحوه، وقد رفع يده إلى أعلى بشمعة، بينما تقبض أصابع يده نفسها على خطاب.

- «روسمان، لماذا لم تأت؟ لماذا تركتني أنتظرك؟ وما الذي أبغاك بحق الجحيم كل هذا الوقت مع الأنسة كلارا؟».

حدث كارل نفسه قائلاً: «يا لها من أسئلة لا حصر لها!»،

ثم ها هو الآن يدفعني إلى الحائط!»، وكان جرين حقا قد توقف ملتصقا بكارل، الذي كان عليه أن يستند بظهره إلى الحائط، وكان جرين قد بدا في هذه الردهة في حجم بالغ الضخامة، فتساءل كارل بينه وبين نفسه، ساخرا، إن كان جرين قد التهم مستر بوللاندر أيضا؟

- «إنك لست رجلا يعول في كلمته دون ريب، فلقد وعدت أن تهبط إليّ في الطابق الأسفل، في تمام الساعة الثانية عشرة، وبدلا من أن تفعل ما وعدت به، بقيت هنا تحوم حول باب الأنسة كلارا، لكنني كنت قد وعدت بإطلاعك على بعض الأخبار الهامة، وها هي».

ثم سلم كارل الخطاب. وقرأ كارل فوق مظروفه: «إلى كارل روسمان، يسلم له شخصيا، عند منتصف الليل، حيثما وجد»

قال مستر جرين، بينما كان كارل يفض الخطاب: «أظن أنني كنت أستحق أن تتقدم إليّ بالشكر، لمجرد حضوري بالعربة إلى هنا من نيويورك بسببك، بدلا من أن تنتظر مني أن أطاردك أيضا في هذه الردهات!».

قال كارل، وهو يستدير إلى مستر جرين، بمجرد أن نظر إلى الخطاب: «إنه من خالي، لقد كنت أتوقعه!».

ورد عليه مستر جرين قائلاً: وهو يرفع الشمعة إلى أعلى: «سواء كنت تتوقعه أو لا تتوقعه، فشئى لا يهمنى بالمرّة، عليك فقط أن تقرأه!».

وقرأ كارل على ضوء الشمعة:

ابن أختي العزيز..

إننى فى حقيقتى، كما لعلك قد تحققت الآن خلال فترة صداقتنا البالغة للقصر، رجل أعمال، وربما كان هذا أمرا لا يسر، بل لعله أن يكون شيئا محزنا، لا يحزن فقط هؤلاء الذين يتصادف احتكاكهم بى، بل إنه ليحزننى أنا نفسى أيضا، إلا أن أعمالى هى التى صنعتنى، وليس لأحد أن يطلب منى أن أتخلى عن طبيعتى، ولا حتى أنت يا ابن أختى العزيز، ولقد كنت أنت اختيارى الأول فلو كان لى أن أقبل شيئا من قبيل هجومك الشامل على طبيعتى، لكنت انتزعتك عندئذ من وسط الناس جميعا، بيدى هاتين اللتين تمسكان الآن بهذا الخطاب، وأجسستك فوق رأسى، لكن لما لم يكن لى أن أفعل شيئا من هذا، فيجب على بعد حادثة اليوم، أن أقصيك عنى فى الحال، وأننى أرجو منك ألا تزورنى بنفسك، ولا أن تحاول أن تتصل بى كذلك لا بالكتابة، ولا عن طريق الوسطاء. ولقد قررت أنت هذه الليلة أن تفارقنى، على غير رغبتى، فاثبت إذن عند قرارك هذا مدى الحياة، فعندئذ فقط يكون قرارا جيدا برجل. ولقد اخترت مستر جرين، أفضل أصدقائى، ليحمل إليك هذه الأخبار، ولاشك أنه سيجد شيئا من الكلمات المشجعة لكى يقولها لك، ولا تحضرنى أنا الآن مثل تلك الكلمات. إنه رجل قادر على التأثير فى الآخزين، وسيزودك ولو كمجرد مجاملة لى فحسب، ببعض نصائحه، ومعونته فى خطواتك الأولى المستقلة التى تخطوها. وسيفسر لك انفصالنا الذى يبدو لى الآن، مرة أخرى، مستعصيا على الفهم وأنا أنهى هذا الخطاب. إن علىَّ يا كارل أن أقول لنفسى المرة بعد الأخرى، أنه ليس لى أن



أتوقع خيرا من أسرتك. فلو نسى مستر جرين أن يسلمك صندوقك ومظلتك، فذكره بهما.

مع أفضل تمنياتي بتوفيقك المقبل.

المخلص لك

خالك جيكوب

تساءل جرين: «هل انتهيت من القراءة».

قال كارل: «نعم.. هل أحضرت معك الصندوق والمظلة؟».

قال جرين: «ها هو»، ووضع صندوق كارل السفري القديم، الذي كان يخفيه خلف ظهره حتى الآن بيده اليسرى، على الأرض بجوار كارل.

وعاد كارل فسأله مرة أخرى: «والمظلة؟».

قال جرين: «كل شيء هنا!»، وأخرج كذلك المظلة التي كانت مدلاة من أحد جيوب بنطلونه، ثم أضاف قائلاً: «لقد أحضر هذه الأشياء، رجل يدعى شوبال، وهو مهندس فى خط هامبورج - أمريكا الملاحى، وذكر أنه كان قد وجدها فوق ظهر الباخرة، ولعلك تجد وسيلة لكى تتقدم إليه بالشكر فى فرصة ما!».

فقال كارل، وهو يضع المظلة فوق الصندوق: «لقد حصلت الآن ثانية على أشياءى القديمة على الأقل!».

ورد عليه مستر جرين قائلاً: «لكن عليك أن تهتم بها أكثر من هذا فى المستقبل، ولقد طلب منى السيناتور أن أنبهك إلى ذلك! ثم أضاف متسائلاً بدافع الفضول الخالص فيما يبدو: «يا له من طراز غريب من الحقائق، هذا الصندوق!؟».

فأجابه كارل قائلاً: «إنه واحد من تلك الحقائق التى يصحبها الجنود فى بلدى معهم عند انضمامهم إلى الجيش، لقد كان حقيبة الجيش القديمة

الخاصة بأبى، إنه صندوق مفيد أيضا للغاية، وأضاف بابتسامته، وهو يتطلب منك لهذا ألا تتركه خلفك فى مكان من الأماكن!». .

فقال مستر جرين: «لقد تلقيت درسا كافيا بعد كل شىء، وأظن أنه ليس لك خال آخر فى أمريكا، وثمة شىء آخر بقى لك معى، هو تذكرة سفر بالدرجة الثالثة إلى سان فرانسيسكو، وقد قررت أن أرسلك إليها، أولا لأن فرص كسب العيش تتاح لك بوفرة فى الغرب، ولأن لخالك، من ناحية أخرى، يدا فى كل شىء هنا، ستجد له يدا فى أى عمل تراه مناسباً لك، ويجب ألا يقع أى لقاء بينكما مطلقاً. ويمكنك فى سان فرانسيسكو أن تقوم بما يروق لك من الأعمال، فابدأ إذن من القاع، وحاول أن تشق طريقك شيئاً فشيئاً، صاعداً إلى أعلى!». .

لم يجد كارل أى نوع من الخداع فى هذه الكلمات، ولقد بلغته الأخبار السيئة، التى ظلت مخبأة فى جراب جرين طوال الليل، وبدا له جرين الآن شخصا مسالماً ربما أمكن له أن يتحدث إليه فى صراحة، لعله لا يستطيع أن يتحدث بها إلى أى شخص آخر. كما أنه كان أفضل شخص أمكن اختياره، على الرغم منه، ليحمل إليه مثل ذلك السر، وتلك الرسالة المؤلمة، وقد كان حتماً عليه أن يبقى شخصاً مريباً طالما كان عليه أن يحتفظ بها بينه وبين نفسه!

قال كارل: «سوف أغادر هذا المنزل فى الحال!». وكان يأمل أن يجد قراره هذا تأييداً من مستر جرين لخبرته فى هذا الشأن ثم أضاف قائلاً: «ذلك إننى كنت قد دعيت إلى هذه الزيارة مجاملة لخالى، ولا محل الآن

لوجودى هنا كشخص غريب، فهل تتكرم بأن تدلنى على الطريق إلى خارج هذا المنزل؟ وأن تخبرنى كيف أصل إلى أقرب فندق؟!».

قال جرين: «يمكننى أن أفعل ذلك بأسرع مما تتوقع، وأعتقد أنك لا تخرج من التصريح لى بما تريدنى أن أفعله من أجلك، أليس كذلك؟!».

توقف كارل فجأة، وهو ينظر إلى الخطوات الواسعة التى كان جرين يخطوها.. إن مثل هذه العجلة تبدو مريبة للغاية، فأمسك لهذا بذيل معطف جرين، وقد أدرك فجأة حقيقة الموقف، قائلاً: «هناك شىء آخر يجب عليك أن تفسره لى، فعلى المظروف الذى سلمته لى، قد كتب أن على أن أتسلمه عند منتصف الليل، حيثما تصادف وجودى، فلماذا إذن والأمر كذلك، حجزتني هنا عن الرحيل فى الساعة الحادية عشرة والربع؟ لقد خالفت بذلك ما وجه إليك من تعليمات!».

وشوح جرين بيده، وهو يجيب قائلاً، فى ضيق بالغ، اتضح منه مدى سخافة سؤال كارل: «هل كان مكتوباً فوق المظروف أن على أن أقتل نفسى من الإجهاد فى مطارديك، والسعى فى أثرك، وهل تشير محتويات الخطاب أدنى إشارة إلى أن التعليمات التى تتضمنها يمكن أن تفسر على هذا النحو؟!» إننى لو لم أكن قد حجزتك هنا، لكان على حينئذ أن أسلمك الخطاب بالتحديد، فى الطريق العام!

فقال كارل فى غير اقتناع: «لا.. إن الأمر ليس كذلك، فلقد كتب على المظروف: «يسلم عند منتصف الليل»، وربما يكون التعب قد نال منك عندئذ، فلم يسعك أن تتعقبني بالمرة، ولعلنى كنت قد وصلت إلى منزل خالى عند منتصف الليل، ولنفرض مثلاً أن مستر بوللاندر لم يخطر بباله أن شيئاً من هذا يمكن أن يحدث، أو أنه كان من واجبك أنت، باختصار، أن تعيدنى إلى خالى بعربتك التى تجاهلت وجودها بالمرة بتلك الصورة المتعمدة، وخاصة

أنتى كنت متشبثاً بالعودة، ألم يذكر نص الخطاب فى غاية الوضوح أن منتصف الليل كان هو الموعد المحدد لى؟ وأنت الملموم وحدك، بعد أن فاتتى هذا الموعد؟!».

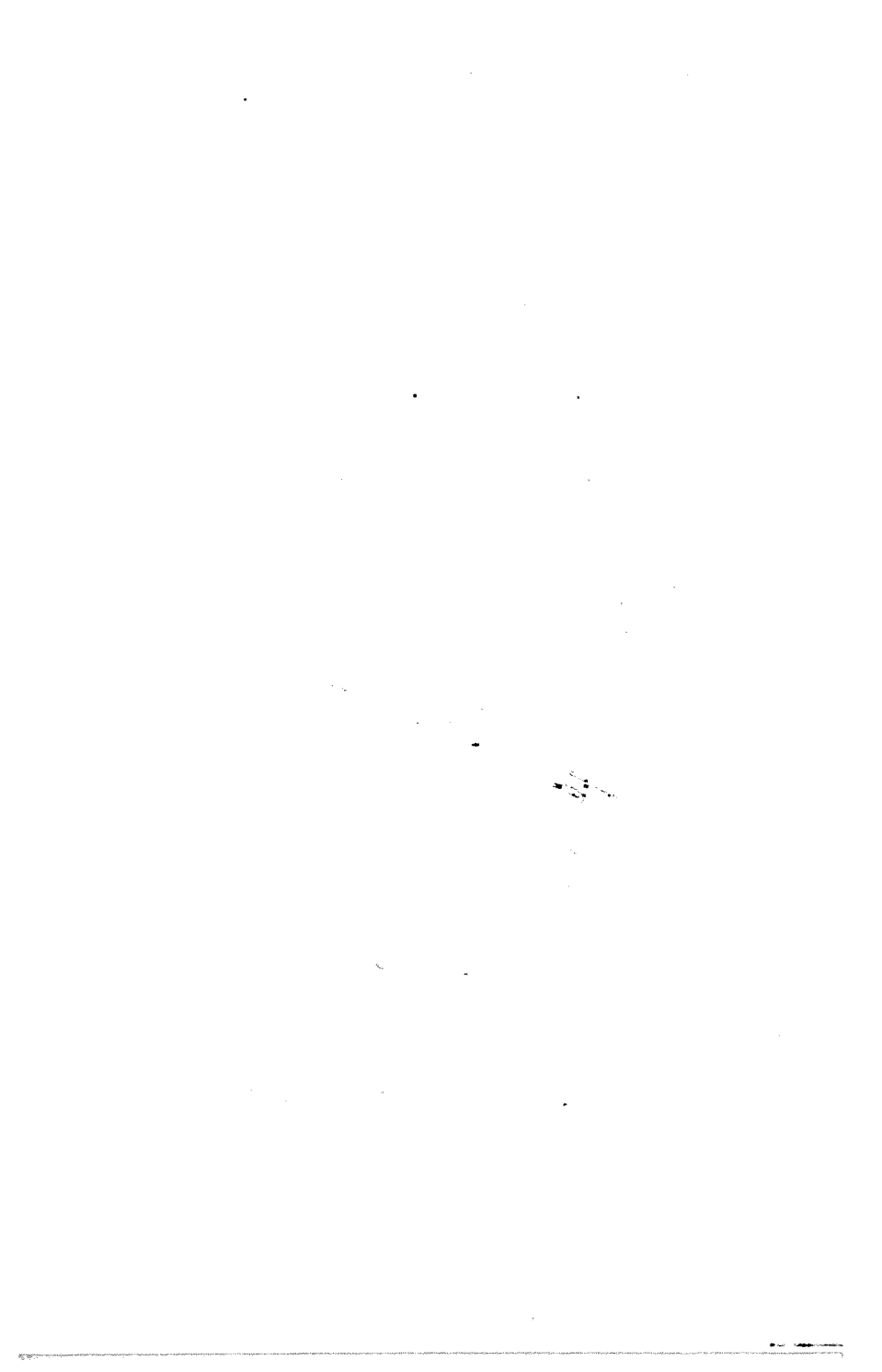
نظر كارل إلى جرين نظرة ماكرة، ورأى أن الخجل أمام هذه المواجهة كان قد علا وجه الرجل مختلطاً بالفرح لنجاح تدبيره، حتى تمالك نفسه فى النهاية، ليقول محتدماً، وكأنه يضع حداً لاتهامات كارل، رغم أن كارل كان قد لاز بعد ذلك بالصمت لفترة طويلة: «لا تتفوه بكلمة أخرى!».

ورفع كارل مرة أخرى صندوقه، ومظلته، وسار بهما نحو باب صغير دفعه، فأنفتح أمامه.

ووجد كارل نفسه فى الخلاء لدهشته، ورأى درجات سلم خارجى بلا درابزين كان يؤدى إلى الحديقة، كان عليه فقط أن يهبط درجاته، ثم يستدير نحو اليمين حتى يبلغ الممر الذى يؤدى إلى الشارع.

وفى ضوء القمر الساطع استطاع فى سهولة أن يتبين طريقه، وكان يصله نباح الكلاب المتزايد التى كانت تنطلق بلا قيد فى أرجاء الحديقة تحت ضوء القمر، وتقفز هنا وهناك بين ظلال الأشجار، وكان يسمع فى السكون صوت ارتطام تلك الكلاب فوق العشب بعد قفزاتها الهائلة.

وتمكن كارل من مغادرة الحديقة، دون أن تتعرض له الكلاب، ولم يكن يدرى على وجه اليقين، فى أى اتجاه كانت تقع نيويورك، إلا أنه لم يكن عندما غادر الحديقة، قد انتبه إلى شىء من التفاصيل التى قد تصبح ذات نفع له الآن، ثم قال فى نفسه أخيراً إنه لا يوجد الآن ما يدفعه إلى الذهاب إلى نيويورك، حيث لا يتوقع مجيئه أحد، وحيث يوجد بالتأكيد رجل معين لا يتوقع مجيئه مطلقاً وعلى هذا فقد اختار اتجاهاً صادفه، وانطلق سائراً فيه.



### الطريق إلى رمسيس

فى الحانة الصغيرة التى بلغها كارل بعد فترة قصيرة من السير، والتى كانت عبارة عن مجرد مطعم صغير، كان سائقو لوريات وعربات نيويورك يتناولون طعامهم فيها، وكانت تستعمل أحياناً كمأوى ليلى، طلب كارل أرخص فراش يمكنه أن يقضى فيه ليلته، وكان قد رأى أنه يجب عليه أن يبدأ فوراً فى التمشق، وعندما كان يقف فى انتظار تلبية طلبه، لوح له صاحب الحانة طالباً منه أن يصعد إلى أعلى الدرج، كما لو كان خادماً بسيطاً، واستقبلته فى أعلى الدرج عجوز شمطاء، شعثناء الشعر، كانت متجهمة لأنها كانت قد نهضت من نومها، وراحت تحذره - دون أن تستمع إليه مطلقاً - لا يحدث أية ضوضاء، وأن يتقدم فى هدوء بينما كانت تتقدمه حتى بلغت حجرة، أغلقت بابها خلفه، بعد أن همست له قائلة: «هست»!

ولم يتمكن كارل فى البداية من أن يدرك هل كانت ستائر النافذة مسدلة أو أنه لم تكن توجد بالغرفة نافذة على الإطلاق، فقد كان الظلام حالماً، لكنه تبين فى النهاية كوة جذب غطاءها، فانتشر بداخل الحجرة قليل من الضوء، ورأى بالحجرة فراشين، كانا مشغولين كليهما بالفعل، فقد كان يستلقى فوقهما شابان، مستغرقين فى نوم عميق، لم يكن شكلهما يوحى بالاطمئنان للوهلة الأولى بلا سبب مفهوم، كانا مستغرقين فى النوم بملابسهما كاملة، وكان أحدهما ينتعل حذاءه أيضاً.

رفع أحد الشابين المستغرقين فى النوم، عندما كشف كارل غطاء الكوة،  
ذراعيه وساقيه قليلاً إلى أعلى فبدا منظره غريباً، حتى أن كارل لم يستطع  
إلا أن يضحك فى نفسه بالرغم من حذره.

وسرعان ما تحقق كارل من أنه - على الرغم من عدم وجود أى شىء  
بالغرفة يمكنه أن ينام فوقه، لا فراش ولا أريكة، ولا أى شىء - لن يمكنه أن  
ينام هنا بحال من الأحوال، فلم يكن فى مقدوره أن يجازف بفقدان صندوقه  
الذى عثر عليه أخيراً، وبفقدان النقود التى يحملها، إلا أنه لم يرغب فى  
مغادرة المكان أيضاً، فلم يكن يدرى كيف يواجه المرأة العجوز وصاحب  
الحانة إذا غادر المكان بهذه السرعة، ولعله بعد هذا كله، أن يكون آمناً هنا  
على الأقل، نفس الأمان الذى قد يتاح له فى الخلاء، إذا هو غادر المكان فى  
هذا الوقت المتأخر من الليل، ولا شك أنه كان من الغريب ألا يجد بالحجرة  
أى أثاث بقدر ما أمكنه الرؤية فى ذلك الضوء الخافت، لكن، ربما كان هذان  
الشابان خادمين بالحانة، وعليهما أن ينهضا من نومهما فى وقت مبكر  
استعداداً لخدمة النزلاء، ولعلهما لهذا السبب كانا ينامان بملابسهما، فلم  
يكن أمامه ما يدعو للفخر فى هذه الحالة أيضاً دون شك إن كان عليه أن  
ينام فى حجرتهما بعد أن يغادراها، لكنه على أية حال أمر يقل فيه عنصر  
المجازفة، ومع ذلك فليس له أن يستغرق فى النوم استغراقاً تاماً، مهما كانت  
الأحوال، حتى يتأكد من صحة افتراضاته هذه بصورة لا تقبل الشك.

وتحت الفراش كانت توجد شمعة بجوارها بضعة أعواد من الثقاب،  
زحف كارل فى حذر، وتناولها، لم يكن يخشى إشعال الشمعة، فقد كانت  
الحجرة تخصه كما تخص الشابين الآخرين، اللذين كانا قد نعما بالنوم إلى  
ما بعد منتصف الليل، بالإضافة إلى انفرادهما بالفراشين اللذين كان

يعدهما ميزة لا تعدلها ميزة أخرى فى تلك اللحظات، ومع ذلك فقد كان يتجول فى أنحاء الحجرة بغاية الحذر حتى لا يتسبب فى إيقاظهما.

كان يود أولاً أن يفحص محتويات صندوقه، ويجرد أشياءه التى لا يكاد يذكرها الآن بصورة واضحة، تلك الأشياء التى لا شك قد اختلفت أهمها بالفعل، فما أن تمتد يد شوبال إلى شىء حتى يكاد يتلاشى الأمل تقريباً فى أن تسترده ثانية كما كان، وربما كان قد توقع بالطبع بقشيشاً كبيراً من الخال جيكوب، لكن لو أن شيئاً قد فقد بالفعل من محتويات الصندوق، فعليه ببساطة أن يلقى لومه على الحارس الأسمى للصندوق، مستر باتربوم!

ولقد انزعج كارل عندما نظر فى داخل الصندوق للوهلة الأولى، كم من الساعات أنفقها خلال رحلته، فى ترتيب، وإعادة ترتيب أشياءه، لكى يجد كل شىء الآن مضطرباً بداخله ذلك الاضطراب الشنيع، حتى أنه لم يكد يدير المفتاح فى القفل حتى قفز الغطاء إلى أعلى تلقائياً.

ثم اكتشف فى التولفرحته، أن السبب الوحيد فى تلك الفوضى، هو أن شخصاً ما كان قد أضاف إلى محتويات الصندوق أيضاً بدلته التى كان يرتديها خلال الرحلة، ولم يكن الصندوق بالطبع، ليتسع لها إلا بصعوبة، لم يكن أى شىء من محتويات الصندوق قد فقد ولم يجد فى الجيب السرى لجاكته جواز سفره فقط، بل وجد أيضاً النقود التى كان والداه قد زداه بها، وأصبح لهذا، بالإضافة إلى ما كان يحمل من نقود، مزوداً الآن بقدر كاف من المال، وحتى الملابس الداخلية التى كان يرتديها عند وصوله كانت موجودة كذلك بداخل الصندوق وكانت قد غسلت، وتم كيها، وضع نقوده وساعته فى داخل جيبه السرى الأمين من فوره، وكان الشىء الوحيد الذى أسف له كارل هو أن قطعة لحم السالامى الفيرونيزية التى كانت موجودة فى الصندوق، كانت قد خلفت رائحتها على كل الملابس، فلو استطاع أن



يجد طريقة لإزالة تلك الرائحة من الملابس التي كان عليه أن يتجول بها فى كل مكان لعدة شهور؟

وبينما كان يبحث عن شىء ما فى قاع الصندوق - وهو كتاب مقدس فى حجم الجيب، وبعض أوراق الخطابات، وصور فوتوغرافية لوالديه - سقطت القبعة من فوق رأسه إلى داخل الصندوق، وتبينها على الفور من حروفها المتأكلة، كانت هى قبعته نفسها، التى كانت والدته قد أعطته إياها ليرتديها فى أثناء الرحلة، ولم يكن قد استعملها رغم ذلك على الباخرة من قبيل التوفير فقد كان يعلم أن الناس فى أمريكا يرتدون القبعة المستديرة بدلاً من القبعة العالية، ولم يكن يريد أن يستهلك هذه القبعة لذلك قبل أن يصل إلى أمريكا، وما هو مستر جرين قد استعملها فقط لمجرد استغفاله، فهل كان الخال جيكوب قد نبه عليه بأن يفعل ذلك أيضاً؟ وبحركة حانقة لا شعورية جذب كارل غطاء الصندوق، فانغلق مدوياً فى عنف.

لم يعد أمامه الآن أية حيلة فى الأمر، فقد استيقظ النائمان، تمدد أولهما وتثأب ثم تبعه الآخر فى الحال ففعل نفس الشىء، كانت كل محتويات الصندوق مكومة فوق المنضدة، فلو كان هذان الرجلان لصين، فلم يكن عليهما إلا أن يتقدما نحوه، ويضعا أيديهما على ما يروق لهما، وتقدم كارل وهو يحمل الشمعة فى يده نحو الفراشين، كمحاولة لمواجهة هذا الاحتمال، والتأكد من حقيقة وضعه وفسر لهما كيف دخل هذه الحجرة فلم يبد عليهما أنهما كانا ينتظران أى تفسير، فقد ظللا يحدقان إليه فحسب دون أن يتمكنوا من الرد عليه، فقد كان النوم يغلبهما، ولم يجد كارل على وجهيهما أثراً للدهشة أو استنكاراً لوجوده، كانا شابين، إلا أن العمل الشاق، أو الفقر كان قد أبرز عظام وجنتيهما بصورة ملحوظة، وكانت تتهدل من ذقنيهما خصلات لحيتين شعثاوتين وكان شعرهما أشعث كذلك، وبدا أنه لم يطق

منذ فترة طويلة، لأنه كان متلبداً فوق فروتي رأسيهما، ودعكا أعينهما لغائرة التي كان النوم لا يزال يغلقهما.

وقرر كارل أن يستغل جيداً حالة الضعف المؤقت التي كانا يبدوان عليها في تلك اللحظة فقال: «إن اسمي هو كارل روسمان، وإننى ألماني الجنسية، فاذكرا لى اسميكما لو تفضلتما بذلك، بما أننا نشغل معاً نفس الغرفة، ومن أى بلد جنئتما، وأصرح لكما كذلك بأننى لا أتطلع إلى مزاحمتكما فى فراشيكما، فلقد وصلت متأخراً، وليست لدى أدنى رغبة فى النوم، على أية حال، كما أنه لا ينبغى لكما أن تسيئاً فهم حالى نظراً للبدلة الحسنة التي أرتديها، فأنا معدم تماماً، وبلا أدنى أمل».

وأشار أصغر الرجلين - وهو ذلك الذى كان ينام منتعلاً حذاءه - بيديه وساقيه وحركة جسده، بما يدل على عدم اهتمامه بهذا كله وبأنه لا يملك وقتاً للاستماع إلى هذه المعلومات، واستلقى ثانية على الفراش، متأهباً لاستئناف نومه فى الحال، لكنه قال ملوحاً بيده قبل أن يعود إلى النوم: «هذا الشاب الذى هناك يدعى روبنسون، وهو إيرلندى، أما أنا فأدعى ديلا مارش، وأنا فرنسى، والأن أرجوك أن تلتزم الهدوء!» وما أن فرغ من ذلك، حتى أطفأ شمعة كارل بنفخة شديدة من فمه، وألقى برأسه فوق الفراش.

قال كارل فى نفسه: مستديراً نحو المنضدة «حسناً لقد زال الخطر الآن مؤقتاً!»، فإذا لم يكن نومهما الآن مفتعلاً، لكان كل شىء على ما يرام، وكان الشىء الوحيد الذى لم يرتح إليه، هو أن أحدهما كان إيرلندياً، ولم يكن فى إمكان كارل أن يتذكر فى أى كتاب كان قد قرأ ذات مرة، عندما كان فى بلده، أن على المرء إذا قدر له أن يذهب إلى أمريكا، أن يحذر الإيرلنديين، وقد كانت أمامه، عندما كان يقيم فى منزل خاله، فرصة ممتازة بلا شك، كان يمكنه أن يستفسر فيها عن ذلك الخطر الإيرلندى، لكنه كان قد اعتقد

حينذاك بأنه كان قد تحصن تماماً ضد كل الأخطار حتى نهاية حياته، فقد أهمل بحث ذلك الأمر تماماً، ورأى كارل أن عليه أن يلقي الآن على الأقل نظرة فاحصة، على الرجل الإيرلندى فى ضوء الشمعة، التى أشعلها ثانية، ووجد أن الرجل يبدو محتملاً فى حقيقة الأمر أكثر من الرجل الفرنسى، كانت وجنتاه لا تزالان تحملان أثراً من الاستدارة، وكان يبتسم فى نومه، بصورة ودود، بقدر ما أتيح لكارل أن يرى، عندما كان يقف على أطراف أصابعه على مسافة بعيدة من الرجل وهو يتطلع إليه.

وقرر كارل بصورة قاطعة ألا ينام على الرغم من كل شىء، وجلس فوق المقعد الوحيد بالحجرة، وأجل إعادة ترتيب أشيائه بداخل الصندوق لبعض الوقت، ثم تناول صورة فوتوغرافية لوالديه، كان يقف فيها والده الشاب منتصب القامة خلف والدته، التى جلست فوق مقعد ذى مسندين، منطوية على نفسها إلى حد ما، وكانت إحدى يدي والده تستند على ظهر المقعد، بينما كانت يده الأخرى المضمومة تستقر فوق كتاب مصور فوق ترابيزة صغيرة كانت بجانبه، وكانت ثمة صورة فوتوغرافية أخرى كانت تضم كارل مع والديه، وكانا يتطلعان إليه فيها باهتمام، بينما كان هو يحملق فى الكاميرا كما طلب منه المصور، إلا أنه لم يحضر معه هذه الصورة عند رحيله.

وتفحص الصورة التى أمامه فى تركيز، وحاول أن يواجه نظرة والده من مختلف الزوايا، إلا أن والده لم يتجسد أمام عينيه، مهما كان يحاول أن يعدل تعبير وجهه فى الصورة بتحريك الشمعة فى اتجاهات مختلفة، ولا كان شاربه الكثيف الأفقى، يبدو حقيقياً هو أيضاً، لم تكن صورة جيدة إلا أن والدته رغم ذلك كانت قد تبدت له على نحو أفضل، كان فمها مزموماً كما لو كانت تعاني ألماً، ولا بد لها مع ذلك أن ترغب نفسها على الابتسام، وبدا

لكارل أن أى شخص ينظر إلى هذه الصورة لا بد سيفاجأ بهذا الشعور، حتى لقد بدأ يدرك أنه كان تفسيراً مبالغاً فيه، فكيف يمكن لصورة فوتوغرافية أن تشئى بالمشاعر الدفينة بهذا الوضوح؟ وحول نظرته قليلاً، بعيداً عن الصورة وعندما تفحصها ثانية لاحظ يد والدته التى امتدت إلى الأمام، تركت مسند الكرسى وتحركت إلى مقدمة الصورة، فبدت قريبة منه جداً حتى بدا فى إمكانه أن يتناولها ويقبلها، وفكر هل من الواجب عليه أن يكتب إلى والديه، مع أنهما قد حذراه ألا يكتب إليهما، (وخاصة والده الذى نبه عليه فى حزم بالغ بالآلا يفعل ذلك وهو يودعه فى هامبورج)، فى تلك الليلة الأليمة، كان قد اتخذ قراراً حاسماً بالآلا يكتب إليهما، عندما أخبرته والدته وهى تقف إلى النافذة بأن عليه أن يرحل إلى أمريكا، لكن ماذا يهم قرار صبى عديم الخبرة، فى مثل تلك الحالة؟.. وبعد تلك التطورات الجديدة؟ ولعله كان قد قرر أيضاً حينئذ أن شهرين فى أمريكا سوف يتسعان له لكى يبلغ منصب قائد الجيش الأمريكى المرابط، لا أن يقبع الآن هنا فى مثل هذا الوكر إلى جانب اثنين من المشردين، فى مطعم خارج نيويورك، هذا المكان الذى كان يناسبه تماماً، طالما لم يكن أمامه سوى أن يقبله، وتفحص وجهى والديه بابتسامة كما لو كان يحاول أن يقرأ فى ملامحهما مدى استعدادهما لأن يتلقيا أخباراً من ابنهما.

وشغله مقدماً خوفاً من أن يدركه الإرهاق فى النهاية، وألا يتمكن من البقاء مستيقظاً طوال الليل، و.. سقطت الصورة من بين يديه، فوضع وجهه فوقها، واستمتع بلمسها البارد تحت خده، وفى شئ من الارتياح استغرق فى النوم.

واستيقظ فى الصباح المبكر عندما أحس بلكزة تحت إبطه، كان الرجل الفرنسى قد سمح لنفسه بأن يلكزه تلك اللكزة، إلا أن الإيرلندى كان يقف

أيضاً إلى جانب المنضدة، وكانا يتطلعان إليه بلا مبالاة، كتلك التي أبدياها تجاهه في أثناء الليل ولم يدهش كارل لأنهما لم يوقظاه معهما عندما استيقظا، فلم يكن هناك ما يدعوه إلى الارتياب في حركاتهما المتلصصة لأنه كان غارقاً تماماً في نومه وبدا له أنهما لم يبذلا مطلقاً أدنى مجهود في ارتداء ثيابهما، كما بدا له من مظهرهما أنهما لم يغتسلا كذلك.

وقدما إليه نفسيهما الآن في شيء من التكلف على أنهما ميكانيكيان ظلا متعطلين لمدة طويلة في نيويورك، ولهذا كان الحال قد انحدر بهما إلى هذه الصورة، ولكي يبرهن له روبنسون على ذلك، فك أزرار ستترته ليبين له أنه لم يكن يرتدى قميصاً فوق جسده، إلا أن المرء كان يسعه أن يخمن ذلك من تهدل ياقة السترة التي كانت قد أحكمت فقط إلى العنق! وقد كانا في طريقهما إلى مدينة صغيرة هي باتر فورد، وتبعد مسافة يومين سيراً على الأقدام من نيويورك، حيث أشيع أن فرص العمل تتوفر بها، ولم تبدر منهما أية اعتراضات على انضمام كارل إليهما، ووعدا بأن يتبادلا حمل صندوقه، وأن يجدا له عملاً أيضاً كصبي إذا تمكنا من العثور على عمل لهما، وهو أمر يسهل تدبيره إذا توفر العمل أساساً، ووافقهما كارل على ذلك، فنصحاها في لهجة ودية أن يخلع بدلته الجيدة التي يرتديها، والتي ستعوقه في بحثه عن عمل، وقد كان في تلك الحانة نفسها فرصة صالحة للتخلص من تلك البدلة، لأن المرأة العجوز تتجر في الملابس القديمة، وفي الحال، عاونا كارل - الذي لم يكن قد قرر بصورة نهائية ما سيفعله في أمر البدلة - على خلعها، واختفيا بها، وعندما خلا كارل إلى نفسه، وكان لا يزال تحت تأثير النعاس، ارتدى في تكاسل بدلته القديمة، وهو يلوم نفسه لأنه قد وافق على بيع البدلة الجيدة، التي قد تعوقه الآن بالفعل عن الحصول على عمل كصبي، إلا أنها تتيح له أن يظهر في صورة حسنة إلى حد كاف، عندما يتطلع إلى

وضع أفضل في فرصة أخرى، وفتح الباب في الحال لكي يدعو الرجلين إلى العودة بالبدلة، لواجههما عندما فتح الباب واقفين أمامه، مزودين بنصف دولار وضعاه فوق المنضدة أمامه ثمناً لبدلته، وفي الوقت نفسه كان يبدو عليهما الانشراح إلى حد أنه كان يصعب على المرء ألا يعتقد بأنهما قد استفادا بشيء من الثمن، وأنهما قد استفادا فائدة كبيرة أيضاً، لشدة قرف كارل!

لكن لم يكن هناك متسع من الوقت حتى يتحدث إليهما كارل في هذا الشأن، فقد اندفعت المرأة العجوز إلى داخل الحجرة، وهي تغالب نومها كما بدت في الليلة السابقة، وراحت تدفعهم جميعاً أمامها إلى خارج الحجرة وهي تقول لهم أن الحجرة يجب أن تخلو الآن لوجود بعض النزلاء الجدد ولم يكن هناك مجال لبحث هذا الأمر، ولم تكن هناك حاجة إلى القول بأنها كانت تفعل ذلك كمجرد خدعة، وكان على كارل عندما شرع في جمع أشياءه في داخل الصندوق، أن يتطلع إليها، وهي تجمعها بدلاً منه بكتفا يديها وتقفز بها في عنف إلى داخل الصندوق، كانت تحاول التخلص منهم كما لو كانوا ثلاثة من الحيوانات الكاسرة، تريد أن تطردهم خارجاً بأسرع ما يمكنها، وظل الميكانيكيان يراوغانها، ويدوران حولها ويجذبان طرف رداؤها، ويلطمانها فوق ظهرها، لكن لو أنهما كانا يعتقدان أنهما بذلك يساعدان كارل لكانا مخطئين في ظنهما خطأً بالغا! وعندما أغلقت العجوز الصندوق، ألقَتْ بمقبضه بين أصابع كارل، ودفعت الميكانيكيين، وساقتهم جميعاً أمامها إلى خارج الحجرة وهي تهدد، بأنهم إن لم يسارعوا بالخروج، فإنها لن تقدم لهم القهوة، وبدا واضحاً أنها قد تناست تماماً أن كارل لم يكن في صحبة الميكانيكيين من البداية، لأنها كانت قد طاردهم جميعاً، ولما كان الميكانيكيان

قد بأعا لها بدلة كارل، فوق ذلك، فقد وشى ذلك كله بشيء من التضامن  
بينهما وبينها.

كان عليهم أن يذرعوا الممر ذهاباً وجيئةً وقتاً طويلاً، وأقسم الرجل  
الفرنسى الذى كان قد أمسك بذراع كارل، فى وضوح منقطع النظير مهدداً  
بأن يطرح صاحب الحانة أرضاً لو جرؤ على الظهور، وضرب قبضتيه  
المطبقتين فى هياج، كما لو كان يستعد للمواجهة، وأخيراً ظهر صبي ضئيل  
برى المظهر، كان صغيراً للغاية حتى لقد كان عليه أن يقف على أطراف  
أصابعه لكى يناول القهوة للرجل الفرنسى، ولم يكن هناك لسوء الحظ شيء  
سوى اللعبة الصفيح، ولم يكن فى مقدورهم أن يوضحوا للصبي حاجتهم  
إلى الأكواب.

وهكذا لم يكن عليهم سوى أن يتناوبوا تناول القهوة من اللعبة الصفيح،  
الواحد منهم بعد الآخر بينما يقف الآخرون فى انتظار دورهما ولم يكن  
كارل ليقبل تناول القهوة على هذا النحو، لكنه لم يرغب أيضاً فى إهانة  
الآخرين، ولهذا رفع اللعبة الصفيح إلى شفتيه عندما حان دوره، إلا أنه لم  
يشرب شيئاً منها رغم ذلك.

وطوح الرجل الفرنسى بالعبة على الدرجات الحجرية إيذاناً بالرحيل  
وغادروا الحانة دون أن يلحظهم أحد وتقدموا نحو ضباب الصباح الكثيف  
الضارب إلى الاصفرار، وساروا فى صمت جنباً إلى جنب على حافة  
الطريق، وكان على كارل أن يحمل صندوقه لأن الآخرين لم يظهرها ما يدل  
على استعدادهما لحمله ليتيحا له أن يرتاح قليلاً، إلا عندما كان كارل يطلب  
منهما ذلك، وكانت تندفع من حين لآخر سيارة من خلال الضباب وكان  
الثلاثة يديرون رؤوسهم، ليتطلعوا نحو السيارة التى تبدو هائلة الحجم، ثم  
تنطلق كالسهم، حتى أنهم لم يتمكنوا من رؤية أحد بداخلها، ثم أخذت

قابلهم صفوف من العربات التي تحمل التموين إلى نيويورك، تلك العربات  
لتى كانت تندفع فى عكس اتجاههم فى صفوف خمسة تشغل عرض  
لطريق، ويستمر ذلك التتابع الذى لا ينقطع، حتى أن أحداً لم يكن يمكنه أن  
عبر الطريق إلى الجانب الآخر، وكان الطريق يتسع أحياناً حتى يبدو أشبه  
ميدان، كان يقوم فى منتصفه هيكل شبيه بالبرج، يقف بداخله رجل بوليس  
همته الإشراف على حركة كل شىء، وكان يوجه تلك الحركة فى الطريق  
لرئيسى، والطرق الجانبية التى تتصل به، بمؤشر صغير فى يده وكان هذا  
لرجل هو المشرف الوحيد على حركة المرور إلى أن تصل تلك الحركة إلى  
لميدان التالى، وإلى عسكرى المرور التالى، ويتم توجيهها فى أثناء ذلك  
كفاءة، وتلقائية باليقظة الصامتة التى يبديها سائقو اللوريات والعربات،  
يلقد دهش كارل أشد الدهشة للهدوء الشامل، فلولا خوار القطيع اللامبالى  
لذى كان فى طريقه إلى الجزر، فلعلك لم تكن لتسمع سوى وقع الأقدام،  
يطنين موتورات العربات، ولم تكن سرعة تلك العربات بالطبع واحدة على  
لدوام، وكانت تقوم حركة تنظيم واسعة النطاق للمرور فى بعض الميادين  
بسبب اندفاع حركة السيارات من الشوارع الجانبية، فكانت صفوف طويلة  
من العربات تتوقف فجأة عندئذ، وهى تهتز عدة بوصات إلى الأمام، لكن بعد  
حظات قصيرة، كان كل شىء يندفع إلى الأمام مرة أخرى بسرعة الضوء،  
ثم تتوقف الحركة كلها ثانية دفعة واحدة، كما لو كانت قد توقفت كلها بفرملة  
واحدة، وتمضى تلك الحركة كلها فى جو رائق، بلا أدنى أثر للغبار الذى  
يرتفع تحت العجلات من الطريق، لم يكن هناك مارة، ولا بائعات يسرن  
وحيدات بطول الطريق نحو المدن كما فى بلد كارل، لكن من حين لآخر كانت  
تظهر عربات لورى ضخمة، كانت تقف فوقها ما يقرب من العشرين امرأة  
بالسلال على ظهورهن، ولعلهن كن بائعات، فقد كن يمددن أعناقهن لينظرن



إلى حركة المرور فى صبر نافذ للإسراع بالسير، وكانت ثمة لوريات تحمل رجالاً يتطلعون حولهم وأيديهم فى جيوب بنطلوناتهم، وكانت تلك اللوريات تحمل دائماً بعض الكتابات المختلفة، وعلى أحدها قرأ كارل بصيحة دهشة: «مطلوب عمال ميناء لوكالة جيكوب للتصدير»، وتصادف أن كانت تلك السيارة تسير فى بطاء على نحو ما، وكان رجل ضئيل الحجم، محنى الظهر، ودود بصورة ما، يقف على سلمها، وقد وجه هذا الرجل الدعوة إليهم لاعتلاء سطح العربة، واختبأ كارل خلف الميكانيكيين كما لو كان خاله فى اللورى، ومن الممكن أن يراه، ولقد ارتاح لرفض زميليه تلك الدعوة، على الرغم من أنه قد وجد ظلاً من الإهانة فى الطريقة المستهترة التى رفضاها بها، فهل كان لهما أن يعتبرا نفسيهما قد بلغا من السمو حداً يمنعهما من العمل لخاله؟.. ولقد قال لهما شيئاً من هذا فى كلمات مقتضبة بالطبع، واستدار ديلامارش إليه وطلب منه عدم التدخل فى الأمور التى لا يفهمها لأن تلك الطريقة فى جميع الرجال هى احتيال شنيع، كما أن شركة جيكوب شركة سيئة السمعة فى جميع أنحاء الولايات المتحدة، ولم يجب كارل بشيء، إلا أنه، منذ تلك اللحظة ظل ملتصقاً بالرجل الإيرلندى، وطلب منه أن يحمل عنه الصندوق قليلاً، وقد فعل الرجل ما طلبه منه، بعد أن توجه إليه كارل بهذا الطلب عدداً من المرات من قبل، إلى أن اتضح أن كل ما كان يريده من الصندوق هذه المرة عندما قبل أن يحمله، كان لحم السالامى الفيرونيزى، الذى يبدو أنه كان قد لاحظ وجوده قبل أن يغادر الحانة، وكان على كارل أن يفض لفة اللحم لكن الرجل الفرنسى، اختطفها، وشرحها قطعاً قصيرة بسكين أشبه بالخنجر، والتهم الجزء الأكبر منها، وحصل روبنسون على قطعة من حين لآخر فحسب، ولم يحصل كارل الذى أجبر بعد ذلك على حمل الصندوق، على شيء مطلقاً، ولعلهما قد افترضا أنه كان قد حصل على

نصيبه من لفة اللحم مقدماً، وقد بدا له من السخف أن يرجوهما التفضل عليه بشريحة منه، فلم يطلب شيئاً، لكنه كان يشعر بالمرارة مع ذلك لسلوكهما نحوه.

وكان الضباب قد تلاشى عندئذ، وتآلق على البعد جبل شاهق، كان يتراجع كقمم الأمواج، إلى الخلف، صاعداً نحو قمة متباعدة يغلفها غبش ضوء الشمس، وعلى جانبي الطريق كانت تمتد حقول مهملة تحيط بالمصانع الكبيرة، التي كانت ترتفع مجللة بالدخان، فى الريف الرحب، وكانت قطاعات من المساكن المنعزلة قد شيدت جزافاً هنا وهناك وكانت نوافذها التي لا حصر لها تموج بالحركة المتزايدة والأضواء، بينما فوق الشرفات الصغيرة نساء وأطفال مشغولون بأشياء عديدة، نصف مختبئين، ونصف ظاهرين خلف الملابس المغسولة، المعلقة من مختلف الأنواع، المنشورة لكي تجف والتي كانت ترفرف حولهم عند هبوب نسيم الصباح، وتتموج بشدة، ولو شردت عينا المرء عن البيوت، لرأى العصافير فى أعلى الفضاء، وطائر السنونو فى الأسفل، ينطلق فوق رؤوس المارة.

كان هناك الكثير مما كان يذكر كارل ببلده، ولم يكن يمكنه أن يقرر هل أصاب بمغادرته نيويورك، وتجوله فى الداخل أم أخطأ، ففى نيويورك يوجد البحر الذى يعنى الفرصة للعودة فى أية لحظة إلى بلده، ولهذا توقف فجأة، وقال لرفيقه أنه يشعر برغبته فى العودة إلى نيويورك أخيراً وعندما بدا له أن ديلامارش كان يسحبه باستخفاف إلى الأمام، رفض أن يساق إلى السير، واحتج قائلاً أن من شأنه هو أن يقرر بنفسه إن كان يرغب فى السير أو يرغب فى العودة، وكان على الرجل الإيرانى أن يتدخل، وأن يوضح أن باترفورد هى مدينة أفضل من نيويورك، وكان عليهما أن يعاملاه باللين البالغ فترة من الوقت، قبل أن يواصل السير معهما فى النهاية، وحتى

عندما سار معهما لم يكن قد أذعن إلا لأنه كان قد قال فى نفسه أنه ربما كان من المستحسن أن يوغل فى الابتعاد عن نيويورك حتى لا يعود التفكير فى العودة إلى وطنه أمراً سهلاً، وأنه سوف يعمل بلا شك، ويحاول أن يتقدم من حالة إلى حالة أفضل منها، ما لم تعقه تلك الأفكار المثبطة التى توسوس له أحياناً بالعودة.

وأصبح الآن هو الذى يتقدم الآخرين فى السير، وكانا مغتبطين لحماسه، حتى لقد حملا عنه الصندوق بالتناوب دون أن يطلب إليهما ذلك، ولم يستطع كارل أن يتبين كيف أمكنه أن يحقق لهما تلك السعادة، وكانوا قد بلغوا الآن مكاناً مرتفعاً، وعندما كانوا يتوقفون هنا وهناك، كانوا ينظرون خلفهم إلى مشهد نيويورك ومينائها، وهو يمتد متسعاً تحتهم، وشاهدوا الجسر الذى يربط نيويورك ببروكلين وكان معلقاً فى رشاقة فوق النهر الشرقى، ولو ضيق المرء حدقتى عينيه لبدأ له ذلك الجسر وكأنه يرتعش وكان يبدو خالياً من الحركة، وتحتة امتد لسان أملس من الماء، وكانت كلتا المدينتين الهائلتين تقومان هناك خاليتين، وبلا معنى، وكان من الممكن تمييز المنازل الهائلة من المنازل الصغيرة المنخفضة وربما كانت الحياة تضى على عاداتها فى أعماق الشوارع غير المرئية، إلا أنهم لم يكونوا يشاهدون فوقهم فى السماء سوى دخان خفيف، بدأ مع ذلك وكأنه واقف لا يتحرك، وكان يتبدد فى سهولة، وكان الهدوء قد عاد إلى الميناء، الذى يعد أكبر موانئ العالم، وكان فى مقدور المرء أن يتوهم من حين لآخر، ربما تحت تأثير تذكره لمنظر قريب العهد، أنه يرى باخرة تمخر العباب على مسافة قريبة من الميناء، إلا أنه كان من الصعب تتبع تلك الباخرة وقتاً طويلاً، لأنها كانت تخرج عن مجال الرؤية، ولا يعود فى الإمكان رؤيتها ثانية.

وقد رأى ديلا مارش وروبينسون أشياء كثيرة فى وضوح، وكانا يشيران إلى اليمين وإلى اليسار، وأذرعهم ممتدة تتحرك فوق الميادين والحدائق التى ذكروها بأسمائها، ولم يفهمها كيف قضى كارل شهرين فى أمريكا، ولم يكدرى رغم ذلك سوى شارع واحد فقط من المدينة، وقد وعداه بأن يصحباها إلى نيويورك، عندما يحصلان على المال فى باترفورد، وأن يتيحاه له رؤية كل المشاهد التى تستحق الرؤية، وأماكن التسلية والمتعة بالطبع أيضاً، وعندما بلغ به التفكير إلى هذا الحد، بدأ روبينسون يتغنى بأعلى صوته بأغنية شاركه فيها ديلا مارش بالتصفيق، وأدرك كارل أنها كانت أحد ألحان الأوبرا المعروفة فى وطنه، وقد سره سماعها فى ترجمتها الإنجليزية كما لم يتمتع بسماعها من قبل فى بلده، وهكذا فقد كونوا جوقة صغيرة فى الهواء الطلق، اشتركوا فيها جميعاً وبقيت المدينة التى كان عليها أن تشاركهم الاستمتاع بذلك اللحن فى لا مبالاتها تحت أقدامهم.

وتساءل كارل فى إحدى المرات عن موقع وكالة جيكوب، فدفع ديلا مارش وروبينسون بأصبعيهما فى الهواء مباشرة يشيران إلى الموقع، وربما إلى موقع آخر يبعد عنه بعيد من الأميال وعندما استأنفوا سيرهم ثانية سألهما كارل: متى يمكنهم أن يعودوا إلى نيويورك، إذا تمكنوا من الحصول على عمل؟ وأجابه ديلا مارش قائلاً: إن بإمكانهم أن يعودوا إليها فى خلال شهر، فالعمل متوفر فى باترفورد والأجور مرتفعة، وسيضعون نقودهم بالطبع فى رأسمال مشترك، حتى يمكن أن يختفى الفرق الذى قد تسببه الصدفة بين دخولهم، كما ينبغى أن يحدث بين الأصدقاء، ولم ترق لكارل فكرة الرأسمال المشترك، على الرغم من أن أجره كصبي سيقبل كثيراً بالطبع عن أجر العامل الماهر، واستأنف روبينسون الحديث قائلاً: إنهم على أية حال إذا لم يوفقوا فى الحصول على عمل فى باترفورد، فسوف يتجولون بطبيعة الحال

فى أماكن أبعد من باترفورد، وربما وجدوا عملاً فى المزارع، أو ربما حاولوا الحفر بحثاً عن الذهب فى كاليفورنيا، وقد أعجب كارل بهذه الفكرة الأخيرة، بعد ما سمعه من حكايات روبنسون عن مناجم الذهب.

تساءل كارل الذى لم يكن مستعداً لمزيد من الرحلات المرهقة المشكوك فى نتائجها قائلاً لروبنسون: لكن لماذا تعمل ميكانيكياً إذا كنت ترغب فى العمل فى حقول التنقيب عن الذهب؟

فأجابه روبنسون قائلاً: «لماذا أعمل ميكانيكياً؟ لكيلا أموت جوعاً، ومع ذلك فالأموال تتدفق وفيرة فى حقول التنقيب عن الذهب». قال ديلامارش: «كانت تتدفق فى وقت من الأوقات!».

فقال روبنسون: «ولا تزال تتدفق للآن!» وراح يحكى حكايات عن أناس لا حصر لهم من معارفه، أصبحوا هناك الآن من الأثرياء، وما زالوا يقيمون هناك، إلا أنهم لم يعودوا فى حاجة بالطبع إلى أن يعملوا الآن، لكنهم سيساعدونه على أن يحقق الثراء لصداقتهم القديمة به، وسيساعدون أصدقائه هم أيضاً بالطبع.

قال ديلامارش: «سنجد أعمالاً فى باترفورد دون شك!» وعبر بقوله هذا عن رغبة كارل، مع أن هذا القول لم يكن أمراً مؤكداً كل التأكيد.

وتوقفوا فى أثناء اليوم مرة عند أحد المطاعم، وجلسوا خارجه فى الهواء الطلق، إلى مائدة بدت لكارل وكأنها قد صنعت من الحديد، وأكلوا لحمًا مسلوقةً كان من الصعب تقطيعه إلى شرائح، فكانوا يفرمونهم بسكاكينهم وشوكاتهم، وكان الخبز مصنوعاً على هيئة اسطوانة، وقد انغرزت فى كل من الرغيفين سكين كبير، وقد ضمت الوجبة أيضاً خمراً أسود اللون كان يحرق الحلق، إلا أن ديلامارش وروبنسون كانا يستسيغان شربه، وقد ظلوا يرفعان كوبيهما بعيد من الأنخاب، ويقرعان الكوبين عالياً فى الهواء من

حين لآخر، وإلى مائدة مجاورة كان يجلس بعض العمال فى قمصان صفراء، يتناولون نفس الشراب، وكانت العربات تمر من أمامهم بأعداد كبيرة، وتثير الغبار فوق المائدة، وكانت صحف كبيرة توزع على الجالسين، وتثور مناقشات حادة حول إضراب قام به عمال البناء، وكان اسم «ماك» يتردد كثيراً فى خلال تلك المناقشات وتساءل كارل عن صاحب الاسم، وعلم أنه والد «ماك» الذى يعرفه، وأنه أكبر مقاول للمباني فى نيويورك، وقيل إن هذا الإضراب قد يكلفه عدة ملايين وأنه يهدد وضعه المالى بالخطر، ولم يصدق كارل كلمة واحدة مما كان يقوله هؤلاء الناس المضلون، الحانقون.

وقد أفسد استمتاع كارل بتلك الوجبة قلقه لفكرة دفع ثمن تلك الوجبة بأكملها، وأيهم سوف يدفع وكان من الطبيعى فى رأيه أن يدفع كل منهم ثمن وجبته فقط، إلا أن ديلا مارش وروبينسون كانا قد أشارا عرضاً إلى أن أجر مبيتها عن الليلة الماضية قد أفرغ جيبيهما، ولم يكن لديهما ساعة أو خاتم أو أى شىء ليبيعه، ولم يستطع كارل أن يواجههما بأنهما كانا قد احتجزا لنفسيهما جانباً من ثمن بدلتة فقد كانت مواجهتهما بذلك تعد إهانة، وفراقاً إلى الأبد.

إلا أن ما أثار دهشة كارل أكثر هو أن ديلا مارش وروبينسون، لم يزعجا نفسيهما بأمر الدفع، بل على العكس كانا فى حالة معنوية مرتفعة، حتى أنهما راحا يحاولان مغازلة الجرسونة التى كانت تتحرك فى خيلاء متبخرة من مائدة إلى أخرى، وكان شعرها يتهدل على كتفيها، وفوق حاجبيها وخديها، فكانت ترميه إلى الخلف بيدها، حتى تقدمت أخيراً نحو مائدتهما، فظنا أنهما سيفوزان منها ببعض الكلمات الودية، لكنها وضعت يديها فوق المنضدة، وتساءلت: «من الذى سيدفع؟» فأشارت يدا ديلا مارش وروبينسون بغاية السرعة إلى كارل، ولم يفاجأ كارل لأنه كان يتوقع ذلك، ولم يجد بأساً

من أن يدفع مرة حساب رفيقيه اللذين ينتظر منهما المساعدة بدوره، على الرغم من أنه كان يفضل بالطبع لو ناقشا معه الأمر بصراحة قبل اللحظة الحاسمة وشغله كذلك أمر إخراج النقود من جيبه السرى، فقد كان ينوى الاحتفاظ بنقوده لتنفعه فى حالة الاحتياج البالغ ولكى تنفعه الآن أيضاً فيتمكن من أن يبدو نداءً لصديقيه، كان التفوق الذى يتفوق به عليهما لامتلاكه هذا المال، وإخفائه كذلك عنهما، يبدو فى وضوح تفوقاً راجحاً، لأنهما على عكسه، كانا قد عاشا فى أمريكا منذ طفولتهما، ولأنهما كانا يتمتعان بالمهارة الكافية والخبرة التى تعينهما على كسب المال ولأنهما لم يتعودا على حياة أفضل من الحياة التى يمارسانها الآن، ورأى كارل أن خطته فى التوفير يجب ألا تتأثر لاضطراره إلى دفع الحساب الآن فيمكنه ببساطة أن يستغنى عن ربع دولار، يضعه أمامهما فوق المنضدة، ويخبرهما بأنه هو كل ما يملك، وأنه كان ينوى أن يفتسمه معهما فى طريقهم إلى باترفورد، ذلك أن ربع دولار يكفى جداً لرحلة على الأقدام، إلا أنه لم يكن يدرى هل كان ما يحمله من العملات الصغيرة يكفى حتى يخرج من بينها الربع دولار، ولقد كانت العملات الصغيرة التى يحملها موجودة على أية حال فى تجويف جيبه السرى هى أيضاً إلى جانب أوراق البنكنوت، وكان من الصعب أن يخرج ما يريده دون أن يفرغ كل محتويات جيبه فوق المنضدة ولم يكن يريد أن يعرف رفيقاه شيئاً عن الجيب السرى على الإطلاق وبدا صديقه مشغولين رغم ذلك لحسن الحظ بأمر الجرسونة، دون أن يشغلهما مطلقاً بالطبع كيف سيتمكن كارل من إخراج النقود لدفع الحساب، وكان ديلامارش قد مد يده وسحب الجرسونة بينه وبين روينسون متعللاً بأن عليها أن تكتب فاتورة الحساب، فلم يكن أمامها لكى تتخلص من توددهما العنيف إلا أن دفعت وجهيهما بعيداً بباطن راحتها، عندئذ جمع كارل وهو يتصب

عرقاً بإحدى يديه تحت المنضدة قطع النقود التي تحسبها، وأخرجها من جيبه السرى قطعة بعد قطعة بيده الأخرى.

وظن بعد فترة طويلة، لأنه لم يكن قد اعتاد بعد على العملة الأمريكية، أنه قد أخرج من قطع العملة الصغيرة ما يساوى المبلغ المطلوب، فوضعها فوق المنضدة، ووضع رنين النقود فوق المنضدة فى الحال حداً لمعاكستهما للجرسونة، واتضح لشدة غيظ كارل ولدهشة الجميع أن دولاراً كاملاً قد وضع فوق المائدة، ولم يتساءل أى منهما لماذا لم يذكر كارل شيئاً عن هذه النقود التي كانت تكفى لدفع أجر رحلة مريحة لثلاثتهم بالقطار إلى باترفورد، إلا أن كارل شعر بالارتباك الشديد لخطئه رغم ذلك، وأعاد كارل بقية النقود إلى جيبه بعد دفع الحساب إلا أن ديلا مارش كان قد اختطف من بين أصابعه إحدى قطع العملة، وأعطاهها كبقشيش للجرسونة التي احتضنها بيد بينما ناولها قطعة العملة بيده الأخرى.

وشعر كارل بالامتنان لهما، لأنهما لم يذكرنا شيئاً عن نقوده عندما غادر ثلاثتهم المطعم، وقرر كارل فى إحدى اللحظات أن يعترف لهما بما يحمله من المال، لكنه تراجع عن ذلك فى الحال لأنه لم يجد ما يدعوه إلى هذا الاعتراف وبلغوا عندما أوشك الليل على الطول منطقة خلوية خصبة وكانت الحقول حولهم على امتداد الرؤية لا نهاية لها كانت تمتد فوق تلال منخفضة تكتسى بالخضرة الزاهية، وفيللات ريفية فاخرة تزين الطريق على الجانبين، وساروا عدة ساعات بين أسوار الحدائق المذهبة وعبروا نفس المجرى البطئ عدداً من المرات، وكثيراً ما كانوا يسمعون ضوضاء القطارات التي كانت تنطلق فوق الكبارى المرتفعة.

كانت الشمس قد أوشكت أن تختفى خلف قمم الغابات البعيدة، عندما صعدوا مرتفعاً مدرجاً، يعلوه دغل من الأشجار الكثيفة، ومددوا أنفسهم



فوق العشب لكي ينالوا شيئاً من الراحة بعد رحلتهم الطويلة، استلقى ديلامارش وروبنسون فوق العشب فى استرخاء تام، وجلس كارل وأخذ يرقب الطريق الذى كانوا يرتفعون فوق مستواه يبضع ياردات وإلى السيارات التى كانت تنطلق فوقه بخفة، الواحدة خلف الأخرى، كما كانت تنطلق طوال اليوم، وكان عدداً هائلاً منها ينطلق باستمرار من مكان ما بعيداً كل البعد، بينما تنتظر سيارات أخرى فى مثل عددها فى مكان بعيد آخر، ولم ير كارل طوال اليوم كله أن سيارة منها قد توقفت ولا رأى راكباً واحداً هبط من إحدى تلك السيارات.

واقترح روبنسون أن يقضوا الليل فى هذا المكان، لأنهم كانوا مجهدين غاية الإجهاد، ولأنهم سيتمكنون بمبيتهم هنا أن يواصلوا رحلتهم فى الصباح الباكر، كما أنهم لن يجدوا علاوة على ذلك، مكاناً مناسباً أرخص من هذا المكان لقضاء الليلة، قبل أن يهبط الظلام، وكان ديلامارش يرى نفس رأى، فاضطر كارل إلى التصريح بأنه يحمل نقوداً تكفى لدفع أجر مبيتهم جميعاً فى أحد الفنادق، وأجابه ديلامارش قائلاً: إنهم لا يزالون فى حاجة إلى النقود، وأنه يحسن الاحتفاظ بها فى الوقت الحاضر، لم يحاول إخفاء حقيقة أنهما كانا يتطلعان إلى الاستعانة بنقود كارل، ومضى روبنسون بعد قبول اقتراحه الأول، فاقترح اقتراحاً آخر، قائلاً أن عليهم قبل أن يتأهبوا للنوم، أن يتناولوا وجبة كاملة، لكي تجدد نشاطهم فى الصباح، وأن على أحدهم أن يذهب ليحضر طعاماً لثلاثتهم من الفندق القريب الذى يقوم فى الطريق الرئيسى ويحمل اللافتة المضاءة التى كتب عليها «الفندق الغربى».. ولما كان كارل أصغر الثلاثة، ولم يبد أى من الآخرين استعداداه للقيام بهذه المهمة، فقد تطوع كارل من فوره بأن يقوم هو بها وانطلق عبر

الشارع فى طريقه إلى الفندق، بعد أن أعلن الأخران أنهما يريدان لحم خنزير، وخبزاً، وبيرة.

ولا بد أنهم كانوا على مقربة من إحدى المدن الكبيرة، لأن أول حجرات الفندق التى دخلها كارل كانت تمتلئ بضوضاء حشد صاحب، وكان يقف بداخل البوفيه الذى كان يمتد بطول تلك الحجرة على الجانبين عدد كبير من السفرجية كانوا يرتدون مرايل بيضاء، ويندفعون بلا توقف هنا وهناك، دون أن يتمكنوا من تلبية كل طلبات زبائنهم الذين نفذ صبرهم فارتفعت اللعنت فى أصوات صاحبة، وكانت دقات القبضات فوق المائدة تتعالى دون توقف من جميع الجهات ولم يلق أحد بالاً إلى كارل، ولم يوجد أى نوع من أنواع الخدمة فى الصالون بأكمله، وكان على الزبائن الذين تجمعوا إلى موائد صغيرة كانت تتسع كل منها لثلاثة أشخاص تقريباً أن يبحثوا بأنفسهم عما يريدونه فى البوفيه، وفوق كل مائدة كانت تستقر زجاجة كبيرة ممتلئة بالزيت أو الخل أو شىء من هذا القبيل، وكان الزبائن يصبون شيئاً من تلك الزجاجة فوق الطعام الذى يحضرونه من البوفيه قبل أن يتناولوه، فلو استطاع كارل أن يبلغ ذلك البوفيه أولاً، حيث ستواجهه الصعوبات الحقيقية بعد ذلك، لكثرة عدد الزبائن الذين كانوا يتزاحمون عليه، فربما استطاع أن يشق لنفسه طريقاً بين تلك الموائد التى لا حصر لها، ولم يكن ليصل إلى شىء من هذا بالطبع مهما حرص دون أن يتسبب فى كثير من الإزعاج للزبائن، الذين كانوا يتقبلون مع ذلك أى إزعاج بتبلىد تام، وحتى عندما اندفع كارل بعنف بجانب إحدى تلك الموائد فقلبها رأساً على عقب، مع ثقته بأنه لم يكن هو السبب فى انقلابها، ثم اعتذر دون أن يفهم أحد على ما يبدو معنى لهذا الاعتذار، كما أنه لم يتمكن هو أيضاً من إدراك هدف تلك الصيحات التى حاصرتها فى هياج، لم يجد عند البوفيه مكاناً غير بضع

بوصات قليلة فى صعوبة بالغة، وظل مختلفياً فى الزحام لفترة طويلة لأن مرافق الرجال كانت تدفعه من كلا الجانبين، وبدا كما لو كان التقليد المتبع هنا هو أن تضع مرفقك على إفريز البوفيه، وتسنن رأسك على يدك، ولم يستطع كارل أن يدفع ذكرى الدكتور كرامبال مدرس اللغة اللاتينية من خياله وكيف كان يكره ذلك الوضع، وكيف كان ينسحب فى هدوء ويضرب على غير توقع، مرفقك من فوق الدرج مازحاً، بالمسطرة التى كانت تظهر فجأة من حيث لا تدري.

كان كارل قد انضغط إلى حافة إفريز البوفيه، لأنه ما كاد يبلغه حتى وضعت مائدة خلفه وظلت إحدى القبعات تتحرك خلف ظهره كلما انحنى صاحبها إلى الخلف قليلاً فى أثناء حديثه، وبدا كذلك أن الأمل فى حصوله على أى شىء من هؤلاء الجرسونات كان قد تلاشى، حتى بعد أن انصرف جاره الشرسان، وهما يحملان ما طلباه وتمكن كارل مرة أو مرتين من أن يجذب مريلة أحد الجرسونات عبر حاجز البوفيه، إلا أن الجرسون كان يندفع مخلصاً مريسته من بين أصابع كارل فى ضيق، ولم يتوقف واحد منهم ليستمع إليه، مع أنهم لم يكونوا مشغولين إلا بمجرد الاندفاع هنا وهناك، فلو كان أمكن وجود شىء من المأكولات المطلوبة فى متناول يد كارل، لحمل ما يريده منها، وسأل عن الثمن، ثم دفعه وتخلص من ذلك الزحام وهو يتنفس الصعداء لكن لم يكن أمامه سوى الأطباق التى تمتلىء بالأسماك الشبيهة بالرنجة بجوانبها القاتمة، التى تشع بلون ذهبى عند حوافها، وربما كانت تلك الأطباق مرتفعة الثمن، مع أنها لم تكن لتغنى من جوع وكان أمامه كذلك كثير من زجاجات الروم، إلا أنه لم يرغب فى أن يحمل الروم إلى صديقيه، لأنهما كانا يتناولان المشروبات الروحية الشديدة كلما واتتهما الفرصة، ولم تكن عند كارل أدنى رغبة فى تشجيعهما على التماذى فى ذلك.

وهكذا لم يبق أمام كارل إلا أن يبحث عن مكان آخر يمكنه أن يحصل منه على طلبه، فعاد أدراجه ثانية، إلا أن الوقت كان قد تقدم بصورة واضحة، وكانت الساعة المعلقة على الحائط المواجه، تلك الساعة التي كان على المرء أن يدقق النظر إليها حتى يتبين في وضوح عقربها من خلال الدخان المتكاثف، كانت تشير إلى ما بعد التاسعة، إلا أن بقية الحاجز الذي أمام البوفيه كان أكثر ازدحاماً بالزبائن من المكان الذي كان يقف فيه من قبل، ذلك المكان المنعزل في ركن الحجرة، وظلت الحجرة تزدهم أكثر فأكثر كلما تقدم الوقت وظل الزبائن الجدد يتدافعون وهم يشقون طريقهم عبر الباب الرئيسي وتتزايد بازديادهم صيحات التهليل المرتفعة، وفي أماكن متعددة أدخل بعض الزبائن الإفريز الذي أمام البوفيه في جراحة، وجلسوا فوقه وراحوا يتبادلون الشراب، وقد كان ذلك الإفريز الذي جلس فوقه هؤلاء، هو أفضل الأماكن في تلك الحجرة على الإطلاق فمن فوقه كان يمكنك أن تشمل الحجرة كلها بنظرتك.

وظل كارل يتقدم تحت ضغط الزحام إلا أن أمّله في الحصول على أي شيء كان قد تلاشى تماماً، ووجه كارل اللوم إلى نفسه، لأنه تطوع بأداء هذه المهمة، دون أن يكون على دراية بالأحوال هنا على الإطلاق، ولسوف يصرخ صديقاه في وجهه - ومن حقهما أن يفعلا ذلك - وربما تبادر إلى ذهنهما الظن بأنه لم يحضر معه شيئاً فقط لمجرد الاحتفاظ بنقوده لنفسه، وكان قد بلغ جانباً من جوانب الحجرة رأى فيه أطباقاً ممتلئة باللحم الساخن، والبطاطس المسلوقة تغطي كل الموائد، وبينهمك الزبائن في التهامها، فلم يفهم كيف تمكن هؤلاء الزبائن من الحصول على تلك الأطباق. ثم لمح أمامه على بعد بضع خطوات سيدة مسنة، كان يبدو عليها بوضوح أنها تتبع هيئة موظفي الفندق، كانت تلك السيدة تتحدث وتضحك

مع أحد الزبائن، وظلت فى أثناء حديثها تغرز دبوساً فى شعرها، وقرر كارل فى الحال أن يتقدم إلى تلك المرأة بطلباته، لأنها كانت تقف متميزة كاستثناء وسط الهرج المخلط، ولأنها كانت هى المرأة الوحيدة فى الحجرة كلها لسبب بسيط آخر هو أنها كانت هى الوحيدة من بين موظفى الفندق التى استطاع كارل أن يصل إليها، هذا إذا لم تندفع مبتعدة عنه لشئونها الخاصة عند أول كلمة يتوجه بها إليها إلا أن العكس تماماً هو ما حدث، فما كاد كارل يهم بالحديث إليها بل يحوم حولها فحسب للحظات، عندما نظرت جانباً ولحته حتى قطعت حديثها - كما يحدث غالباً فى خلال مناقشة من المناقشات لتسأله فى رقة، وفى لغة إنجليزية واضحة كوضوح الإنجليزية التى فى «كتاب القواعد» إن كان يريد شيئاً.

قال كارل: «نعم، فى الحقيقة» فلا يمكننى أن أحصل على شىء من أى مكان فى هذه الحجرة.

قالت: «إذن تعال معى يا بنى» ثم ودعت محدثها الذى رفع لها قبعته كدلالة على التأذب، لم تكن معقولة مطلقاً فى هذه الحجرة ثم أخذت كارل من يده، ومضت نحو البوفيه فدفعت أحد الزبائن جانباً، ورفعت مصراعاً إلى أعلى، وتقدمت بطول ممر خلف البوفيه حيث كان عليهما أن يتفاديا الاصطدام «بالجرسونات» الذين كانوا يندفون هنا وهناك بلا كلل، وفتحت باباً مزدوجاً كان مخبئاً فى الحائط، أدى بهما مباشرة إلى مخزن واسع رطب، وقال كارل لنفسه: «عليك أن ترقب كيف تجرى الأمور فى هذه الأماكن».

وسألت المرأة وهى تتحنى إليه فى حنان: «حسناً ماذا تريد؟» كانت غاية فى البدانة حتى أن جسدها ارتعش عندما انحنت، إلا أن وجهها كان بالمقارنة إلى جسدها رقيق التكوين، وأحس كارل وهو يتطلع إلى الأنواع

التي لا حصر لها من المأكولات التي رصت في عناية فوق الأرفف،  
والمناضد، بإغراء هذه الأصناف العديدة يدفعه إلى محاولة التفكير في وجبة  
أخرى يختارها من وحي اللحظة وأن يحملها بدلاً من طلبه الأصلي، خاصة  
أنه قد يحصل عليها بثمن رخيص إلى حد ما من تلك السيدة الواسعة  
النفوذ، إلا أنه في النهاية لم يذكر شيئاً سوى لحم الخنزير ، والخبز ،  
والبيزة، ولم يمكنه أن يذكر شيئاً آخر أفضل من هذه الأشياء .

تساءلت المرأة، «ألا تريد شيئاً آخر؟» .

فأجابها كارل قائلاً: «لا شكراً .. إلا إنني أريد كمية تكفي ثلاثة

أشخاص» .

وعندما سألته المرأة عن يكون الآخرا ؟ أخبرها كارل في كلمات قليلة  
مختصرة عن رفيقيه وأحس بشيء من السرور لتوجيهها ببعض الأسئلة  
إليه .

قالت المرأة : «لكن هذا الطعام هو وجبة السجن» كانت تنتظر منه فيما  
يبدو أن يطلب شيئاً آخر، إلا أن كارل الذي أصبح يخشى أن ترفض هذه  
المرأة ثمن الوجبة وأن تمنحه إياها كهدية، ظل صامتاً .

قالت المرأة : «لن يستغرق أعداد هذا الطلب وقتاً طويلاً» . وتقدمت نحو  
إحدى المناضد في نشاط غريب على سيدة في مثل بدانتها وقطعت بسكين  
طويل رفيع حاد قطعة كبيرة من لحم الخنزير تمتلئ في غزارة ببقع الدهن،  
وتناولت رغيفاً من فوق أحد الرفوف ورفعت ثلاث زجاجات بييرة من الأرض  
ووضعتها جميعاً في سلة خفيفة من القش ناولتها إلى كارل، وأوضحت له  
بينما كانت تفعل ذلك أنها قد أحضرته إلى هنا لأن طعام البوفيه على الرغم  
من أنه طعام دسم بالفعل، إلا أنه يفقد طزاجته بسبب الدخان والبخار  
الذين تمتلئ بهما الحجر، إلا أن أى طعام يعد طعاماً جيداً بالنسبة لهؤلاء

الذين فى الخارج. وقد أصيب كارل بالذهول البالغ عندئذ، لأنه لم يكن يدرى كيف تمكن من أن يحوز مثل تلك المعاملة الخاصة، وفكر فى رفيقيه اللذين لم يكونا ليبلغا هذا المخزن على الاطلاق. على الرغم من كل خبرتهما الأمريكية. بل كان عليهما أن يقنعا بطعام البوفيه الذى لا طعم له . لم تكن ضوضاء حجرة الصالون تصل مطلقا إلى هنا . وربما كانت الجدران سميكة للغاية حتى تحتفظ تلك الحجرة المقبية بهذه الرطوبة. وكان كارل يمسك الآن بالسلة المصنوعة من القش فى يده . وكانت قد انقضت بضع لحظات . إلا أنه لم يفكر لا فى الدفع ولا فى الانصراف إلا عندما همت المرأة بأن تضيف إلى السلة - كهبة - زجاجة شبيهة بتلك الزجاجات التى تستقر فوق الموائد فى الخارج . عندئذ تحرك كارل، وهو يرفضها فى رجة .

وتساعت المرأة : «هل أمامك رحلة طويلة أخرى أبعد من هنا؟» فأجابها كارل قائلاً : «إلى باتر فورد» .

فقال المرأة : «لكن هذه الرحلة رحلة شاقة أخرى عليك أن تقطعها» .

قال كارل : «إنها رحلة تستغرق يوماً آخر» .

فقال المرأة : «ألا تستغرق أكثر من ذلك؟» .

قال كارل : «أوه .. لا» .

ورتبت المرأة بعض الأشياء فوق المنضدة، ودخل أحد السفرجية وتطلع حوله متسائلاً ، فأشارت له إلى قصعة هائلة كانت تستقر فوقها كومة عالية من السردين، وقد نثر فوقه قليل من البقدونس فحملها السفرجى عندئذ إلى داخل الصالون بين يديه المرفوعتين.

وتساعت المرأة قائلة : «ولماذا تقضى الليلة فى الهواء الطلق، لدينا هنا

متسع لك، فتعال واقض الليلة معنا فى الفندق» .

وبدت الفكرة مغرية لكارل جدا، وخاصة بعد أن قضى الليلة السابقة مرهقاً غاية الإرهاق، فقال فى تردد لكن فى شىء من الفخر : «أن أمتعتى هناك فى الخارج» .

فقالت المرأة : «عليك إذن أن تحضرها إلى هنا، فليست عقبة تعوقك عن المجيء» .

فقال كارل : «لكن ماذا عن رفيقى ، وكان يدرك بالفعل أنهما عقبة دون أدنى شك» .

قالت المرأة : «يمكنهما أن يقضيا الليلة هنا أيضا، بالطبع، فتعال لا تكن متعباً إلى هذا الحد» .

قال كارل : «إن صديقى رفيقان لابأس بهما. إنهما الآن ليسا فى غاية النظافة».

فتساءلت المرأة فى تجهم : «ألم تلاحظ القذارة فى الصالون، إننا مستعدون تمام الاستعداد لأسوأ الحالات» .. حسناً ، سوف أخلى ثلاثة أسرة فى الحال، فقط أخشى ألا يوجد مكان إلا فوق السطح، لأن الفندق مكتظ بالنزلاء، ولقد كان على أن أنتقل إلى حجرة بالسطح أنا أيضاً ولكنها على أية حال أفضل من قضاء الليلة فى الخارة .

قال كارل: «لايمكننى أن أحضر صديقى هنا، وتخيل بنفسه الضجة التى سوف يحدثها الرجلان فى ممرات الفندق الفخم، وسوف يتسبب رويسنون فى تلطيخ كل شىء ، ولن يتردد ديلامارش فى معاكسة هذه المرأة نفسها» .

قالت: «لست أدرى لماذا لايببدو ذلك ممكناً، ولكن إذا كنت تصر على ذلك، فاترك إذن صديقك، وتعال بمفردك» .

قال كارل: لن يحدث ذلك إنهما صديقاي ولايمكننى إلا أن أرتبط بهما» .

قالت المرأة وهى تدير عينيها بعيدا عنه : «إنك عنيد جدا، فعندما يعاملك



الناس ، معاملة طيبة، ويبدون شيئاً من الاهتمام بأمرك، تفعل أنت كل ما فى وسعك لكى تعوقهم عن ذلك» .

وأدرك كارل ذلك كله، إلا أنه لم يجد مخرجاً، وعلى هذا ، فقد قال:  
- أشكرك غاية الشكر على كرمك ثم تذكر أنه لم يدفع ثمن طلباته، فسأل عن المبلغ الذى عليه أن يدفعه؟

قالت المرأة: يمكنك أن تدفع لى عندما تعيد إلى السلة، ولا بد أن تعيدها إلى فى صباح الغد على الأكثر» .

قال كارل : أشكرك .. وفتحت له باباً يؤدي مباشرة إلى الخارج، وقالت له وهو يهم بالخروج منحنياً: «طابت ليلتك .. وان كنت لم تفعل ماكان يجب عليك أن تفعله».. وعندما أصبح على بعد بضع بارادات قليلة، صاحت خلفه مرة أخرى قائلة : «إلى صباح الغد» .

وعندما أصبح فى الشارع سمع مرة أخرى الصخب الشديد الصادر من الصالون ، وكان يختلط الآن بزئير الرياح، وكان سعيداً لأنه لم يخرج عن طريق الصالون المزدحم، وكانت طوابق الفندق الخمسة مضاءة لحظتها وقد أنارت الطريق أمام الفندق حتى الجانب الآخر وكانت السيارات تمرق فى الطريق، وإن لم تكن تتتابع فى استمرار إلا أنها كانت تبدو أسرع منها فى أثناء النهار، وهى تتحسس طريقها بواسطة الأشعة البيضاء التى تصدر عن مصابيحها الأمامية ، تلك المصابيح التى كان ضوءها يشحب فى المنطقة المضاءة أمام الفندق، لكى تتوهج مرة أخرى عندما تندفع بعيداً فى داخل الظلام .

وجد كارل صديقيه مستغرقين فى النوم، إلا أنه كان منشغلاً بما هو أهم من ذلك ، وبينما كان يهم لحظتها بوضع الطعام الذى أحضره بصورة مغرية فوق قطعة من الورق، ويعد كل شىء بصورة كاملة قبل أن يوقظ

صديقيه، لمح في فزع صندوقه الذى كان قد تركه مغلِقاً فى سلام، مفتوحاً وحوله فوق العشب تتناثر حوالى نصف محتوياته .

صاح قائلاً : «انهضاً، لقد مر اللصوص من هنا، وأنتما مستغرقان فى النوم!» .

تسأل ديلامارش: «لماذا؟ هل فقد شىء؟!» لم يكن روبنسون قد استيقظ تماماً لكن امتدت يده على الرغم من ذلك إلى البيرة!

صاح كارل: لست أدرى، إلا أن الصندوق مفتوح، وأنه لاهمال بالغ أن تستغرقا فى النوم، وتتركا الصندوق هنا تحت رحمة من يشاء!» .

وضحك ديلامارش وروبنسون، و.. قال ديلامارش: «إذن فلا تتغيب طويلاً مرة أخرى فى أى مكان، أنها لم تكن سوى خطوة أو خطوتين إلى الفندق، ومع ذلك فقد استغرقت منك ثلاث ساعات، أنفقتها لكى تذهب إلى الفندق وتعود ثانية، ولقد كنا جائعين، وظننا انك ربما كنت تحتفظ بشىء من الطعام فى داخل الصندوق، ولهذا فقد داعبنا القفل حتى انفتح، إلا أننا لم نجد شيئاً بداخله فى النهاية، ومن السهل إعادة أشياءك إلى داخله مرة أخرى» .

قال كارل: «هذا هو الأمر إذن، كان يحرق فى السلة التى أفرغت فى الحال، ويستمتع إلى الضجة الغريبة التى كان يحدثها روبنسون، وهو يشرب، لأن البيرة بدت وكأنها تغطس إلى أسفل حلقة، ثم تفور إلى أعلى مرة أخرى فى صوت كالصغير قبل أن تهبط إلى معدته!» .

تسأل عندما هدأ الآخران ليلتقطا أنفاسهما: «هل نلتما كفايتكما الآن؟!» .

فتسأل ديلامارش : لماذا .. ألم تتناول عشاءك فى الفندق؟» كان قد اعتقد أن كارل يطالب بنصيبه فى الطعام .

وقال كارل ، وهو يتجه نحو صندوقه: إذا أردتما المزيد، فأسرعاً إذن!» .

قال ديلامارش لروبنسون: «يبدو عليه الحنق!»

فقال كارل: «لست حانقاً، لكن هل تعتقد أنه من الصواب أن تفتحا صندوقى عنوة، وتطوحا بحاجياتى هنا وهناك فى أثناء غيابى؟ إننى أعلم أن على المرء أن يتوقع الكثير من أصدقائه، وكنت قد تهيأت لذلك، إلا أن هذا قد فاق كل ماتوقعته وسوف أذهب لقضاء الليلة فى الفندق ولن أرافقكما إلى باترفورد، فأفرغا من تناول العشاء بسرعة لأننى يجب أن أرد السلة!».

قال ديلامارش: «استمع إليه الآن ياروبنسون، إن أسلوبه فى الحديث إلينا أسلوب رائع، إنه ألمانى بالفعل ولقد حذرتنى أنت منه فى البداية، إلا أننى أحقق طيب القلب، وعلى هذا فقد سمحت له بالحضور معنا رغم ذلك، لقد منحناه ثقتنا، وصحبناه معنا طوال النهار وأضعنا نصف يوم على الأقل بسببه، والآن - مجرد أن شخصا ما فى الفندق قد خدعه - يدير لنا ظهره، يدير لنا ظهره ببساطة، لكن لأنه ألمانى كاذب فهو لايفعل ذلك صراحة، لكنه يتخذ صندوقه علة، ولأنه ألمانى خبيث فهو لايتركنا دون أن يطعننا فى شرفنا، ويتهمنا باللصوصية، مجرد أننا لهونا قليلا بصندوقه .

قال كارل، وهو يعيد أشياءه داخل الصندوق، دون أن يستدير نحوهما:

- كلما تحدثت أكثر، بدا لى فراقى لكما يسيراً، إننى أعرف تماما معنى الصداقة، ولقد كان لى أصدقاء فى أوروبا أيضاً، ألا أن أحدا منهم لم يحدث أن اتهمنى بأننى قد سلكت معه سلوكا زائفاً أو حقيراً، ولست على اتصال بأى منهم الآن بالطبع، لكن لو أتيت لى الرجوع مرة أخرى إلى أوروبا فسوف يسرون لرؤيتى، وسوف يرحبون بى فى الحال كصديق، أما بالنسبة لكما ياديلامارش وروبنسون فأنا أبداً وكأنتى قد خدعتكما، هل فعلت بعد أن تصرفتما معى بهذا الكرم - ولن أنسى ذلك أبداً -

فاصطحبتماني، ووعدتماني بالعمل كصبي فى باترفورد، إلا أن هذا ليس هو الأمر بالمرة، وأنى لا أنظر إليكما نظرة سيئة لأنكما لا تملكان شيئاً، إلا أنكما تحقدان على الأشياء القليلة التى أملكها، وتحاولان أن توجهها إلى الإهانة بسببها، ولا يمكننى أن احتمل ذلك، لقد فتحتما صندوقى عنوة، ولم تقدما كلمة اعتذار واحدة بل انكما توجهان إلى الشتائم بدلا من ذلك، وتسبان جنسى أيضا، وهذا ببساطة يجعل بقائى معكما مستحيلا، وعلى الرغم من كل شيء فلا ينطبق عليك هذا الكلام ياروبنسون. فى الحقيقة فلست ألوكم على شيء سوى اعتمادك البالغ على ديلامارش.

قال ديلامارش: «والآن نراك.. وهو يتقدم نحو كارل، ثم يدفعه دفعة خفيفة، كما لو كان يؤكد قصده..» «والآن نراك على حقيقتك لقد ظللت طول اليوم تركض خلفي، متعلقا بذيل معطفي، وتفعل كل ما أفعله، وظللت صامتاً كالقار، لكن الآن، لأن شخصاً ما فى الفندق يؤازرك، بدأت فى استعراض قوتك، إنك مخادع تافه، ولست واثقا من أننا سنتحمل هذا النوع من الخداع، لست متأكدا تماما من أننا سنضطرك إلى دفع ثمن ماتعلمته من مراقبتك لنا طوال اليوم إننا سنتحمل هذا النوع من الخداع، إننا نحسده ياروبنسون، نحسده - هذا ما يقوله - على ممتلكاته. إن أجر يوم عمل واحد فى باترفورد - ولا داعى لذكر كاليفورنيا - يتيح لنا أن نحصل على عشرة أضعاف ممتلكاتك الظاهرة لنا حتى الآن، وتلك التى تخفيها أيضا فى بطانة ذلك المعطف، فاحفظ لسانك تماما .

ونهض كارل من أمام صندوقه، ورأى روبنسون يتقدم نحوه أيضا وهو لا يزال تحت تأثير النعاس، إلا أنه كان منتعشاً قليلا بتأثير البيرة ثم قال: إذا بقيت هنا أكثر من ذلك، فربما حدث ما سوف يزيدنى دهشة فوق دهشتي، ويبدو لى أنكما تنويان ضربى .

قال روبنسون : «لا يمكن أن يستمر صبر المرء إلى الأبد» .

فقال كارل دون أن يرفع عينيه عن ديلامارش : «يجب عليك أن تظل بعيدا عن هذا الموضوع ياروبنسون، فإنك فى أعماقك تعلم أنني على حق، إلا أنك قد نهضت لتتظاهر بتأييدك لديلامارش» .

تساءل ديلامارش : «لعلك تفكر فى أن ترشوه» .

قال كارل : لم يخطر ذلك ببالي، إننى سعيد لأننى سأترككما، ولا أريد أن أرتبط أكثر من هذا بأى منكما، ثمه شيء واحد فقط، أريد أن أقوله لكما وهو أنكما تلوماننى لأننى أملك نقودا أخفيها عنكما، فلنفرض إذن أن ذلك كان صحيحا، فهل ليس من حقى أن أفعل ذلك مع أناس لم أعرفهم إلا منذ بضع ساعات قليلة فقط، وأليس السلوك الذى تسلكانه نحوى الآن هو الدليل الواضح على مدى صحة تدبيرى .

قال ديلامارش لروبينسون : «اصمت» على الرغم من أن روبنسون لم يكن قد تحرك، ثم قال لكارل: «بما أنك تستعرض تقديرك للأمانة هذا الاستعراض الزائد، فلماذا لا تدعم قليلا أيضا هذا التقدير بأن تفتح قلبك لنا على نحو ودى ، وتخبرنا بصراحة لماذا تريد أن تذهب إلى الفندق؟

وكان على كارل أن يتراجع خطوة نحو الصندوق، فقد اندفع ديلامارش حتى لاصقه، ولم يكن ديلامارش ليحيد عن غرضه، لهذا ركل الصندوق جانبا، ثم تقدم خطوة أخرى، ودق قدمه فوق فوطة بيضاء ، كانت ملقاة فوق العشب وردد سؤاله مرة أخرى .

وصعد المرتفع رجل يحمل فى يده بطارية كهربائية قوية الضوء، وكان ظهوره إجابة مباشرة على سؤال ديلامارش ، كان قادماً من ناحية الطريق، ومنتجهاً نحو الثلاثة. كان الرجل واحدا من سفرجية الفندق، وعندما لمح كارل هتف قائلاً: لقد بحثت عنك مايقرب من نصف الساعة، وقد طفت بكل

الأشجار التى على جانبى الطريق، فقد أرسلتنى المديرة لأقول لك إنها تريد السلة التى أعارتك إياها .

قال كارل فى صوت يرتعش من الهياج : هاهى ..

وانتحتى ديلامارش وروبونسون جانبا متصنعين الوداعة، كعادتهما دائما عند ظهور أحد الغرباء نوى المظهر الرقيق، والتقط السفرجى السلة وقال : «ولقد طلبت منى المديرة أيضا أن أسألك إن كنت قدغيرت رأيك، وترغب فى قضاء الليلة بالفندق، والسيدان أيضا مسموح لهما أيضا بالمبيت، إذا رأيت أن تصحبهما معك.. إن السرر قد أعدت بالفعل لثلاثتكم، إن الجو دافىء الليلة بالفعل، لكن المرء يجب ألا يأمن المبيت فى مكان كهذا، فأنت معرض دائما للثعابين» .

قال كارل: «بما أن المديرة قد تكرمت بهذه الدعوة، فإننى أقبل دعوتها فى النهاية» .. وانتظر أن يقول رفيقاه شيئا ، إلا أن روبونسون ظل واقفاً هنالك فى صمت تام، وكان ديلامارش يتطلع إلى النجوم، ويدها فى جيبى بنظونه، وكانا ينتظران أن يصحبهما كارل معه دونما جلبة».

قال السفرجى : «فى هذه الحالة، فإنه على أن أطحبك إلى الفندق بمفردك، وأن أحمل امتعتك إلى هناك» .

قال كارل : «أرجو أن تنتظر لحظة من فضلك» ، وانحنى كارل ليعيد الأشياء القليلة التى كانت متناثرة فوق العشب، إلى داخل الصندوق . واعتدل فجأة، كان يبحث عن الصورة الفوتوغرافية التى كان قد وضعها فوق ملابسه فى داخل الصندوق، دون أن يعثر لها على أثر، كل شىء آخر كان موجودا بداخل الصندوق ماعدا تلك الصورة.

قال لديلامارش فى توسل: «إننى لا أجد الصورة الفوتوغرافية»  
وتساعل ديلامارش قائلا: «أى صورة؟»

قال كارل: «صورة والدي» .

فقال روبنسون : «إننا لم نر صوراً بداخل الصندوق مطلقاً يامستر روسمان» .

قال كارل: «ألا إن هذا مستحيل بالفعل».. واجتذبت نظراته الضارعة السفرجى فاقترب منه: «لقد كانت فوق السطح، والآن لا أثر لها، وأرجو ألا تكونا قد عبثتما بصندوقى هنا وهناك»

قال ديلامارش: «إننا لم نرتكب أى خطأ، ولم يكن هناك أى صور فى الصندوق» .

قال كارل للسفرجى الذى كان يبحث عن الصورة فوق العشب: «لقد كانت أهميتها بالنسبة لى تفوق كل ماعداها، ذلك لأنه لايمكن تعويضها، فليس فى امكانى أن أحصل على صورة أخرى»، وعندما توقف السفرجى عن البحث اليائس ، أضاف كارل قائلاً: لقد كانت الصورة الوحيدة التى كنت أحملها معى لوالدى»

فقال السفرجى عندئذ فى صوت مرتفع ، دون أدنى محاولة لتلطيف الألفاظ :

- ربما أمكننا أن نفتش جيوب هذين السيدين

قال كارل فى الحال: «نعم، لابد لى من العثور على الصورة، لكن قبل تفتيش جيوبهما، دعنى أقل لهما، إن من يعيد لى تلك الصورة طائعاً، ففى إمكانه أن يأخذ صندوقى بكل مافيه»

وبعد لحظة من الصمت التام، قال كارل للسفرجى : «يبدو إن صديقى يفضلان تفتيش جيوبهما، إلا أننى مازلت عند وعدى بإعطاء الصندوق بكل مافيه لمن توجد فى جيبه الصورة، ولا يمكننى أن أفعل شيئاً أكثر من ذلك».

وشرع السفرجى فى تفتيش ديلامارش الذى بدا أن مهمة تفتيشه أصعب من مهمة تفتيش روبنسون، الذى ترك كارل يفتش جيوبه بنفسه، قائلاً لكارل، إنه يجب أن يتم تفتيشهما فى وقت معا، وألا تخلص أحدهما من الصورة خلسة، وما إن وضع كارل يده فى جيب روبنسون حتى عثرت أصابعه على تليفعة تخصه لكنه لم يخرجها، ونادى على السفرجى قائلاً له : « لا تنتزع أى شىء يتصادف أن تجده فى جيوب ديلامارش ، بل اتركه له فى مكانه، فلست أريد سوى الصورة، الصورة فقط» .

ولامست يد كارل وهو يقوم بتفتيش جيب الصدر فى سترة روبنسون، صدر الرجل المسترخى الساخن ، فانتابته الخشية من أن يكون قد ظلم رفيقيه، وقد دفعه هذا الخاطر إلى أن يسرع فى مهمته ما استطاع. لكن كان ذلك كله عبثاً، فلم يجد أثراً للصورة لا فى جيوب روبنسون، ولا فى جيوب ديلامارش .

قال السفرجى : «شىء سيئ» .

وأجابه كارل قائلاً: «لعلهما قد مزقا الصورة وألقيا بقصاصاتها بعيدا، لقد كنت أحسبهما صديقين، إلا أنهما فى أعماقهما لا يريدان لى سو الشر، ولا ينطبق شىء من هذا على روبنسون، فلم يخطر له قط أن تلك الصورة تهمنى إلى هذا الحد ، وإنما يقع اللوم على ديلامارش » .  
وكان كارل يرى الآن السفرجى وحده بلمبته التى تضىء دائرة صغيرة أمامهما، فى حين اختفى ديلامارش وروبنسون وكل شىء آخر خلفهما فى ظلام حالك .

ولم يعد هناك مجال لدعوة الرجلين إلى الفندق مع كارل ورفع السفرجى الصندوق فوق كتفه، والتقط كارل السلة وانطلقا فى السير، وكان كارل قد بلغ الطريق عندما أفاق فجأة من أفكاره، فتوقف، وصاح فى الظلام:



«استعما إلي، لو كانت الصورة مع أحدكما ورأى أن يحضرها إلى في الفندق، فمزال وعدى باعطائه الصندوق قائما أيضا في هذه الحالة ، وأقسم أنني لن أهاجمه إطلاقا» .

لم يتلق ردا على ذلك ، فقط كلمة مكتومة كان من الممكن سماعها كانت بداية صيحة كان روبنسون سيطلقها، إلا أن فمه اغلق في الحال، أغلقه ديلامارش فيما يبدو، وانتظر كارل طويلا، لعل الرجلين اللذين فوق المرتفع يغيران رأيهما، وصاح مرة، بعد مرة : «إننى ما زلت هنا» .  
لكنه لم يتلق رداً، فيما عدا أن حجرا تدحرج إلى أسفل لعله لم يكن قد سدد بإحكام ..

### الضدق الغربي

واقْتيد كارل عندما بلغ الفندق إلى أحد المكاتب، حيث كانت المديرية تملئ خطاباً، وهي تمسك بمفكرة في يدها، على سكرتيرة شابة، كانت تجلس إلى آلة كاتبة. وكان الإملاء بالغ الدقة، والدقات الواثقة الخفيفة تتابع فوق مفاتيح الآلة الكاتبة التي كانت تتسابق مع دقات الساعة المعلقة فوق الحائط المقابل التي كانت تسمع فقط من حين إلى آخر، بينما عقرباها يشيران إلى ما بعد العاشرة والرابع .

— هذا أنت! قالتها المديرية، وهي تعلق مفكرتها، وقفزت السكرتيرة واقفة، ووضعت الغطاء فوق الآلة الكاتبة، دون أن ترفع عينها عن كارل في أثناء قيامها بتلك الحركات الآلية. كانت تبدو كتلميذة صغيرة، وكان معطفها مكويًا في عناية، ومثنيًا بالمواة كذلك عند الكتفين، وكان شعرهما مكوماً، ومرفوعاً إلى أعلى، وكان مما يثير الدهشة إلى حد ما، بعد ملاحظة هذه التفاصيل، أن ترى جانبية وجهها! وبعد أن انحنت للمديرة أولاً، ثم لكارل، غادرت الحجرة، وألقى كارل نظرة لا إرادية مستفسرة نحو المديرية

قالت المديرية : أن مجيئك شيء رائع في النهاية، وماذا عن صديقك؟

قال كارل : إنني لم أحضرهما معي !

قالت المديرية ، وكأنها تفسر الأمر لنفسها: إنهما سيرحلان في الصباح المبكر جداً فيما أعتقد .

قال كارل في نفسه : لكن ألا تعتقد أن على أن أرحل مبكراً أنا أيضاً في تلك الحالة؟ ولكي يضع حداً لهذا الالتباس، قال لقد افترقتنا في ظروف سيئة!

وبدا ذلك للمديرة خبيراً ساراً، فقد قالت: إذن فأنت حر الآن؟  
قال كارل : نعم، إننى حر ! وبدا وكأنه لا يوجد أى شىء آخر أتفه من  
حريته تلك .

تساءلت المديرية قائلة : قل لى ، ألا تحب أن تحصل على وظيفة هنا فى  
الفندق ؟

قال كارل : أحب جداً، إلا أننى لا أكاد أعرف شيئاً ، فأنا مثلاً، لا يمكننى  
أن أستعمل الآلة الكاتبة !

قالت المديرية : لا أهمية لهذا ، فسوف تعطى لك وظيفة صغيرة تبدأ بها  
حياتك العملية، وسوف يكون شأنك بعد ذلك أن تشق طريقك إلى أعلى عن  
طريق الكد والانتباه، لكن مهما تكن الأحوال، فإننى أعتقد أنه من الخير لك،  
ومن الأصوب أن تستقر فى مكان ما، بدلاً من التجول على غير هدى ، كما  
تفعل الآن، فلست أعتقد أنك قد خلقت لشيء من هذا !

قال كارل فى نفسه : سوف يرضى خالى عن هذا أيضاً، وأوماً موافقاً،  
وتذكر فى تلك اللحظة نفسها بأنه لم يقدم لها نفسه بعد، على الرغم من أن  
المديرة قد أبدت مثل هذا الاهتمام بأمره، فقال، أرجو أن تغفرى لى ، لأننى  
لم أقدم لك نفسى حتى الآن، أن اسمى هو كارل روسمان!

- إنك ألمانى ، ألسنت كذلك ؟

قال كارل: نعم ، لم يمض على وقت طويل فى أمريكا!

- من أى مكان أتيت إلى أمريكا ؟

قال كارل : من براغ، فى بوهيميا !

صاحت المديرية قائلة بالإنجليزية فى تحيز بالغ للألمان، وهى تفرد  
ذراعها فى الهواء :

لقد توقعت هذا، إذن فنحن مواطنان، فاسمى هو جريتا ميترزلباخ وأننى من فيينا، وأعرف براغ جيدا، فقد عملت نصف عام فى «الأوزة الذهبية» فى ميدان فنسلاوس ، لقد توقعت ذلك بالفعل !

تساءل كارل قائلاً :متى كان ذلك ؟!

- منذ سنوات بعيدة، بعيدة مضت !

قال كارل : لقد هدم مبنى «الأوزة الذهبية» العتيق منذ عامين!

قالت المديرية : حسنا، حسنا، وهى مستغرقة تماما فى أفكارها عن الأيام الماضية ! لكنها فجأة انتعشت ثانية، فأمسكت بكتا يدي كارل، وصاحت: والآن وقد ظهر أنك مواطن من نفس وطني، فليس لك أن ترحل من هنا بأى حال من الأحوال، يجب ألا تسيء إلى بذلك، فما رأيك مثلاً فى أن تعمل كعامل مصعد؟ فقط قلها تكن قد أصبحت عامل مصعد، ولو كنت قد اطلعت على شىء من طبيعة هذا البلد، لتحققت من أنه ليس من السهل الحصول على مثل هذه الوظيفة، فوظيفة عامل مصعد هى أفضل بداية فى الحياة يمكن أن تحلم بها، فهى تتيح لك الاتصال المباشر بكل ضيوف الفندق، والناس تراك دائماً، وتعهد إليك بالقيام ببعض المهام الصغيرة، وباختصار فلديك؛ الفرصة كل يوم لتحسين وضعك، وسوف أرتب كل شىء بنفسى فاترك الأمر لى !

قال كارل، بعد وقفة قصيرة: أحب جدا أن أكون عامل مصعد بالفعل! كان من الحمق أن يتردد فى قبول وظيفة عامل مصعد، نظرا لدرسته الثانوية، فلديه هنا فى أمريكا أكثر من سبب يدفعه إلى أن يخجل من دراسته الثانوية، وبالإضافة إلى ذلك، فكارل كان يعجب دائماً بعمال المصاعد، وكان ينظر إلى وضعهم باعتباره مجرد زينة !

تساءل بعد ذلك قائلاً : ألا يتطلب هذا العمل الإلمام باللغة؟!

- إنك تتحدث الألمانية ، ولغتك الإنجليزية سليمة، حسنة. وهذا يكفي تماماً!

قال كارل، الذى رأى أنه من الأفضل ألا يتجاوز عن هذا العمل الوحيد الذى يدعوه للفخر: لقد تعلمت اللغة الانجليزية فقط فى خلال الشهرين ونصف الشهر التى انقضت على وجودى فى أمريكا!  
قالت المديرية : إن هذا فى حد ذاته يعد تزكية كافية! تذكرنى بالصعوبات التى واجهتني عند بدء تعلمى اللغة الانجليزية، كان ذلك بالطبع منذ ثلاثين عاماً، ولقد كنت أتحدث عن ذلك بالأمس فقط، ذلك أن الأمس كان عيد ميلادى الخمسين، وحاولت بابتسامة أن تقرأ فى وجه كارل انطباعه عن مثل هذه السن الوقور !

قال كارل : إننى أتمنى لك إذن مزيداً من السعادة !  
قالت وهى تهز يد كارل، وتتطلع فى كآبة إلى تلك الجملة الألمانية العتيقة التى جاءت تلقائياً على طرف لسانها: حسناً، إن السعادة هى دائماً النفع، ثم صاحت فجأة: إننى أحتجزك هنا، ولا بد أنك متعب.. ويمكننا أن نتحدث غداً عن كل شىء بصورة أفضل، أن سرورى بلقاء أحد مواطنى قد جعلنى أنسى كل شىء آخر، هيا، سوف أدلك على حجرتك!

قال كارل : أرجو أن تسمحى لى بخدمة أخرى - وهو يتطلع إلى التليفون الذى يستقر فوق المنضدة - من الممكن فى صباح الغد أن يحضر لى صديقائى العابران هذان، صورة فواوغرافية احتاجها جداً، فهل تتفضلين بأن تبغى البواب تيلفونيا بأن يرسل الرجلين إلىّ، أو أن يطلببنى عندئذ حتى اهبط للقائهما ؟

قالت المديرية : بلاشك، لكن ماذا لو سلما الصورة إلى البواب؟ وماهى هذه الصورة، لو كان لى أن أسأل؟

قال كارل: إنها صورة لوالدى ، ولكننى يجب أن أتحدث بنفسى إلى  
الرجلين!

ولم تجب المديرية بشىء أكثر من ذلك، وأبلغت أمرها تليفونياً إلى البواب  
الذى ذكرت له رقم ٥٣٦ ، على أنه رقم حجرة كارل!

ثم سارا بعدئذ عبر باب يواجه باب المدخل، وعبر ممر قصير، حيث كان  
صبى مصعد، صغير السن يستند إلى داريزين أحد المصاعد، مستغرقاً فى  
النوم ! قالت المديرية فى رقة، وهى ترافق كارل إلى داخل أحد المصاعد: قد  
نفعل ذلك نحن أيضاً ! ثم أضافت بينما يرتفع بهما المصعد إلى أعلى : فىيوم  
عمل يتراوح بين عشر واثنى عشرة ساعة، هو بالفعل شىء كثير بالنسبة  
لطاقة صبى كهذا ! إلا أن أمريكا بلد غريب، ولتأخذ هذا الصبى مثلاً، لقد  
أتى إلى هذا المكان منذ نصف عام فحسب، فى رفقة والديه، وهو إيطالى ،  
وهو يبدو الآن، وكأنه لا يتحمل العمل ببساطة، فعلى وجهه يرتسم الإرهاق،  
وهو ينام فى أثناء أداء عمله، مع أنه بالطبع صبى مجتهد جداً.. لكن عليك  
فقط أن تمهله ستة أشهر أخرى ، فسوف تراه قادراً على احتمال عبء  
العمل فى بساطة، وسوف يغدو رجلاً قوياً، فى خلال خمس سنوات أخرى ،  
وفى وسعى أن أنفق الساعات الطوال فى سرد مثل تلك الحالات ، ولست  
أنت واحداً من هؤلاء، لأنك بالفعل فتى قوى الآن ، فأنت فى السابعة عشرة،  
أليس كذلك !؟

فأجاب كارل: سوف أتم السادسة عشرة فى الشهر القادم!

فقالت المديرية : لم تبلغ السادسة عشرة بعد أيضاً؟ إذن فلست فى حاجة  
إلى أن تخشى شيئاً ! وفى أعلى المبنى قادت كارل نحو حجرة كان تبدو  
واحدة من غرف السطح، ذات سطح مائل ألا إنها كانت تبدو مريحة بالفعل،  
وتضيئها لمبتان .

قالت المديرية : «لاتدهش للأثاث الذى فى الحجره، فليست هذه واحده من غرف الفندق، لكنها إحدى غرفى الخاصة، ولدى ثلاث غرف منها، وعلى هذا فلن تسبب لى مطلقاً أى ازعاج، وسوف أغلق الأبواب الداخلية التى توصل هذه الغرف بعضها ببعض، وهكذا يمكنك أن تخلو إلى نفسك وغدا ستحصل بالطبع على غرفة خاصة بك، كموظف جديد فى الفندق، فلو كان صديقك قد جاء معك، لكنك قد وضعتكم معا فى الغرفة العلوية الواسعة، حيث ينام خدم الفندق، لكن لأنك بمفردك، فإننى أرى من الأفضل لك أن تبقى هنا، على الرغم من أنه لا يوجد سوى الأريكة لتستلقى فوقها، والآن نم فى راحة، واستجمع نشاطك لعملك، ولن يكون الغد فى مثل شدة اليوم، وقسوته!».»

- أشكرك شكرا بالغاً حقاً على عطفك!

قالت وهى تتوقف عند باب الحجره: «انتظر، سوف أعمل ترتيبى بحيث لا يوقظك أحد فى الصباح المبكر!» وا تهمت إلى باب جانبى يفتح إلى خارج الحجره، وطرقته، صائحه، «تيريزا!» فأجاب صوت السكرتيرة : «نعم يامدام!».»

- عندما توقظينى فى الصباح، فاذهبى إلى حجرتى عن طريق المر، فثمة ضيف ينام فى هذه الحجره، وهو مرهق غاية الإرهاق، وابتسمت لكارل وهى تقول ذلك: «هل تسمعين!؟»

- نعم يامدام !

- حسناً إذن، طابت ليلتك !

- طابتك ليلتك !

قالت المديرية ، وهى تحاول أن تفسر الامر لكارل: «لقد عانيت من النوم السيئ لعدة سنوات، ولى فى وضعى الحالى كل الحق فى أن أرتاح، ولست

احتمل الإزعاج فى الحقيقة بأية صورة من الصورة، لأن كل مخاوفى القديمة لاتزال تنتابنى حتى الآن، وتحرمى من النوم، فلو قدر لى أن أستغرق فى نومى فى الساعة الثالثة صباحاً، فإننى أعتبر نفسى سعيدة الحظ، لكن لما كان على أن أنهض بأعباء عملى فى الخامسة.. أو الخامسة والنصف على الأكثر، فلا بد من أن يوقظنى شخص ما، ولا بد له من أن يحاول إيقاظى فى رفق بالغ، حتى لايسبب لى مزيدا من تلف الأعصاب، فأعصابى تلفة بالفعل غاية التلف .

وهكذا .. فتييريز توقظنى ، إلا أننى قد أخبرتك الآن بالفعل بكل شىء يمكن أن أخبرك به، ولم أذهب حتى الآن .. طابت ليلتك ! ومرقت إلى خارج الحجرة، على الرغم من ضخامة حجمها!

وكان كارل يريد أن ينام، فقد كان مرهقا غاية الإرهاق طوال اليوم، ولم يكن ليتطلع إلى مكان مريح لينام فيه، أفضل من هذا المكان، لم تكن الغرفة غرفة نوم بلاشك ، بل كانت عرفة معيشة المدير، أو حجرة استقبالها على وجه التحديد ، وكان ثمة وعاء للغسيل قد وضع خصيصاً من أجل استعمال كارل فى تلك الليلة، إلا أنه لم يشعر برغبة فى أن يمس أى شىء من محتويات الحجرة فى تلك الليلة، كان يتطلع فقط إلى شىء من الإحساس بوجوده وكان صندوقه هناك فى انتظاره، ولاشك أنه لم يوضع فى مكان آمن كهذا المكان لمدة طويلة وفوق بوفيه منخفض ذى ادراج ينتشر فوقه غطاء من الصوف كالشبكة كانت تستقر بضع صور فوتوغرافية فى اطاراتها، وتوقف كارل أثناء تجوله فى أنحاء الحجرة ليتطلع إليها .

كانت صوراً قديمة كلها تقريباً لفتيات فى ملابس عتيقة الطراز، غير مريحة، وكانت قبعة صغيرة محلاة بتاج تزين فى إهمال رأس كل فتاة من تلك الفتيات، بينما كانت اليد اليمنى لكل منهن، تستند فوق مقبض شمسية،



وكانت تلك الفتيات يواجهن من ينظر إلى صورهن إلا أن عيونهن لم تكن لتلتقى بعينيه، وبين صور الرجال اصطدمت عينا كارل بصفة خاصة بصورة جندي شاب كان قد وضع قبعته فوق منضدة، وكان يقف منتصباً بخصلات شعره الثائر، الأسود، ونظرة رضا مكبوتة، تنم عن عنجهية، ويبدو أن شخصا أعاد تلوين أزرار رداؤه بنقط من طلاء ذهبي . لعل هذه الصور كلها تكون قد جاءت من أوروبا، وكان من الممكن أن يتأكد كارل من ذلك بالتطلع إلى ظهر تلك الصور، إلا أنه لم يرغب في أن يمد يده إليها، وكان يود لو يضع صورة والديه في الغرفة التي سيشغلها، على نحو تلك الصور الموضوعه هنا .

وكان كارل قد تمدد فوق الأريكة، وتأهب للنوم بعد أن اغتسل من قمة رأسه إلى أصابع قدميه، وكان قد فعل ذلك بغاية الهدوء نظراً لوجود الفتاة التي تجاوره في الغرفة، عندما خيل إليه أنه سمع طرقا خفيفاً على أحد الأبواب، ولم يستطع أن يكتشف للوهلة الأولى على أى باب من الأبواب كانت تلك الطرقات، ولعلها كانت ضوضاء غير مقصودة، إلا أنها قد تكررت في الحال، ولم يكن كارل قد استغرق في النوم عندما تكرر ذلك الطرق فوق الباب وكانت طرقة واضحة الآن بكل تأكيد.. وظهر أن تلك الطرقة الأخيرة كانت على الباب المؤدى إلى حجرة السكرتيرة، ومشى كارل على أطراف أصابعه إلى الباب، وتساءل في رقة بالغة، حتى إذا كانت الفتاة التي في الغرفة الأخرى نائمة رغم ذلك الطرق، فلا يتسبب في أن يوقظها : «هل تريدن شيئاً؟»

وجاء الرد في الحال في نفس الصوت الخافت البالغ الرقة : «ألا تفتح الباب؟» إن المفتاح في الجانب الذي أمامك؟

قال كارل : «بلاشك، إلا أننى يجب أنأ أرتدى شيئاً من ملابسى أولاً!» .  
مضت فترة قصيرة من الصمت، ثم قالت الفتاة: «لست فى حاجة إلى أن  
تفعل ذلك، افتح الباب، ثم عد إلى فراشك ثانية، سوف أنتظر قليلاً أمام  
اللباب».

- حسناً، قالها كارل ونفذ اقتراح الفتاة وأضاء النور الكهربائى كذلك،  
ثم قال عندئذ: «إننى فى فراشى الآن!»، فى صوت مرتفع إلى حد ما. ثم  
ظهرت السكرتيرة خارجة من ظلام غرفتها فى كامل ثيابها، كما كانت عندما  
غادرت مكتب المدير، ويبدو أنها لم تكن قد فكرت فى النوم!

قالت: «أرجو أن تسمح لى»، وهى تتهادى بصورة ما أمام أريكة كارل  
«وأرجو ألا تذكر شيئاً عن زيارتى هذه لك، ولست أريد أن أزعجك طويلاً،  
فإننى أعلم أنك مرهق غاية الإرهاق!»

قال كارل : «لست مرهقا إلى هذا الحد، لكننى أعتقد أنه ربما كان من  
الأفضل أن أرتدى شيئاً من ملابسى!» وكان عليه أن يرقد متمددا تماما  
حتى يمكنه أن يسحب فوقه الغطاء، حتى عنقه، لأنه لم يكن لديه رداء للنوم !  
قالت : «سأبقى لحظة فقط!» وهى تتطلع حولها باحثة عن مقعد، ثم  
أضافت تقول: «هل يمكننى أن أجلس بالقرب من الأريكة؟!» وأوماً كارل  
بالإيجاب ووضع مقعدها لصق الأريكة، حتى كان على كارل أن يلتصق  
بالحائط لكى يتمكن من رؤية وجهها جيدا. كان لها وجه مستدير ، رقيق  
التكوين، فيما عدا أن حاجبيها كانا يبدوان مرتفعين بصورة ملحوظة، وربما  
كان ذلك بتأثير تسريحة شعرها التى لم تكن تناسبها، وكانت ملابسها  
نظيفة جدا، ومرتبّة، وكانت تعنصر منديلا فى يدها اليسرى .

وتساءلت : «هل ستمكث هنا طويلا؟!» .

فأجابها كارل قائلاً : « لم يستقر الرأي فى هذا الشأن بعد، لكننى أعتقد  
أننى سأبقى ! » .

قالت : « سيكون هذا رائعاً » ، ومرت بمنديلها فوق وجهها، وذلك لأننى  
أشعر بالوحدة القاسية هنا!

قال كارل : « إن هذا يدهشنى، إن المديرية تعطف عليك عطفاً زائداً ،  
أليس كذلك؟! إنها لا تعاملك كموظفة مطلقاً، ولقد ظننت بالفعل أنك إحدى  
قربياتها! » .

قالت : « أوه.. لا، ان اسمى هو تيزير بيرشتولد، وقد أتيت من  
بوميرانيا! » .

وقدم كارل أيضاً نفسه، وتطلعت إليه مباشرة للمرة الأولى ، وكأنه بدا  
فجأة غريباً أكثر مما كان عندما ذكر لها اسمه. وظلا صامتين لفترة  
قصيرة، ثم قالت: « يجب ألا تظن أننى ناكرة للجميل!»، فلولا المديرية، لكنت  
الآن فى حال أسوأ كثيراً من حالتى الحاضرة، ولقد كنت أعمل بين فتيات  
المطبخ هنا فى الفندق، وكنت معرضة جداً للفصل من عملى هنا، لأننى لم  
أكن أحتمل العمل الشاق، فإنهم يتوقعون منك فى المطبخ أن تقوم بمجهودات  
خارقة، منذ شهر أغمى على واحدة من فتيات المطبخ، اغمى عليها ببساطة  
تحت ضغط الإرهاق، وكان عليها أن تمكث فى المستشفى أسبوعين، وأنا  
نفسى لست فى صحة جيدة، ولقد كنت دائمة المرض فى طفولتى، وكنت  
بطيئة فى النمو لهذا، ولعلك لا تتخيل.. هل تتخيل أننى فى الثامنة عشرة؟  
إلا أننى أزداد قوة الآن !

قال كارل : « لا بد أن العمل هنا شاق بالفعل، ولقد رأيت صبي مصعد فى  
الطابق الاسفل ينام واقفاً فوق قدميه! »

قالت : «إن عمال مصاعد قد اعتادوا بالفعل على ذلك! كما انهم يحصلون على مبالغ كبيرة من منح البقشيش، ومع ذلك فليس عليهم أن يبذلوا جهداً من قبيل الجهد الذى يتطلبه العمل الذى تقوم به فتيات المطبخ. ولقد كنت سعيدة الحظ بالفعل مرة فى حياتى كلها فقد أرسلت المديرية ذات يوم فى طلب فتاة، لتقوم بترتيب فوط السفارة استعداداً للمأدبة، وكان هناك ما يقرب من خمسين فتاة فى المطبخ وتصادف ان كنت أنا التى انطبقت عليها شروط المديرية، فتم اختياري! حسناً.. ولقد قمت بالعمل الذى أسندته إلى بصورة حازت رضاها فقد كنت ماهرة دائماً فى ترتيب فوط السفارة، وهكذا احتفظت بى إلى جانبها منذ ذلك اليوم، وقامت بتمريني، على مراحل حتى أصبحت سكرتيرتها ولقد تعلمت منها الكثير !

تساءل كارل : «هل توجد أعمال كتابية كثيرة هنا!» .

وأجابته قائلة: «أوه .. توجد أعمال كثيرة جداً أكثر مما يمكنك أن تتصور، ولقد رأيت بنفسك أننى كنتا أقوم بعملى حتى الحادية عشرة والنصف هذه الليلة، وهذا أمر عادى جداً، ولست أكتب بالطبع على الآلة الكالته طوال الوقت، لكننى أقوم أيضاً بعدد من المهمات فى المدينة!» .

تساءل كارل قائلاً : «هل هى مدينة كبيرة؟» .

فأجابته قائلة : «كبيرة جداً إننى لم أتمتع بمشاهدتها كلها، لكن .. ألا تريد الآن بالفعل أن تستغرق فى النوم؟» .

قال كارل : «لا .. لا .. إنك لم تذكرى لى بعد لماذا جئت لزيارتى الآن؟» .

- لأننى لا أجد من أتحدث إليه. إننى لا أشكو، لكن لا يوجد فى الحقيقة من يمكننى أن أتحدث إليه، ويسعدنى أننى وجدت شخصاً ما فى النهاية،. شخصاً يسمح لى بأن أحادثه.. ولقد رأيتك فى الصالون، فى الطابق

الأسفل.. كنت قد دخلت لحظتها أبحث عن المديرية عندما اصطحبتك إلى داخل المخزن» .

قال كارل : «ان ذلك الصالون مكان مزعج!» .

أجابته : «إننى لا أراه إلا نادرا فى هذه الأيام، لكننى أريد فقط أن أقول إن المديرية تعطف على كما لو كانت أمى ، لكن هناك اختلافا هائلا بين وضعينا، حتى إننى لا أستطيع أن أتحدث إليها فى شىء من الحرية. ولقد كانت لى صديقات من بين فتيات المطبخ، غير أنهن قد غادرن هذا المكان منذ زمن بعيد، ولا أكاد أعرف الفتيات الجديديات اللاتي حللن مكانهن وبالإضافة إلى ذلك، فإنه غالبا ما يبدو لى العمل الذى أقوم به الآن عملا مرهقا بصورة تفوق عملى السابق فى المطبخ، حتى أننى لا أتمكن من القيام به على خير وجه، كما كنت أفعل فى عملى السابق ويخيل لى غالبا أيضا أن المديرية تحتفظ بى فقط بدافع الشفقة، وفوق هذا كله فإن هذا العمل يحتاج إلى دراسة أفضل من الدراسة التى تلقيتها ولا بد لى من ذلك لكى أصلح كسكرتيرة. من الخطأ أن أصرح بذلك لكننى غالبا ما أشعر بهذا كله. وأحسه إلى حد يوشك أن يؤدي بى إلى فقدان عقلى، «بحق الإله» واندفعت تتكلم فى سرعة وتلمس فى حركات خاطفة كتف كارل لأنه كان يخفى يديه تحت البطانية .. لاتذكر للمديرة كلمة من هذا، والا فإننى بهذا أكون قد قضى على، فلو سببت لها ألما، بالإضافة إلى انشغالها بأمرى ، فسوف يكون ذلك شيئا يزيد عن طاقتها على أن تحتملنى.

فأجابها كارل قائلا : لن أذكر لها بالطبع أى شىء..

قالت : كل شىء إذن على مايرام ويجب عليك أن تبقى هنا فسوف أكون فى غاية السرور لو بقيت، ويمكننا أن نصبح صديقين لو شئت . فعندما رأيته، احسست بأن فى امكانى أن اثق بك، الا أننى - وتأمل إلى أى حد

أبدو ملعونة - كنت خائفة أيضا من أن تجعلك المديرة سكرتيرها بدلا منى ،  
وتفصلنى . ولقد قضيت وقتاً طويلا وأنا جالسة إلى نفسى فى الحجرة  
المجاورة، اقلب الأمر من كل وجوهه بينما كنت أنت فى مكتب المديرة فى  
الطابق الأسفل، حتى انتهيت أخيرا إلى أنه قد يكون من الخير لك أن تأخذ  
مكاني، لأنك ستؤدى هذا العمل دون شك بكفاءة لاتتوفر لى ، فلو لم ترغب  
فى القيام بالمهمات التى ترسل بسببها إلى المدينة، فسوف أوصل أنا القيام  
بهذه الخدمات، لكننى فيما عدا ذلك ساكون أكثر نفعاً بعودتى إلى المطبخ  
خاصة وأننى قد أصبحت الآن أقوى مما كنت ! ..

قال : لقد تقرر كل شىء الآن بالفعل فساكون أنا عامل مصعد وسوف  
تبقين أنت فى عملك كسكرتيرة، لو انك لمحت للمديره بخططك هذه فسوف  
أخبرها بما قلته لى الآن وإننى أسف مقدما على أننى سأقول لها هذا كله..  
وأخافت لهجة كارل تيريز خوفاً شديداً، حتى إنها ألفت نفسها أرضاً  
إلى جوار الأريكة، وهى تبكى وتخفى وجهها فى ملابس نومها.

قال كارل: أوه .. سوف لا أخبرها بشىء ، لكن يجب ألا تقولى لها شيئاً  
أنت أيضاً .

ولم يستطع أن يمنع نفسه الآن من أن يخرج إلى حد ما، من تحت  
غطائه ويتحسس ذراعها فى رقة، إلا أنه لم يلق الكلمات المناسبة التى يمكنه  
أن يهدئها بها، أمكنه فقط أن يدرك أن حياة هذه الفتاة حياة مريرة،  
وأخيرا واساها ما استطاع حتى لقد خجلت من بكائها، وتطلعت إليه فى  
امتنان، ونصحته بأن يستغرق فى النوم حتى الصباح، ووعدته أن تأتى إليه  
فى الساعة الثامنة لتوقظه ان وجدت أمامها متسعاً من الوقت .  
قال لها كارل : «انك ماهرة غاية المهارة فى ايقاظ الناس!»

قالت : «نعم .. يمكننى أن أفعل بعض الأشياء، ومرت بيدها فى رفق فوق ملابس نومه، وكأنها تصافحه مودعة، ثم اندفعت نحو حجرتها» .  
وأصر كارل فى اليوم التالى على أن يبدأ عمله فى الحال، على الرغم من أن المديرية كانت قد أشارت عليه بأن يقضى اليوم فى زيارة المدينة فأخبرها فى صراحة أنه سيجد أمامه فرصا عديدة لرؤيتها فيما بعد إلا أن أهم شيء أمامه الآن هو أن يبدأ العمل فقد كان قد قطع دراسته فى أوروبا بلا هدف، وهاهو ذا يبدأ الآن مرة أخرى حياته كعامل مصعد فى سن لعل الطموحين من أقرانه أن يكونوا قد أصبحوا فيها مهيين لعمل أكثر خطورة، ولقد كان من الخير ، ومن الضرورة له أن يبدأ حياته كعامل مصعد، لكن من الضرورى له أيضا أن يتقدم بغاية السرعة فى مثل هذه الظروف.. لم يرق له مطلقا أن يتسكع فى شوارع رمسيس ولم يقبل أيضا أن يتمشى قليلا مع تيريز عندما اقترحت عليه ذلك، إنه لم يكن يستطيع أن يطرد من رأسه تلك الفكرة الثابتة التى تتلخص فى أنه ربما هبط أن لم يعمل بكل قواه الى مستوى ديلامارش وروبنسون .

وعدّل ترزى الفندق على مقاس كارل زيا كان لواحد من عمال المصاعد! وكان زياً مثقلا للغاية بالازرار المذهبة والشرائط الذهبية الا أنه جعل كارل يرتجف قليلا عندما ارتداه، فقد كانت الجاكتة القصيرة ضيقة تحت الذراعين بوجه خاص وجامدة تفوح منها رائحة العرق الذى لا حيلة فى ازالته، ذلك العرق الذى نضح على الجاكتة من أجساد الصبية العديدين الذين ارتدوها قبله، وكان لابد أن تعدّ مقاسات الجاكتة حتى تناسب كارل، وخاصة بالنسبة للصدر، لأن جاكتة واحدة من الجاكتات الثمانى الأخرى لم تناسب مقاسه .. على الرغم من بعض الإصلاحات الضرورية، ومع أن رئيس الترزية كان يراجع مقاييس تلك الجاكتة، ولقد طوحها إلى الخلف مرتين داخل المشغل،

بعد أن كانت قد انتهت على ما يبدو - ورغم ذلك كله، تم الإصلاح والتعديل في نحو خمس دقائق وغادر كارل حجرة الترتي مرتدياً - بالفعل - بنطلونا ضيقاً يناسبه، وجاكتة، كانت محكمة عليه جداً بالرغم من كل التأكيدات القاطعة التي كان رئيس الترتية ينفى بها ذلك فأغرت كارل على الانهماك في القيام بتمرينات التنفس، لأنه كان يريد أن يطمئن ان كان في وسعه أن يتنفس بالفعل وهو يرتديها.

ثم أوضح كارل ذلك لرئيس السفرجية، الذي كان يرأسه، وهو رجل نحيل وسيم ، له أنف كبير، ويبدو في العقد الخامس من عمره، ولم يكن لدى رئيس السفرجية وقت لتبادل كلمة واحدة معه، ودق الجرس ببساطة طالباً أحد عمال المصاعد، الذي تصادف إن كان نفس صبي المصعد الذي رآه كارل بالأمس.

ناداه رئيس السفرجية باسمه الأول جياكومو الذي كان كارل قد قضى وقتاً حتى يتبينه، ذلك أنه لم يكن يمكن تمييزه في النطق الإنجليزي ووجهت التعليمات إلى الصبي بأن يدل كارل على الواجبات التي على عامل المصعد أن يقوم بها إلا إنه كان صبياً خجولاً ومتعجلاً حتى أن كارل لم يكن يفهم شيئاً من تلك المعلومات القليلة التي كان عليه أن يذكرها له. ولاشك في أن جياكومو كان مستاء أيضاً لأنه كان قد نقل من عمله في المصعد، بسبب كارل فيما يبدو، وتعين عليه أن يساعد الفتيات في ترتيب الحجرات ذلك النقل الذي بدا له تخفيضاً في وضعه وكان يدرك هذا بسبب بعض الخبرات الخاصة التي لم يبح بها رغم ذلك. وكان خيبة الأمل التي أصيب بها كارل هي اكتشافه أن عامل المصعد لا شأن له فيما يتعلق بميكانيكية المصعد لكن عليه فقط أن يحركه بالضغط فوق بعض الأزرار، على حين يقوم ميكانيكيو الفندق بأداء كل الإصلاحات التي يحتاج إليها أى مصعد في حالة تعطله..



فمثلاً، على الرغم من أن جياكومو قد قضى نصف عام فى الخدمة كعامل مصعد فإنه لم ير مطلقاً بعينيه لا المحرك الموجود فى داخل القبو ولا أجزاء المصعد الداخلية التى تسهم فى حركته، مع أن ذلك، كما قال هو نفسه كان سيسره! وكان العمل فى الحقيقة مملاً ونوبات العمل التى تمتد اثنتى عشرة ساعة وتتغير نهارة مرة وأخرى ليلاً، تعد نوبات مرهقة جداً، حتى أن المرء لا يمكنه ببساطة تبعاً لقول جياكومو، أن يحتملها إذا لم ينم واقفاً على قدميه بضع دقائق من حين لآخر ولم يعقب كارل بشئ على هذا القول إلا أنه كان يدرك تماماً أن هذه الحيلة نفسها هى التى كلفت جياكومو وظيفته.

وكان كارل فى غاية السرور لأن المصعد الذى سيعمل به كان مخصصاً للأدوار العليا لأنه لم يكن عليه أن يتعامل مع الضيوف الأثرياء، الذين يعدون أكثر الزبائن إرهاباً لعامل المصعد وتشديداً فى أوامرهم ولم يكن له أن يعرف الكثير من المصاعد الأخرى لهذا بدا له هذا العمل طيباً كمجرد بداية. وأدرك بعد انقضاء الأسبوع الأول أنه كان كفوفاً تماماً للوظيفة وكانت اللوحة النحاسية فى مصعده أكثر لمعانا من مثيلاتها فى المصاعد الأخرى ولم يكن يوجد فى أى من المصاعد الثلاثين الأخرى أى شئ يجعله جديراً بأن يقارن بمصعد كارل، وربما بقى المصعد لامعاً على الدوام لو أن الصبى الآخر الذى يتناوب معه العمل فيه بذل شيئاً من الجهد يقرب مما يبذله كارل من الجهد الخارق دون أن يزداد اهمالاً كلما ازداد انتباه كارل إلى واجباته. كان ذلك الصبى مواطننا أمريكياً يدعى رينيل وهو فتى مغرور ذو عينين سوداوين، وخطود ناعمة مجوفة إلى حد ما، وكان يرتدى بذلة خاصة جميلة فى الليالى التى كان يخلو فيها من العمل، عندما كان يهرع إلى المدينة متعطراً وكان أكثر من هذا يسأل كارل من حين لآخر أن يقوم بعمله أمسية من الأمسيات متعللاً بأن عليه أن يذهب إلى مكان ما لظرف عائلى دون أن يلقى بالا إلى تناقض تلك الحجج التى كان يلفقها مع مظهره المبتهج، ورغم

ذلك فقد أحبه كارل، وكان يسره أن يرى رينيل وهو يقف إلى جانب المصعد ببذلته الرائعة قبل أن يغادر الفندق في أحد تلك الأمسيات، وهو يتعلل بالمعازير مرة أخرى بينما يجذب قفازيه ثم يتسلل خارجاً عبر الردهة وبالإضافة إلى ذلك فقد رأى كارل أنه من الطبيعي له أن يرضى زميلاً أكبر منه على هذا النحو في البداية ولم يكن كارل ينوى أن يجعل ذلك تقليداً ثابتاً ذلك أن تحريك المصعد إلى أعلى وإلى أسفل، كان عملاً مرهقاً في ذاته إلى حد كافٍ، وخاصة في الأمسيات حيث لا يتاح له أن يتوقف لحظة واحدة عن الحركة.

وهكذا تعلم كارل أيضاً كيف يؤدي تلك الانحناء العميقة السريعة التي يتعين على صببية المصاعد أن يؤديها، وأن يتناول منح البقشيش بغاية الخفة، فكانت تلك المنح تختفى فوراً في جيب صديريه، دون أن يتمكن أحد من أن يستشف من تعبير وجهه إن كان البقشيش كبيراً أو زهيداً وكان يفتح باب المصعد للسيدات في شيء من الرقة، ويدخل إلى المصعد خلفهن متباطئاً لأنهن في عنايتهن بقبعاتهن وملابسهن وزينتتهن، يستغرقتن وقتاً طويلاً في الحركة، بخلاف الرجال، إلى داخل المصعد.. ويظل في أثناء تحرك المصعد، ملتصقاً ببابه لأنه أكثر الأماكن حياداً ويعطى ظهره إلى النزلاء ويظل ممسكاً في يده بمقبض الباب لكي يكون مستعداً عند لحظة بلوغ الطابق المطلوب لأن يفتح الباب على مصراعيه على كلا الجانبين دون تعطيل النزلاء أو مفاجأتهم، وما أن يربت أحدهم فوق كتفه ليسأله في أثناء الصعود عن شيء ما، حتى يستدير إليه في لباقة كما لو كان يتوقع السؤال ويجيبه في صوت مرتفع، وفي أحيان بعد انتهاء حفلات المسرح خاصة، أو وصول أحد القطارات السريعة يكون الزحام شديداً، على الرغم من وجود كل تلك المصاعد العديدة بالفندق فلم يكن كارل يفرغ من توصيل مجموعة من النزلاء إلى الطابق الذي يريدونه، حتى يقفل راجعاً مرة أخرى إلى هؤلاء

الذين ينتظرونه فى الطابق الأسفل، وكان فى مقدوره يجذب سلكا كهربائى كان يمر خلال المصعد أن يزيد من سرعة المصعد العادية، على الرغم من أن ذلك كان ممنوعاً طبقاً للتعليمات، وكان يعد أمراً على جانب كبير من الخطورة كذلك فلم يكن كارل يفعل ذلك عندما يكون المصعد مشغولاً بالنزلاء لكنهم ما أن يغادروه إلى الطابق الذى يقصدونه، وتتعين عليه العودة لاحتضار عدد من النزلاء الآخرين حتى يجذب كارل ذلك السلك دون أدنى تردد مصعداً تنهيدات قوية منتظمة كالبحارة، وكان يعلم بالإضافة إلى ذلك أن صببية المصاعد الآخرين يفعلون ذلك هم أيضاً. ولم يكن يريد أن يلجأ النزلاء الذين ينتظرونه إليهم، وكان بعض الضيوف الذين يمكثون لفترات طويلة فى الفندق - وهى عادة شائعة هنا - يقولون فى ابتسامة، عندما يلمحونه: إنه هو عامل مصعدهم! وكانت هذه البوادر التى تنم عن العطف تجد قبولا رزيناً من كارل، لا يفتقر إلى الشعور تجاههم بالعرفان، وكان يقوم أحيانا إذا لم يكن متعجلاً غاية العجلة كعادته بأداء بعض الخدمات الصغيرة، باحثاً عن شيء أو آخر يكون النزول قد نسيه فى حجرته، ولا يريد أن يتكلف مشقة العودة إلى الحجرة مرة أخرى للبحث عنه، فكان كارل يطق وحده عالياً بمصعده الذى يبدو مصعده الخاص بالفعل فى تلك الحالات، ويدخل الحجرة الغربية، حيث تواجهه أشياء عجيبة لم يكن قد رأى شبيها مثلها من قبل متناثرة هنا وهناك أو تتدلى من شموعات الملابس، ويشم رائحة مميزة لنوع غير مأوف من الصابون أو العطر، أو معجون الأسنان، ويسرع بالعودة، فلا يتباطأ بدقة واحدة دون داع، وفى يده الشيء المطلوب مع أنه لم يكن قد تلقى سوى معلومات غامضة فى العادة لا يمكن أن تحدد على وجه الدقة ذلك الشيء المطلوب البحث عنه وكان كارل يأسف فى أحيان كثيرة لأنه لم يكن يعهد إليه بقضاء خدمات تستغرق وقتاً أطول، من قبيل تلك الخدمات التى كان يعهد بأدائها إلى مساعدين بعينهم، أو سعاة مزودين

بالدرجات وأحيانا بالموتوسيكلات، وكان أقصى ما كان يكلف به هو عمل من الأعمال البسيطة فى حجرة الطعام أو حجرة القمار.

وبعد انتهاء نوبة عمل تستغرق اثنتى عشرة ساعة، يفرغ من أداء عمله فى الساعة السادسة مساء لمدة ثلاثة أيام، وفى السادسة صباحا فى الأيام الثلاثة مساء لمدة ثلاثة أيام، وفى السادسة صباحا فى الأيام الثلاثة تليها، كان كارل يفرغ من نوبة عمله حينئذ مرهقا غاية الإرهاق حتى أنه كان يتوجه مباشرة إلى فراشه دون أن يلتفت إلى أى شخص، وكان فراشه فى عنبر نوم صبية المصاعد، وكانت المديرية التى تبين له أنها لم تكن تتمتع بكل تلك السلطة التى تخيلها فى ليلتها الأولى، قد حاولت أن تخصص له غرفة مستقلة، ولعلها كانت لتنجح فى ذلك، إلا إنه عندما رأى الصعوبات التى واجهت هذه الرغبة.. ورأى أنه كان عليها أن تتصل برئيسه المباشر - رئيس السفرجية - بصورة متواصلة، رفض هو ذلك بنفسه وأقنعها بصدق نيته فى رفض هذه الغرفة المستقلة قائلاً لها إنه لا يرغب فى إثارة حسد الصبية الآخرين له لحصوله على ميزة لم يحققها بالفعل بمجهوده.

وكان العنبر ينقصه الكثير دون شك، حتى يصبح مكانا هادئاً صالحاً للنوم، فقد كان لكل صبي جدولته الخاص الذى يتضمن مواعيد أكله، ونومه وتسليته والخدمات الطارئة التى قد يعهد بها إليه فى خلال ساعات راحته الاثنتى عشرة، وعلى هذا فقد كان المكان يعج دائماً بالضجيج فكان البعض ينامون، والبطاطين تغطى آذانهم محاولين أن يتفادوا الصخب الدائر، ولو نهض واحد منهم فإنما ينهض لكى يصرخ فى غضب محتجا على الضوضاء التى يحدثها الآخرون، حتى لقد كان النائمون يستيقظون على صراخه مهما كان نومهم عميقا، وكان لكل صبي تقريبا غليون يستغرق فى تدخينه كنوع من الرفاهية، وحصل كارل أيضاً على غليون لنفسه، وسرعان ما اعتاد على تدخينه. وكان التدخين بالطبع ممنوعا فى وقت العمل ونتيجة

لذلك كان كل فرد يمارس التدخين فى عتبر النوم إن لم يكن نائماً بالفعل ولهذا كانت سحابة كثيفة من الدخان تحيط بكل فراش وكانت الحجرة كلها تكاد تغرق فى ضباب شامل ومع أن الجميع كانوا قد اتفقوا على إضاءة المصابيح فقط فى أحد جانبي العتبر فى أثناء الليل إلا أن تنفيذ ذلك كان مستحيلًا، فلو كان لهذا الاقتراح أن ينفذ لكان فى مقدور كل من يرغب فى النوم، أن ينام فى هدوء فى جانب العتبر الغارق فى الظلام.. وقد كان العتبر فسيحًا يتسع لأربعين فراشًا، بينما يمكن للباقيين أن يلعبوا النرد أو الورق، أو يفعلوا كل ما يخلو لهم من أمور أخرى يلزم الضوء لممارستها فى الجانب الآخر المضاء، وكان على كل من يرغب فى النوم، على حين يقع فراشه فى دائرة الضوء، أن يستلقى فوق أى فراش شاغر فى نصف العتبر الغارق فى الظلام، فالأماكن الشاغرة تتوفر دائماً ولا يمكن لأحد أن يعترض على أن يستعمل غيره فراشه الخاص بصفة مؤقتة، لكن كان المستحيل الالتزام بهذا النظام، ولو لليلة واحدة، فقد يصادف أن يدعى اثنان من الصبية إلى مكان مظلم ليختطفًا لحظات يستغرقان فيها فى النعاس، ثم فجأة يشعران بالرغبة فى أن يلعبا دورًا من الورق فوق لوح من الخشب يمدانه فى المساحة الخالية بين فراشيهما، ويفتحان النور القريب منهما بالطبع فيتسبب الضوء فى إيقاظ النائمين الذين يتصادف أن تتقابل وجوههم مع أشعة ذلك الضوء، ويتلوى الواحد منهم بطبيعة الحال مستديرًا على جانبه الآخر لىبتعد عن مواجهة الضوء لفترة قصيرة، لكنه لا يجد أمامه فى نهاية الأمر، سوى أن ينهض ليشرع بدوره فى لعب الورق مع جاره المرهق، فيضيء ضوءًا آخر، وينتشر بهذا أيضاً تدخين الغليون فى كل مكان ويوجد - للحقيقة - بعض من يتعمدون النوم هنا وهناك - وكان كارل عادة من بين هؤلاء - وكان هؤلاء يضطرون إلى دفن رعوسهم تحت الوسائد بدلا من أن يضعوها فوق تلك الوسائد، لكن من أين للنوم أن يتأتى لأى منهم، إذا نهض من يشغل

الفراش المجاور فى منتصف الليل ، وتأهب للخروج لكى يعربد فى المدينة بضع ساعات قليلة يختطفها قبل أن يحل موعد عمله فيغسل وجهه محدثا كثيرا من الضجة وينثر الماء حول حوض الغسيل المثبت عند رأس كل فراش، ولا يرتدى فردتى حذائه أيضاً إلا فى ضجة، بأن يدقهما بقدميه على الأرض لكى يدخل فيهما قدميه جيدا، وقد كانت أغلب أذية الصبية ضيقة جدا على الرغم من طرازها الأمريكى، ولكى يتمكن فى النهاية من استكمال تأهبه للهو، لا يجد أمامه بدا من أن يرفع وسادة من على وجه جاره، تلك الوسادة التى حاول الجار أن يحتمى بها طويلا حتى يتمكن من النوم منتظرا أن ينهض ذلك الجار لكى يثور فى وجهه محتجا، وكان الصبية الذين يغرمون بالألعاب الرياضية، صبية صغار السن، مفعمين بالنشاط غالبا، ويحرصون على ألا تفوتهم الفرصة لأداء التمرينات فى مثل ذلك الوقت أيضاً فإذا حدث أن نهضت فرعا من نومك فى الليل، على هدير أصوات صارخة فتأكد من أنك ستواجه مباراة كاملة للملاكمة بجانب فراشك فى أرضية العنبر بينما يتلحق تلك المباراة جمع من النظارة الخبيرين بقواعد اللعبة جالسين فوق السرر والنور مضاء فى كل مكان.. وقد حدث ذات مرة فى مباراة للملاكمة من تلك المباريات التى تحدث فى منتصف الليل أن وقع أحد الملاكمين فوق كارل عندما كان مستغرقا فى النوم وكان أول ما وقعت عليه عينا كارل عندما استيقظ هو نهر من الدم كان يتدفق من أنف الصبى فلتخ - قبل أن يجد كارل الفرصة ليتلاشى التلوث - ملابس كارل وأغطية فراشه، وكان كارل يقضى أغلب ساعات راحته الاثنتى عشرة فى محاولة الاستغراق فى النوم.. وكان يجد نفسه معرضا لإغراء شديد فى مشاركة الآخرين فى استمتاعهم العميق بوقتهم، لكن كان يشغل باله عندئذ أن هؤلاء الآخرين قد تمكنوا فى حياتهم العملية من أن يبلغوا حدا لم يبلغه بعد، وأن عليه لهذا أن يلحق بهم عن طريق العمل الشاق والانصراف عن اللهو بقدر

الامكان... ومع هذا فعلى الرغم من شوقه وحاجته الملحة إلى أن يحصل على كفايته من النوم لانهماكه فى العمل بكل قواه إلا أنه لم يلجأ إلى الشكوى للمديرة ولا لتيريز عن تلك الأحوال التى تجرى فى عنبر النوم فى الوقت المخصص للراحة. ذلك أن الآخرين يعانون جميعهم من تلك الأوضاع دون أن يتذمروا منها بالفعل وبالإضافة إلى ذلك فقد رأى كارل أن صعوبة الحصول على الراحة فى عنبر النوم كانت جزءاً من الوظيفة التى قبلها شاكرا عندما عرضتها المديرة عليه.

وقد حدث منذ أسبوع، عند تغيير نوبة عمله، من النوبة النهارية، إلى النوبة الليلية أن حصل على فترة راحة لمدة أربع وعشرين ساعة، قضى جانباً منها فى زيارة المديرة مرة أو مرتين. وفى تبادل بضع كلمات قلائل مع تيريز فى ركن أو آخر كالعادة، أو فى الردهة، ونادراً ما كان يتحدث إليها - فى الحقيقية - فى داخل غرفتها، كلما التقى بها بعد فراغها من عملها لدقيقة أو دقيقتين. وقد رافقها فى أحيان أخرى كذلك إلى المدينة، حيث كانت تقوم بأداء بعض المهام بها، وكانت تلك المهمات تتم دائماً فى أسرع ما يمكن من الوقت، فكانا يندفعان إلى أقرب محطة من محطات الأنفاق، فى خطوات متعجلة تقارب الجرى، وكانا كارل يحمل السلة، وكانت رحلة القطار تنتهى فى لحظة، وكان القطار يندفع بهما فى الفراغ، فسرعان ما يغادرانه، ويصعدان السلالم جرياً فى الجانب الآخر من المحطة دون أن ينتظرا المصعد، الذى كانا يعد بطيئاً جداً بالقياس إلى تعجلهما، ثم تظهر الميادين الفسيحة التى تتفرع منها الشوارع، فيبدو الميدان أشبه بالنجمة، بالشوارع التى تتفرع عنه، وتصلهما ضجة المرور المتدفقة على الفور من كل جانب، بلا توقف، إلا أن كارل وتيريز كانا يلتصقان ببعضهما ويسرعان الخطا نحو المكاتب المختلفة، ومحلات الغسيل والكي، ومخازن البضائع، والمحال التجارية لينجزا المهمات التى لم يكن فى الإمكان طلبها بسهولة بالتليفون،

وغالباً ما تكون عبارة عن مشتريات بسيطة، أو مجرد تقديم شكاوى عارضة، وسرعان ما لاحظت تيريز أن معونة كارل، كانت معونة لا يستهان بها بالفعل وأنها كانت تسهل مهمتها في أحيان كثيرة، ففي صحبتها لم تكن تضطر إلى الانتظار طويلاً، حتى يلتفت إليها البائعون المنهمكون في العمل، كما كان يحدث لها قبل ذلك، لأن كارل كان يتجه مباشرة نحو طاولة البيع ويدق فوقها بقبضته حتى يأتي إليه أى شخص، فيتوجه إليه بالطلبات، في إنجليزيته التي لم يتمكن منها بعد، والتي كانت تتسم لهذا بالحدقة إلى حد ما، فكان يسهل تمييزها وسط مائة لهجة أخرى، كان يلوح عبر حواجز عالية من البشر، ويتقدم دون تردد نحو الأشخاص الذين قد ينسحبون في غطرسة إلى أركان المحال الواسعة مبتعدين عنه، فكان يتعقبهم. ولم يكن يفعل هذا كله بدافع الغرور، ولا لعدم تقديره للمصاعب، بل لأنه كان يشعر بأنه في وضع مرموق يمنحه بعض الامتيازات، فلم يكن «الفندق الغربي»، زبونا يستهان به، وكانت تيريز فوق هذا، في أشد الحاجة إلى المعونة على الرغم من خبرتها بهذه الأعمال.

كانت تقول له غالباً، في سعادة، عند عودتهما من مهمة ناجحة نجاحاً ملحوظاً: «يجب عليك دائماً أن تأتي معي!».

وكان كارل قد دخل حجرة تيريز، خلال فترة الشهر والنصف التي انقضت على وجوده في رمسيس، ثلاث مرات فقط، في زيارات طويلة، كانت تستغرق كل منهما بضع ساعات. وقد كانت حجرة تيريز أصغر بالطبع من حجرات المديرية، وكانت محتوياتها القليلة مكدمة حول النافذة، لكن كارل كان قد استطاع أن يقدر مزايا العزلة، في حجرة هادئة خاصة، حق قدرها، بعد خبرته بعنبر النوم، ومع أنه لم يعلن ذلك، فقد لاحظت تيريز إلى أى حد كان يحب البقاء في داخل حجرتها. ولم تكن تكتم عنه شيئاً من أسرارها، ولم يكن من السهل عليها في الحقيقة أن تطلعه على شيء من أسرارها عند



زيارته لها فى الليلة الأولى. كانت طفلة غير شرعية، وكان والدها ملاحظ عمال البناء، قد أرسل فى طلبها هى وأمها من بوميرانيا. وبدا وكأن كل واجب والدها قد انتهى عند هذا الحد، أو كما لو كان التقاؤه بالمرأة المنهمكة بالعمل، والطفلة العليلة فى الميناء قد خيبا كل توقعاته، فقد رحل إلى كندا بعد فترة قصيرة من وصولهما إلى أمريكا دون أدنى تفسير لرحيله، ولم تتلقيا خطابا منه، ولا أمكنهما أن تتصلا به بصورة من الصور، ولم يكن ذلك يثير شيئا من الدهشة، فى الحقيقة، لأنهما كانتا قد ضاعتا، ولم يعد من السهل العثور على مقرهما وسط مساكن الحى الشرقى من نيويورك.

وفى إحدى المناسبات روت تيريز لكارل - الذى كان يقف إلى النافذة بجوارها، يتطلع إلى الشارع تحتها - قصة موت أمها، وكيف كانتا تهرولان هى وأمها ذات ليلة شتوية - ولابد أنها كانت فى الخامسة من عمرها عندئذ - خلال الشوارع، وكل منهما تحمل صرة فى يدها، باحثتين عن مأوى تقضيان فيه ليلتهما، وكيف أمسكت أمها بيدها فى البداية - فقد كانت عاصفة ثلجية قد هبت، ولم يكن من السهل التقدم فى السير، حتى تخدرت يد تيريز، ثم تركتها أمها دون مبالاة بما قد يحدث لها، حتى لقد تشبثت الطفلة بذيل رداء أمها. وكانت تيريز تتعثر دائما، بل لقد كانت تسقط على الأرض، إلا أن أمها كانت تبدو وكأنها قد غابت عن الوعي، وتابعت سيرها دون أن تتوقف، وأية قسوة تلك التى تواجهها فى نهاية الأمر، خلال شوارع نيويورك المستقيمة فى أثناء تلك العواصف الثلجية! لم يكن لكارل عهد بالشتاء فى نيويورك، فلو سرت فى عكس اتجاه الرياح، التى تظل تدوم، وتدوم، فلن يمكنك مطلقا أن تفتح عينيك ولو للحظة، فالرياح تسوط وجهك بالثلوج طوال الوقت، وتظل تسير، وتسير، إلا أنك لا تتمكن من أن تتقدم خطوة واحدة إلى الأمام، كانت تلك الرياح تدفعك إلى اليأس، وتتميز الطفلة بالطبع عن المرأة، ففى إمكان الطفلة أن تنحنى تحت الرياح، وتنفذ من

خلالها، ولعلها تجد شيئاً من السرور فى تلك المقاومة، ولهذا فلم تكن تيريز تدرك حقيقة حال أمها فى تلك الليلة، وهى تعتقد الآن اعتقاداً راسخاً، بأنها لو كانت قد سلكت سلوكاً أكثر تعقلاً تجاه أمها - لقد كانت بالطبع مجرد طفلة صغيرة جداً - فلعل أمها لم تكن تلقى مثل تلك الميتة البائسة. لم تكن أمها قد عثرت على أى عمل خلال يومين، وكانت قد أنفقت آخر ما معها من نقود، وأمضيا اليوم فى العراء دون أن تتبلغا بشيء، ولم تكن الصرتان اللتان تحملانهما تحتويان على شيء سوى بضع نفايات لا نفع فيها، ولم تجرؤا على القائئهما ربما تحت تأثير بعض الأوهام عن احتمال نفعهما. وكان لدى أمها أمل العثور على عمل فى الصباح التالي، فى بناء جديد، إلا أن والدة تيريز كانت تخشى - كما حاولت أن تشير إلى ذلك طوال النهار - من أنها قد لا تتمكن من أن تفيد من تلك الفرصة، لأنها كانت تحس بالإرهاك الشديد، ولأنها كانت قد تقيأت فى ذلك الصباح نفسه كمية كبيرة من الدم فى الشارع، أثارت فزع المارة، وكانت تأمل فقط فى أن تبلغ مكاناً يتاح لها فيه شيء من الدفء والراحة، وكان من المستحيل فى تلك الليلة بالذات أن تجدا ركناً فى أى مكان. وفى أحيان لم يكن البواب يسمح لهما بالدخول إلى مدخل أى منزل، حيث تحتميان إلى حد ما من شدة البرد، على الأقل، لكنهما لو استطاعتا أن تغافلا البواب، فقد كانتا تمرقان حينذاك خلال ردهات ثلجية، مرهقة، وتصعدان درجات لا حصر لها، وتدوران حول شرفات ضيقة، تطل على أفنية، وتطرقان الأبواب عبثاً، ولم تواتهما الجراءة لحظة واحدة فى التحدث إلى أى شخص، ثم كانتا فى أحياناً أخرى تلحان فى التوسل إلى كل من تلتقيان به، وجلست أمها مرة أو مرتين، فاقدة التنفس فوق إحدى درجات السلالم المنعزلة الصامد، وجذبت تيريز التى راحت تتمنع، إلى صدرها، وقبلتها فى عنف مؤلم، على شفيتها، وعندما تحققت تيريز فيما بعد، من أن تلك القبلات، كانت هى آخر قبلات أمها لها

دهشت جدا من غبائها البالغ حتى أنها لم تتمكن من أن تدرك ذلك فى حينه، على الرغم من انها لم تكن فى ذلك الوقت سوى مخلوقة صغيرة للغاية. وانفتحت بعض الأبواب التى مرا بها، لكى يخرج منها ضباب مكبوت، وفى البخار المشبع بالدخان الذى كان يملأ تلك الحجرات، كما لو كانت تحترق، لم يمكنهما أن تتحققا من وجود شيء، سوى مجرد شبح يلوح فى الطرقة، لم يشجعهما على أن تتوقعا شيئا من الضيافة فى داخل المكان، لا بصمته البليد، ولا بغمغمته المقتضية. وعندما تتأمل تيريز الماضى، تذكر أن أمها كانت تبحث فقط فى الساعات الأولى من تلك الليلة عن مأوى بالفعل، لأنها لم تتحدث بعد منتصف الليل إلى أحد مطلقا، مع أنها كانت لاتزال تقف على قدميها، لم توجه حتى مجرد كلمة مقتضية إلى أى مخلوق، حتى الفجر، ومع أن كل تلك المساكن لم تغلق أبوابها طوال الليل، وكانت خطوات الناس لا تكاد تنقطع إلا أنها لم تكن تقوى على مواجهتهم، ولم تكونا تسيران مسرعتين من مكان إلى مكان، إلا أنهما كانتا تتحركان بأخر ما فى وسع قواهما الواهنة أن تسمحا به، بنوع من الزحف المتثاقل فى حقيقة الأمر. ولم يسع تيريز أن تحدد إن كانا قد طافا بنحو عشرين مسكنا منذ منتصف الليل حتى الساعة الخامسة صباحا، أم الثانية، أم الواحدة فقط بعد منتصف الليل، كانت ردهات تلك المساكن تتسع، وتتسع فى خبث، ويبدو من الصعب أن يجد المرء طريقه عبر تلك المساحات الخاوية، وكم بدا لهما أنهما كانتا تزحفان المرة بعد المرة خلال الردهة نفسها التى لم تكن تتغير، وكأنهما لم تنتقلا من منزل إلى منزل آخر. ولا تكاد تذكر تيريز، سوى ذكرى غامضة، خروجهما من باب ذلك المنزل الذى طافا بردهاته بلا نهاية، فقط لمجرد أن تفتلا راجعتين، أو هكذا بدت لها نتيجة طوافهما، حتى بلغا الشارع، وغابا فيه ثانية. وكان ذلك بالطبع عذابا لا معنى له بالنسبة لطفلة مثلها، فإن تسحبها أمها أحيانا، وتتشبث هى فى أحيان أخرى بذيل

رداء أمها، دون كلمة تشجيع واحدة، كان يبدو لها أمرا محيرا، وفي حيرتها تلك، كان التفسير الوحيد الذى كان يسعها أن تتوصل إليه، هو أن أمها تريد أن تهرب منها، ولهذا فإن تيريز خوفا على نفسها شددت قبضتها على ذيل رداء أمها بإحدى يديها، فلم تتركه، حتى عندما كانت أمها تمسك بيدها الأخرى.

وكانت تنخرط فى البكاء من حين لآخر، لأنها لم تكن تريد أن تتركها أمها وحيدة وسط هؤلاء الناس الذين كانت خطاهم تتردد فوق درجات السلم أمامهما أو الناس الذين كانوا يأتون خلفهما. أو هؤلاء الذين يختفون فى منحى السلم أسفلهما، أو هؤلاء الناس الذين يتشاجرون فى الردهات، أمام أحد الأبواب، ويدفعون بعضهم بعضا إلى داخله، والرجال السكارى كانوا يتجولون كذلك حول المكان، وهم يرفعون عقيرتهم بالغناء فى كآبة، وكانت أمها محظوظة وهى تنسل وتيريز فى يدها من بين أذرعهم الممدودة التى كانت تكاد تسد الطريق. وفى مثل تلك الساعة المتأخرة من الليل، عندما لا يلقي أحد انتباها بالغا إلى أى شىء، وعندما يصبح تشديد كل امرئ على حقوقه أمرا لا يستحق العناء، كان يمكنهما دون شك أن تجدا لنفسيهما مكان فى أحد الفنادق الرخيصة الشائعة التى يديرها أصحابها، والتى كانا قد مرا بالعديد منها، إلا أن تيريز لم تكن تدرك ذلك، وكانت أمها أبعد ما تكون عن التفكير فى الراحة، ووجدتهما الصباح، مستندتين فى فجر يوم شتوى صحو إلى جدار أحد المنازل، وربما كانتا قد استغرقنا فى النوم لفترة قصيرة فى مكانهما، وربما كانتا تحمقان حولهما بعيون مفتوحة، واتضح أن تيريز كانت قد فقدت صرتها، وراحت أمها تضربها عقابا لها على إهمالها، إلا أن تيريز لم تسمع، ولم تحس بأية صفة من تلك الصفعات التى تلقفتها، ثم سارتا مرة أخرى فى طريقهما فى الشوارع التى كانت قد بدأت تستيقظ، وكانت أم تيريز تسير بجوار الحائط،

وعبرتا إحدى القناطر، حيث ظلت كف أمها تمسح الصقيع من فوق الدرايزين، وتوجهتا، فى النهاية - وقتها واجهت تيريز ذلك كأمر واقع، إلا أنها الآن لا يمكنها أن تفهمه - إلى نفس المبنى الذى كان يتعين على أمها أن تتوجه إليه فى ذلك الصباح. ولم تخبرها أمها بما إذا كان عليها أن تنتظرها، أو أن عليها أن تمضى إلى حيث تشاء، واعتبرت تيريز ذلك أمرا بالانتظار، لأن ذلك هو ما فضلت أن تفعله، وهكذا جلست فوق كومة من الطوب، وراحت تتطلع حولها بينما كانت أمها تفك صرتها، وتأخذ منها قطعة زاهية من القماش، شدتها حول ثوبها الذى قضت فيه ليلتها، وكان الإرهاق قد نال من تيريز حتى أنها لم تستطع أن تعاون أمها. ودون أن تدلى أمها لملاحظ عمال البناء باسمها، كالعادة، ودون أن تستفسر من أحد عن أى شيء، شرعت تصعد السلم، كما لو كانت بالفعل تعلم العمل الذى يتعين عليها أن تقوم بأدائه. ودهشت تيريز لذلك، لأن حاملة المونة تعمل عادة على الأرض، تخلط الجير، وتحمل الطوب، وتقوم ببعض الأعمال المتواضعة الأخرى. ولهذا فقد ظنت تيريز أن أمها سوف تضطلع اليوم بأداء نوع مختلف من العمل يعود عليها بأجر أكبر، فابتسمت لها وهى تغالب نعاسها! لم يكن البناء قد ارتفع كثيرا، كان قد بلغ الطابق الأول فوق الأرضى فحسب، ولهذا فقد كانت السقالة المرتفعة التى ترتفع إلى باقى الهيكل، لاتزال بدون تلك العوارض الخشبية التى تشدها إلى بعضها البعض، وكانت ترتفع عاليا نحو السماء الزرقاء. وعندما بلغت أمها قمة الحائط، دارت بمهارة حول البنائين الذين راحوا فى بلادة يضعون الطوبة فوق الطوبة، فلم يلقوا بالا إليها لسبب غير مفهوم، وبأصابع رقيقة تحسست طريقها بحذر بطول حاجز خشبى كان يستعمل كدرايزين، وكانت تيريز مندهشة، وهى تغالب نومها أسفل البناء، لتلك المهارة، وتهياً لها أن أمها كانت ترمقها فى عطف، لكن أمها كانت قد بلغت الآن فى أثناء سيرها كومة صغيرة من

الطوب، كان الحاجز ينتهى خلفها، ويبدو أن الحائط كان ينتهى أيضاً بعدها إلا أنها لم تتوقف عند ذلك الحد، بل سارت فى طريقها لا تلوى على شىء، حتى تجاوزت كومة الطوب، ويبدو أن مهارتها قد زایلتها بعد ذلك لأنها أسقطت تلك الكوم من الطوب وسقطت خلفها إلى الأرض، وسيل من قوالب الطوب فى أعقابها، ثم بعد لحظات قليلة، انفصلت كتلة كثيفة من الخشب من مكان ما، وتهاوت فوقها إلى الأرض، وكان آخر ما تذكره تيريز عن أمها هى رؤيتها لها وهى ممددة هناك فى رداؤها الذى شدت فوقه تلك الخرقة، ذلك الرداء الذى كانت قد أتت به من بوميرانيا، وكانت ساقاها منفرجتان على اتساعهما فى رقدتها، تغظيهما تقريبا تلك الكتلة الخشبية الثقيلة التى كانت قد سقطت فوق الجزء الأعلى من جسمها، بينما هرع الناس مسرعين من كل صوب، وصاح رجل فى غضب، من فوق قمة الحائط.

كان الوقت متأخرا عندما فرغت تيريز من قصتها. وكانت قد روتها بفيض من التفاصيل، على غير عاداتها، وخصوصا فى بعض أجزائها القليلة الأهمية، كما فعلت عند وصفها لأعمدة السقالة وكل منها ترتفع على حدة نحو السماء، وكانت تضطر إلى أن تتوقف من أن لأخر، بينما تترقرق الدموع فى عينيها، كانت أدق تفاصيل أحداث ذلك الصباح لاتزال ماثلة فى ذاكرتها فى قوة بعد مرور أكثر من عشر سنوات، ولأن رؤيتها لوالدتها فوق حائط المنزل غير الكامل، كانت هى آخر ذكرى حية لها، فقد أرادت أن تستحضرها بغاية ما يمكنها من الموضوع أمام صديقها، وحاولت أن تعود إليها بعد أن فرغت من قصتها، لكن صوتها تهدج بعد ذلك، ودفنت وجهها بين راحتها، ولم تتفوه بكلمة أخرى.

وكانت أمامهما ساعات مرحة كذلك فى حجرة تيريز، فقد رأى كارل عند زيارته الأولى لها، كتاباً مدرسياً فى المعاملات التجارية ملقى بداخل الحجرة، فسألها أن تعيره إياه، واتفقا فى الوقت نفسه أيضاً على أن يقوم

كارل بجل التمريينات الواردة بالكتاب، ثم يحضرها إلى تيريز، التي كانت قد درستها بالفعل من خلال ما أملتة عليها احتياجات عملها، لتقوم بتصحيحها، وكان كارل يستلقى فى فراشه بعنبر النوم، ليالى بطولها، وقد وضع قطعتين من القطن فى أذنيه، وراح يتقلب بين الحين والآخر متخذاً كل ما يمكن تصوره من الأوضاع التي قد توفر له الراحة فى استلقائه فوق الفراش، ليقراً فى الكتاب، ويكتب حلول التمريينات فى سرعة، فى مفكرة صغيرة، بقلم حبر كانت المديرة قد أعطته له، كتشجيع على قيامه بعمله بانتظام، وقيامه كذلك بكتابة قائمة جرد طويلة منسقة كلفته بكتابتها، وقد استطاع أن يستفيد من أغلب المضايقات المذهلة التي كان يسببها له الصبية الآخرون، ذلك بأن راح يسألهم دائماً عن تذليل بعض الصعوبات الصغيرة التي كانت تواجهه فى استعمال اللغة الإنجليزية، حتى تعبوا من أسئلته وتركوه فى سلام وغالباً ما كانت الدهشة تنتابه، وهو يرى أن الآخرين، قد قنعوا بحظهم الحاضر من الحياة، وأنهم لا يشعرون بأن وضعهم هذا يجب أن يكون وضعاً مؤقتاً، وأنهم كانوا لا يستطيعون كذلك أن يدركوا معنى الحاجة إلى اتخاذ قرار حاسم بشأن مستقبلهم، وعلى الرغم من أن كارل كان قدوة لهم، فى هذا كله، إلا أنهم لم يقرأوا شيئاً مطلقاً فيما عدا بضع نسخ قذرة، وبالية، من الروايات البوليسية، كانت تنتقل من فراش إلى فراش.

وفى لقاءاتهما كانت تيريز تقوم بتصحيح تمرينات كارل، ربما بشيء من العناء أيضاً، وكانت تقوم بينهما خلافات فى الرأى، فكان كارل يستشهد بآراء أستاذه العظيم الذى كان كارل يدرس على يديه فى نيويورك لتدعيم رأيه، إلا أن آراء هذا السيد لم تلق من اهتمام تيريز أكثر مما كان يلقاه من اهتمامها اختراعات صبية المصاعد - الذين كان كارل يستعين بهم - فى قواعد اللغة، ولهذا كانت تتناول القلم الحبر من يد كارل وتشطب الفقرات

التي كانت مقتنعة بخطئها، لكن كارل كان في مثل تلك الحالات التي تحتمل الشك، لأنه لم يكن له أن يعرض الأمر على سلطة أعلى من تيريز، يشطب مجرد الاحتياط الخطوط التي كانت تخطها تيريز في مفكرته، على نقيض ما كتبه هو، وكانت المديرية تظهر أحياناً، وتعطى قرارها في المشكلة لصالح تيريز، لكن ذلك لم يكن ليحسم الخلاف بما أن تيريز كانت سكرتيرتها، وكانت تيريز تصدر مع ذلك في الوقت نفسه عفواً عاماً، ذلك لأن الشاى كان قد حان موعد إعداده، كما يكون قد تم أيضاً الإرسال في طلب الكعك، ويلح كارل على أن يقص حكايات عن أوروبا كانت المديرية تقاطعه كثيراً في أثنائها، فتظل تستفسر، وتندهش، حتى لقد تحقق كارل من مدى التغيير الشامل الذي طرأ على أوروبا في وقت قصير نسبياً، ومدى التغيير الذي لعله أن يكون قد حدث منذ رحيله هو عن أوروبا، والتغيير الذي سوف يستمر دائماً.

وربما كان كارل قد أمضى نحو شهر في رمسيس، عندما قال له رينيل ذات ليلة وهو يمر به، أن رجلاً يدعى ديلامارش قد استوقفه أمام الفندق، وسأله عن كارل، ولما لم يكن ثمة سبب يدعو إلى الامتناع عن التصريح له بالحقيقة، فقد أجابه رينيل في صدق أن كارل يعمل صبي مصعد، وإن كانت لديه آمال في تحسين وضعه كثيراً، إلى الأحسن، بسبب الاهتمام الذي تبديه المديرية نحوه، ولاحظ كارل الاهتمام الذي أبداه ديلامارش نحو رينيل، لأنه كان قد دعاه بالفعل إلى تناول الطعام في تلك الليلة.

فقال كارل: «لست أريد أن أعرف ديلامارش أكثر من ذلك، ومن الأفضل لك أن تحترس منه أنت أيضاً!».

قال رينيل، وهو يتمطى: «أنا؟»، ثم أسرع مبتعداً.



كان رينيل أحسن الصبية مظهراً، فى الفندق، وكان يشاع بين الصبية الآخرين - مع أن أحداً لم يعرف من الذى بدأ بسرد تلك القصة - أن سيدة كانت قد أقامت بالفندق منذ فترة من الوقت، كانت قد قبلته فى المصعد، وهذا هو فقط الشيء الذى اتضح أمره على الأقل حتى الآن، بين السيدة وبين رينيل، وكان الذين يعلمون بتلك الشائعة يجدون لذة كبرى فى التطلع إلى تلك السيدة المتحررة وهى تمر بخطواتها الهادئة، الخفيفة، ونقابها الرقيق، وجسدها المحبوك فى رداؤها الدانتيل، ذلك أن مظهرها الخارجى لم يكن يشير أقل إشارة، إلى أن هذا التصرف من الممكن أن يصدر عنها.

وكانت تلك السيدة قد أقامت فى الطابق الأول، الذى لم يكن يخدمه مصعد رينيل، إلا أن المرء لم يكن يسعه بالطبع أن يمنع النزلاء من دخول أى مصعد آخر، إذا كان مصعدهم مشغولاً فى تلك الأثناء، وعلى هذا فمن حين لآخر كان يحدث أن تستعمل تلك السيدة مصعد كارل ورينيل، لكن فقط عندما يكون رينيل فى نوبة عمله، وربما كان ذلك قد حدث مصادفة، إلا أن أحداً لم يصدق ذلك، وعندما تحرك المصعد بهما، حدثت فتنة بين صبية المصاعد لم يسعهم أن يضبطوا فيها جماح أنفسهم، وكان من الضرورى أن يتدخل رئيس السفرجية، وقد فعل، ذات مرة، وأخيراً سواء كانت السيدة، أو الشائعة هى السبب، فقد بقيت الحقيقة الواقعة وهى أن رينيل كان قد تغير، فأصبح أكثر ثقة بنفسه، وترك تلميع المصعد كلية لكارل الذى كان ينتظر فقط حتى تتاح له الفرصة المناسبة لسماع تفسير جذرى لهذه النقطة، ولم يعد من الممكن رؤية رينيل فى عتبر النوم، لم يحدث أن هجر أى صبي آخر مجتمع صبية المصاعد بهذه الصورة، لأنهم كانوا بصفة خاصة - فيما يختص بالعمل على الأقل - يتكاتفون تماماً مع بعضهم البعض، وكانت لهم جمعية خاصة بهم كانت ترعاها إدارة الفندق.

ومض كل هذا فى ذهن كارل، فى نفس الوقت، مختلطاً ببعض الأفكار التى تدور حول ديلامارش، إلا أنه مضى فى عمله كالمعتاد، وعند منتصف الليل، كانت تنتظره مفاجأة صغيرة، فقد أحضرت له تيريز، التى كانت تدهشه دائماً بهداياها الصغيرة، تفاحة كبيرة، وقالاً من الشيكولاتة! تحدثا معاً للحظات، وهما منتبهان إلى رحلات المصعد التى كانت تقطع حديثهما من حين لآخر، ثم تحدثا عن ديلامارش، وأدرك كارل أنه لا بد أن يكون قد خضع لتأثير تيريز حقاً، عندما انتهى كما انتهت من الحديث عنه إلى أنه رجل خطير، لأن هذا كان هو رأيها فى ديلامارش، بعد أن سمعت ما ذكره لها كارل، وكان كارل يعتقد أنه كان مجرد إنسان عديم التدبير، قد سمح لعزيمته أن تنهار أمام النحس الذى واجهه، ومن السهل عليه أن ينقذ نفسه من هذا الوضع، إلا أن تيريز عارضته فى عنف، وأصرت، بعد أن أُلقت عليه خطبة طويلة، على أن يعدها بالألا يتحدث إلى ديلامارش مرة أخرى، وبدلاً من أن يعدها راح كارل يجادلها، طالباً منها أن تذهب إلى فراشها، فقد جاوز الوقت منتصف الليل، وعندما رفضت هدها بأن يترك عمله، ويأخذها إلى حجرتها، وعندما أبدت استعدادها أخيراً للذهاب، قال: «لماذا ترزعجين نفسك إلى هذا الحد، دون داع يا تيريز؟ وعلى أية حال فإننى على استعداد لأن أعذك بالألا أتحدث إلى ديلامارش، ما لم يصعب على أن أتجنب ذلك، إن كان وعدى هذا يساعدك على أن تنامى مرتاحة البال!».

ثم وصل حشد من النزلاء، وكان الصبى الذى يعمل بالمصعد المجاور قد دعى للقيام بمهمة أخرى، فأصبح على كارل أن يعمل بالمصعدين معاً وتذمر بعض النزلاء لتعطيلهم، وربت سيد كان يرافقه إحدى السيدات، بالفعل على كتف كارل، بعصاه التى يتوكأ عليها، فى رقة، يطلب منه الإسراع! تنبيه لم يكن ثمة ما يدعو إليه بالمرّة! ولم يكن يضير هؤلاء النزلاء مطلقاً، إذا وجدوا

مصعدهم معطلاً، أن يتوجهوا مباشرة إلى مصعد كارل، إلا أنهم بدلاً من ذلك، اندفعوا إلى المصعد الآخر، وتوقفوا أمامه، وقد أمسك أحدهم بمقبض الباب، وفي أحيان كانوا يدخلون المصعد مباشرة، وهو تصرف كان صبية المصاعد ممنوعون من السماح به لأحد، صراحة، طبقاً للتعليمات، ومهما كانت الظروف.

وهكذا كان على كارل أن يندفع من هذا المصعد إلى ذاك، حتى أجهد غاية الإجهاد، دون أن يتبادر إلى ذهنه، أنه قد قام بالفعل بأكثر من واجبه، وطلب منه فوق هذا كله، في حوالى الساعة الثالثة صباحاً، حمال عجوز كانت قد ربطته به صداقة وطيدة، أن يؤدي له مساعدة بسيطة، إلا أن كارل لم يتمكن من تلبية طلبه، لأن النزلاء كانوا يقفون أمام كلا المصعدين، وكان ذلك يتطلب منه بديهة سريعة لكي يقرر فى الحال أى المجموعتين يبدأ بها أولاً، ولهذا ارتاح كارل عند عودة الصبى الآخر، وصاح فى وجهه، موجهاً إليه بضع كلمات يلومه بها على غيابه طوال تلك الفترة، على الرغم من أنه، ربما لا يكون مسئولاً عن ذلك التأخير.

وجاءت فترة من الهدوء بعد الساعة الرابعة صباحاً، كان كارل فى أشد الحاجة إليها، فاستند مجهداً إلى الدرايزين بجوار مصعده، وراح يقضم التفاحة متائياً، وفاحت منها رائحة قوية عندما قضمها، وراح يحرق أمامه إلى مدخل غارق فى الضوء، تحيطه توافذ المخازن المرتفعة، التى كانت تتدلى خلفها كميات هائلة من الموز كانت تسطح فى خفوت وسط الظلام.

## الفصل السادس

### مرض روبنسون

ثم ربت شخص ما على كتفه، فدرس كارل التفاحة مسرعاً في جيبه، وقد ظن أنه لا بد بالطبع نزيل من نزلاء الفندق، وهرول إلى المصعد، دون أن ينظر إلى الرجل.

قال الرجل: «مساء الخير يا مستر روسمان، إننى روبنسون!»  
فقال كارل وهو يهز رأسه: «ولكنك تبدو مختلفاً تمام الاختلاف!».

قال روبنسون، وهو يتأمل ملابسه، التى كانت تتألف من قطع مختلفة، قد تبدو كل منها، فاخرة للغاية فى حد ذاتها، لكنها كانت غاية فى التنافر مع بعضها البعض، حتى لقد بدت رثة بالفعل، وكان أول ما يستدعى الانتباه صديرية بيضاء، كانت تستعمل للمرة الأولى فى وضوح، وكانت محلاة بأربعة جيوب صغيرة ذات حروف سوداء، حاول روبنسون أن يلفت إليها انتباه كارل بأن نفخ صدره: «نعم.. لقد تحسنت حالى!».

فقال كارل، وهو يتذكر عندئذ بدلتة البسيطة الجيدة، التى ربما كان يبدو بها على قدم المساواة مع رينيل، تلك البدلة التى باعها صديقه اللئيمان: «لكن ملابسك هذه ملابس غالية».

فأجابه روبنسون قائلاً: «نعم، إننى أشتري لنفسى شيئاً تقريباً كل يوم، ما رأيك فى الصديرية؟!».

قال كارل: «إنها جيدة جداً!».

فقال روبنسون: «إلا أن هذه الجيوب، ليست جيوباً حقيقية لقد صنعتها فقط لتبدو كذلك!»، وتناول يد كارل، وأدناها من جيوبه لكى يتفحصها

بنفسه، إلا أن كارل تراجع من فوره، ذلك أن رائحته لا تطاق، هي رائحة البراندى، كانت تنبعث من فم روبنسون.

قال كارل، وهو يتراجع إلى الدرايزين: «لقد بدأت تشرب ثانية!». فقال روبنسون: «لا، إننى لا أفرط فى الشراب!». ثم أضاف قائلاً فى لهجة أخرى، تناقض حالة انبساطه السابقة: «وأى شىء آخر يمكن أن يفعله المرء فى هذه الدنيا؟!»، وقطعت حديثهما رحلة للمصعد، وما كاد كارل يعود ثانية إلى الطابق الأسفل، حتى تقدم نحوه عامل تليفون يطلب منه أن يبحث عن طبيب الفندق، لأن سيدة فى الطابق السابع قد أغمى عليها، وخلال قيامه بهذه المهمة، تمنى كارل فى نفسه أن يختفى روبنسون قبل عودته، لأنه لم يكن يحب أن يراه أحد معه، وعندما تذكر تحذير تيريز، لم يرغب فى أن يتصل به ديلامارش أيضاً، إلا أن روبنسون كان فى انتظاره، بجمود الرجل الذى أفرط فى الشراب، ومر فى تلك اللحظة أحد كبار موظفى الفندق، وكان يرتدى الفراك، والقبعة العالية، إلا أنه لم يلتفت لحسن الحظ، على ما يبدو إلى ذلك الدخيل.

قال روبنسون، وهو يغمز لكارل فى إغراء: «ألا ترغب فى زيارتنا يا روسمان؟ إننا نحيا حياة راقية الآن!». فتساءل كارل قائلاً: «هل هذه الدعوة موجهة إلى منك، أو من ديلامارش؟!».

قال روبنسون: «منى ومن ديلامارش، من كلينا معاً!». - إذن دعنى أقل لك، ويمكنك أن تنقل هذا إلى ديلامارش، إن ما بيننا إن لم يكن قد اتضح لك هذا حتى الآن، قد انتهى. ولقد سببتما لى ضرراً لم يسببه لى غيركما من قبل، فهل عزمتما على ألا تتركانى فى سلام، حتى الآن؟!.

قال روبنسون مشمئزاً، وقد ترقرت في عينيه دموع سريعة: «ولكننا صديقك، وقد طلب مني ديلامارش أن أخبرك بأنه يترك لك حرية القبول أو الرفض، إننا نعيش الآن مع برونيلدا، وهي مغنية فاتنة، وعند ذكر اسمها، شرع في الغناء صوت راعش مرتفع، إلا أن كارل أسكته في الحال، هامساً: «اغلق فمك على الفور، ألا تدري أين أنت؟!».

فقال روبنسون فزعاً غاية الفزع لغناؤه بذلك الصوت المرتفع:

- روسمان، إنني صديقك، إنني صديقك بالفعل، فقل لي ما تشاء، ولكنك تشغل الآن تلك الوظيفة الممتازة هنا، فهل يمكنك أن تقرضني شيئاً من النقود؟!.

قال كارل: «سوف تشرب بها فقط، ولماذا؟، إنني أرى زجاجة براندى في جيبك، ولا بد أنك كنت تشرب منها عندما ذهبت أنا، فقد كنت في تمام وعيك قبلها!».

فقال روبنسون: «إنني أشرب فقط حتى يمنحني الشراب شيئاً من العزم عندما أكون مكلفاً بمشوار خارج البيت!».

فقال كارل: «حسناً لن أهتم بأمرك أكثر من هذا!».

فقال روبنسون وهو يفتح عينيه على اتساعهما: «لكن ماذا عن النقود؟!».

قال كارل متسائلاً، وهو يضع يده في جيب صدريته، لأنه كان قد قرر أن يضحى بما جمعه من البقشيش في تلك الليلة: «أظن أن ديلامارش قد كلفك بأن تعود إليه بالنقود؟ حسناً، سأعطيك شيئاً منها، لكن فقط بشرط أن تنصرف في الحال، وألا تعود ثانية إلى هنا، فلو أردت أن تتصل بي، فيمكنك أن ترسل لي خطاباً، «كارل روسمان، عامل مصعد، الفندق الغربي»، وسيصلني حتماً، إلا أنني أخبرك مرة أخرى، بأنه لا يجب عليك أن

تأتى مطلقاً إلى هنا للبحث عنى، فهذا مكان عملى، ولا وقت لدى هنا للزوار، حسناً، هل تقبل النقود بتلك الشروط؟!».

وأطرق روبنسون فقط، رداً على ذلك التساؤل الذى وجهه إليه كارل، وهو يتنفس فى جهد، فلم يفهم كارل معنى اطراقتة تلك، فعاد يسأله: «نعم، أم لا؟!».

عندئذ أوماً روبنسون إليه، طالباً منه أن يقترب، وهمس إليه وهو يتلوى بصورة تدل على حقيقة حالته: «روسمان، إننى أشعر بوطأة المرض الشديد!».

فصاح كارل: «يا للشيطان!»، وسحبه بكلتا يديه إلى درابزين السلم، واندفع سيل من القى من قم روبنسون إلى الأرض، وفى اللحظات التى كان يتمالك فيها نفسه، كان يمد يده باحثاً عن كارل فى ضعف، وتخبُّط!.

وكان يقول عندئذ: «إنك فتى طيب القلب!» أو «لقد توقف الآن!»، ولم يكن يقصد بهذا مرضه، رغم ذلك، أو يقول: «الخانزير، أى نوع من الخمر هذا الذى صبوه فى جوفى؟!»، ولم يكن كارل يطيل البقاء إلى جانبه لحيرته، واشمئزازه أيضاً، فراح يذرع المكان زهاباً وجيئة، من الممكن ألا يرى أحد روبنسون لو بقى هنا فى ذلك الركن بجوار المصعد، لكن ماذا يحدث لو تصادف ورآه أحدهم، واحد من هؤلاء النزلاء الأثرياء الصحابين، الذين يتأهبون دائماً للشكوى كلما وقعت عيونهم على أى موظف من موظفى الفندق، فيثور هذا، ناقماً فى ثورة غضبه على كل شىء، وماذا لو رآه أحد مفتشى الفنادق، الذين يتغيرون دائماً، ولا يكاد يتعرف عليهم لهذا سوى أعضاء هيئة إدارة الفندق، حتى إن المرء قد اعتاد أن يشتبه فى أى شخص يتلفت حوله، ويحسبه مفتشاً من مفتشى الفنادق، مع أنه قد لا يكون سوى مجرد شخص مصاب بقصر النظر؟ وقد يتصادف أن يمر أحد السفرجية

الذين فى الطابق الأرضى، فى طريقه إلى المخازن ليحضر شيئاً - ذلك أن البوفيه يعمل طوال الليل - فتصدمه رؤية ذلك الخليط المقرز فوق أرضية المدخل، فيتصل بكارل تليفونياً ليسأله: «بحق الإله» عما حدث! فهل يسع كارل أن ينكر معرفته بروبنسون فى تلك الحالة؟ ولو استطاع أن ينكر معرفته به، فهل يمكن ألا يكون روبنسون من الغباء والانهيار، بحيث لا يتعلق بخناق كارل بدلاً من أن يعتذر؟ وهل من الممكن ألا ينتهى ذلك بفصل كارل من عمله فى الحال؟ بما أنه كعامل مصعد، ليس سوى شخص بسيط لا يؤبه به، لأنه أقل هيئة موظفى الفندق الضخمة كلها شأنًا، وأسهلهم جميعاً استبدالاً بغيره، فهل يحتمل وضع كوضعه، أن يسمح لأحد أصدقائه بأن يلوث الفندق؟ بالإضافة إلى أن هذا قد ينتج عنه أيضاً هرب الزبائن؟ فهل يمكن التسامح مع صبى مصعد له مثل هذا الصديق؟ ويسمح له فوق ذلك بزيارته بالفعل فى وقت عمله؟ ألا يبدو صبى مصعد على هذه الصورة، سكيراً هو نفسه، وربما أسوأ من ذلك؟ وقد لا يبدو أى افتراض آخر معقولاً، كأن يظنوا أنه يتخم أصدقاءه بطعام الفندق حتى لا يتمكنوا من أن يمنعوا أنفسهم من التقيؤ، كما فعل روبنسون فى كل أنحاء الفندق البالغ النظافة؟ وكيف يمكن أن يحصر صبى كهذا نفسه فى حدود سرقة الطعام والشراب، طالما أن فرص السرقة تتوفر له بالفعل بغير حد، نظراً لإهمال النزلاء البالغ، فالدواليب تظل مفتوحة فى كل مكان، والأشياء الثمينة تتناثر فوق المناضد، وعلب المجوهرات تبقى مفتوحة، والمفاتيح تلقى حيثما أتفق؟.

وعند ذلك أحس كارل على البعد بخطوات عدد من النزلاء يصعدون درجات مشرب البيرة فى القبو، حيث انتهت لحظتها حفلة من حفلات



المنوعات، فتوقف بجوار مصعده، ولم يجروء على أن يتطلع نحو روبنسون، خوفاً مما قد يراه.

وقد ارتاح كارل قليلاً، عندما لم يسمع صوتاً، ولا حتى نائمة من الناحية التي كان يقبع فيها روبنسون، فحفف إلى خدمة النزلاء، وراح يصعد، ويهبط في مصعده، إلا أنه لم يتمكن من أن يتخلص من شروده، وكان يتهياً، عندما كان يهبط بمصعده إلى الطابق الأرضي، في كل مرة، لمواجهة كارثة مفاجئة.

وأتسع لديه الوقت في النهاية، للعناية بروبينسون الذي كان قد خر على ركبتيه في وضاعة، في ذلك الركن، وقد أكب بوجهه فوق ركبتيه، وكان قد دفع قبعته المستديرة الجامدة إلى مؤخرة رأسه.

قال له كارل في لين، لكن بشيء من الحزم: «يجب أن تذهب الآن بالفعل، وها هي النقود، فلو أسرعت، فيمكنني أن أجد بعضاً من الوقت لكي أدلك على أقصر طريق للخروج من هنا!».

فقال روبنسون وهو يمسح جبهته بمنديل صغير: «إنني لا أقوى على الحركة مطلقاً، وسوف أقضى نحبي هنا، فلا يمكنك أن تتصور مدى ما أشعر به من المرض، لقد صحبني ديلامارش إلى جميع أوكار الشراب الفاخرة التي يرتادها، إلا أنني لا أكاد أطيق ذلك الشراب الذي يقدمونه هنالك، ولقد قلت له ذلك مراراً!».

قال كارل: «حسناً، لا يمكنك ببساطة أن تبقى هنا، تذكر أين أنت، ولو اكتشف أحد وجودك هنا، فسوف تواجهني المتاعب، وسوف أفقد عملي، فهل تريد لي ذلك؟!».

قال روبنسون: «لا أقوى على النهوض فوق قدمي، وسوف أزحف إلى هذا المكان على أية حال!»، وأشار بيده إلى المكان الخالي بين درابزين

السلم، ويثر المصعد: «سوف أبقى هناك بقدر ما يمكننى أن أبقى فى حالتى هذه، يمكننى أن أحتمل البقاء فى هذا المكان، إلا أننى لا أقوى على النهوض، ولقد حاولت أن أنهض عندما صعدت بنزلائك!».

فقال كارل وهو يجذب ساقى روبنسون قليلاً، لأن روبنسون كان يبدو معرضاً لخطر الاستغراق فى النوم العميق فى أية لحظة: «إذن فسوف أبحث عن تاكسى ليقلك إلى المستشفى!»، فشرع روبنسون فى البكاء، عندما سمع كلمة «المستشفى» التى بدت وكأنها قد أثارت فى نفسه مخاوف رهيبية، ورفع ذراعيه نحو كارل، وكأنه يسترحمه.

فقال كارل، وهو يضرب يدى روبنسون الممدوتين نحوه: «اهدأ!»، وأسرع نحو الصبى الذى كان قد قام بعمله فى تلك الليلة، ورجاه أن يحل محله لفترة قصيرة بدوره، وعاد مسرعاً إلى روبنسون الذى كان لا يزال ينشج بالبكاء، ورفع به عنف على قدميه، وهمس فى أذنه قائلاً: «روبنسون، لو أردتنى أن أساعدك، فيجب عليك أن تتماسك، وتحاول أن تسير بمفردك فى توازن، لمسافة قصيرة، سوف أصحبك إلى فراشى، حيث يمكنك أن تبقى إلى أن تشعر بالتحسن، وسوف تدهش للسرعة التى سوف تشفى بها، لكن عليك أن تتعقل الآن بالفعل، لأن الناس يتجولون فى الممرات، كما أن فراشى يوجد فى عنبر كبير للنوم، فلو أثرت انتباه هؤلاء الناس، فلن أتمكن عندئذ من أن أفعل لك شيئاً آخر، كما أننى لا يمكننى أن أحملك فوق كتفى، ولو بدا عليك أنك تشرف على الموت!».

قال روبنسون: «سأفعل كل ما تطلبه منى، إلا أنك لن تتمكن من أن تسندنى وحدك، فهلا استدعيت رينيل أيضاً ليعاونك؟».

قال كارل: «رينيل غير موجود!».

فقال روبنسون: «نعم، بالطبع، إن رينيل الآن مع ديلا مارش وقد أرسلنى كلاهما إليك، لقد اختلط على الأمر تماماً!». وراح كارل يدفعه فى أثناء انشغال روبنسون بهذا الحديث، وغيره من أحاديثه غير المفهومة التى كان يحدث بها نفسه، إلى الأمام، وتمكن من أن يبلغ به أحد الأركان فى سلام، ومن ذلك الركن كان يبدأ ممر خافت الإضاءة، يؤدى إلى عنبر نوم صبية المصاعد، وهرع أحد الصبية مسرعاً نحوهما، وتجاوزهما بأقصى سرعته لحظتها، وكان كارل وروبينسون قد اشتبكا فى بضع مشاجرات بسيطة حتى الآن، وكان الوقت عندئذ بين الرابعة والخامسة صباحاً هو أشد الأوقات هدوءاً، وأدرك كارل أنه إن لم يتخلص من روبنسون الآن، فلن يكون أمامه مطلقاً أدنى أمل فى التخلص منه فى الصباح الباكر، بعد أن تبدأ نوبة عمل النهار.

وفى أقصى نهاية عنبر النوم، كانت معركة هائلة، أو تسلية من نوع ما، قد قامت على قدم وساق، وكان يمكن سماع التصفيق، ودقات الأقدام المتهيجة، وصيحات التشجيع، وفى الجانب الآخر من العنبر، ناحية الباب، كان عدد قليل جداً من الصبية المستغرقين فى النوم فى أسرتهم، وكان أغلب الصبية الباقين يستلقون فوق ظهورهم، يحدقون فى السقف، بينما كان هنا وهناك، صبى يرتدى ملابس، أو صبى يخلعها، حيثما اتفق، أو يقفز أحد الصبية المستيقظين من فراشه ليتطلع عن قرب إلى ما كان يجرى فى الجانب الآخر من العنبر.. وهكذا تمكن كارل من أن يقود روبنسون الذى كان قد تعود الآن على السير، حتى بلغا فراش رينيل دون أن يلفتا إليهما الأنظار، فقد كان الفراش قريباً جداً من الباب، وكان خالياً لحسن الحظ، أما فراش كارل، كما تبينه كارل من على البعد، فقد كان يشغله صبى غريب

لا يعرفه، قد استغرق فى النوم فى هدوء، وما ان أحس روبنسون بالفرش  
تحتة حتى تأهب للنوم فى الحال، وتدلت إحدى ساقيه خارج الفراش.  
وسحب كارل البطاطين حتى غطى بها وجه روبنسون تماماً، وظن أنه  
ليس بحاجة إلى أن يخشى شيئاً الآن، لأن الرجل لم يكن ليستيقظ قبل  
السادسة، على الأقل، وسيكون هو بنفسه هنا وقتها، وربما أمكنه بمساعدة  
رينيل أن يجدا وسيلة من الوسائل لتهريبه إلى خارج الفندق.. لم تكن  
السلطة العليا فى الفندق تقوم بأى تفتيش على عنبر النوم إلا فى حالات  
نادرة، وكان صببية المصاعد قد نجحوا منذ سنوات عديدة فى إلغاء التفتيش  
النظامى الذى كان يحدث قبلها، وهكذا فلم يكن ثمة ما يدعو إلى الخوف من  
هذه الناحية.

وعندما عاد كارل إلى مصعده ثانية، تبين أن مصعده، والمصعد الذى  
يجاوره كانا قد اختفيا فى أعلى الفندق، فانتظر فى رجة حتى يتضح  
الأمر، ووصل مصعده إلى الطابق الأرضى أولاً، وخرج منه الصبى الذى  
كان قد مرق بجانبه فى المر منذ فترة قصيرة.

قال له متسائلاً: "انت، أين كنت يا روسمان؟ لماذا تركت مصعدك؟ ولماذا  
لم تبلغ عن غيابك؟!"

قال كارل وهو يشير إلى الصبى الذى يعمل بالمصعد المجاور، والذى  
كان قد وصل لتوه: "لقد طلبت منه أن يعمل بمصعدى للحظات، ولقد فعلت  
ذلك بدلاً منه لمدة ساعتين كاملتين، عندما كانت حركة النزلاء على أشدها!"  
فقال الصبى المقصود بهذا الكلام: "كل هذا لا بأس به، إلا انه خطأ، ألا  
تعلم أنه يجب عليك أن تبلغ عن غيابك عن مكان عملك مهما قصر، إلى مكتب  
رئيس السفرجية، لقد وضع التليفون هناك من أجل ذلك، ولقد كان يسرنى  
أن أقوم بعملك، لكنك تعلم أنت نفسك أن الأمر لم يكن بهذه السهولة، فقد

كان هنا جمع من النزلاء الجدد، وصلوا بقطار الرابعة والنصف السريع، وكانوا يقفون أمام كلا المصعدين، ولم أستطع أن أستعمل مصعدك أولاً وأترك من يقفون أمام مصعدى فى الانتظار، هل كان فى مقدورى أن أفعل ذلك؟ وهكذا فقد سعدت بمصعدى أولاً!

قال كارل متوتراً، بينما لجأ الصبيان الآخراى إلى الصمت، "حسناً!". فقال الصبى الذى يعمل بالمصعد الجاور: "حسناً، وقد كانت تلك اللحظة بالذات هى اللحظة التى قدم فيها رئيس السفرجية، ورأى الناس ينتظرون أمام مصعدك، ولم يجدك، فاستشاط غضباً، وسألنى عن المكان الذى ذهب أنت إليه، ولما لم أكن موجوداً وقت ذهابك، فلم تكن لدى بالطبع أية فكرة عن مكانك، لأنك لم تخبرنى حتى عن المكان الذى توجهت إليه، وهكذا فقد اتصلتليفونياً بعنبر النوم مباشرة، وطلب صبياً آخر ليحل محلك فى الحال!". وتساءل الصبى الآخر قائلاً: "لقد التقيت بك فى الطريقة، أليس كذلك؟". وأطرق كارل..

وأكد له الصبى الذى يعمل بالمصعد الجاور: "ولقد قلت له بالطبع فى الحال أنك قد طلبت منى أن أحل محلك، لكن هل يستمع هو إلى أى اعتذارات؟ لا يبدو أنك تعرفه، ولهذا علينا أن نخبرك بأن تتوجه إلى مكتبه فى الحال، ولا يجب عليك ألا تنتظر أكثر من ذلك، اذهب إلى حجرته، فلعله يعفو عنك فى النهاية، فانك لم تترك مصعدك سوى دقيقتين بالفعل، ويجب عليك أن تصر على أنك قد طلبت منى أن أحل محلك، ومن الأفضل ألا تذكر أنك قد حللت محلى بالمثل قبلها، هذه هى نصيحتى لك، فلا شىء يمكن أن يحدث لى، لأننى كنت قد استأذنت فى الغياب إلا أنه لا داعى لذكر ذلك، وخطه بهذا الموضوع، الذى لا علاقة له به!"

قال كارل: "إنها أول مرة أترك فيها مصعدي!"

فأجابه الصبي الآخر، قائلاً، وهو يهرول إلى مصعده، فقد كان البعض قد توجهوا نحوه: "إن الأمر يحدث دائماً على هذه الصورة، إلا أن أحداً لا يصدق ذلك!"

وقال الصبي الذى حل محل كارل فى أثناء غيابه، وهو يشعر بالأسف الواضح، من أجل كارل، وكان صبيّاً فى حوالى الرابعة عشرة من عمره: "لقد فصلوا صبيانا من هذا العمل بالفعل، عدد كبير منهم قد فصل فى ظروف كهذه، إلا أن المتبع عادة هو أن يحولوك إلى عمل آخر.. وعلى قدر علمى فقد حدث مرة واحدة فقط أن قاموا بطرد صبي ارتكب مثل هذا الخطأ الذى ارتكبته، فيجب عليك أن تجد عذراً مقبولاً، لكن لا تحاول أن تقول له إنك شعرت فجأة بالمرض، فسوف يدفعه ذلك إلى الضحك فقط، ومن الأفضل أن تقول أن نزيلا من النزلاء قد أرسلك فى طلب عاجل إلى نزيل آخر، وإنك لا تذكر النزيل الأول، ولم تستطع كذلك أن تعثر على الآخر!"

قال كارل: "حسناً، لن يبلغ الأمر هذا الحد من السوء!" لم يكن يمكنه أن يعتقد بعد كل ما سمعه أن الأمر سينتهى بسلام، وحتى لو تم الصفح عن إهماله، فإن روبنسون لا يزال يستلقى هناك فى عنبر النوم، كغلطة حية، ومن المحتمل جداً ألا يقنع رئيس السفرجية المحب للانتقام بالتقصى السطحى للأمر، ولا بد له أن يكتشف وجود روبنسون فى نهاية الأمر، ولم يكن هناك حقاً حظر صريح يمنع استقبال الغرباء فى عنبر النوم، إلا أن هذا الحظر لم يوجد ببساطة، لأنه لم يوجد ما يدعو لذكر شيء بعيد الاحتمال من هذا القبيل.

وعندما دخل كارل المكتب، كان رئيس السفرجية يحتسى قهوة الصباح، فكان يرتشف رشفة من حين لآخر، وفى نفس الوقت يتفحص قائمة، يبدو أن

رئيس البوابين كان قد أحضرها إليه، فقد كان بداخل الحجرة هو أيضاً، وهو شخص طويل، أكرش، كان رداؤه الفاخر المفرط الزينة - حتى الأكمام والأكتاف كانت مثقلة بالسلاسل الذهبية والأشرطة - يجعله يبدو أعرض منكبا مما هو في الحقيقة، وكان شاربه الأسود اللامع مرفوع إلى قمتين مدببتين على الطريقة الهنغارية، ولا يتحرك لأعنف حركة مفاجئة من رأسه، وكانت ملابسه الثقيلة المنشأة تجعله هي أيضاً يبدو بتلك الهيئة، ولم يكن ذلك الرجل يستطيع الحركة إلا بصعوبة، وكان يقف دائماً وساقاه متباعدتان جداً، حتى يتمكن من توزيع ثقل جسمه فوقهما في شيء من التوازن.

ودخل كارل في جراءة وسرعة كما اعتاد أن يفعل في الفندق، ذلك أن التباطؤ، والوقت الضائع الذي ينقضى في المجاملات بين الأشخاص الفارغين، كان يعد تكاسلاً يتصف به صبية المصاعد، وبالإضافة إلى ذلك، فإنه لا يجب أن يبدو كما لو كان يحس بالذنب في لحظة دخوله، وتطلع رئيس السفرجية في سرعة إلى أعلى، عندما فتح الباب، ثم عاد فوراً إلى احتساء قهوته، وإلى قراءة القائمة دون أن يعير كارل أدنى التفات.. إلا أن رئيس البوابين الذي كان يتلقى بعض التعليمات السرية على ما يبدو، أو كان يكلف بإبلاغها، قد بدا عليه الضيق لوجود كارل، فحملق فيه في غضب، وكان يعاود تلك النظرة الساخطة كل بضع دقائق نحو كارل، برأسه المحنى في تصلب، وعندما كانت عيناه تلتقيان بعيني كارل، ويبدو أنه كان يحرص على ذلك، كان يديرهما في الحال نحو رئيس السفرجية ثانية.. إلا أن كارل ظن أنه لم يكن يريد أن يدخل الحجرة لوجوده هو فيها، ولأن رئيس السفرجية لم يأذن له بالدخول.. كان رئيس السفرجية لا يزال يقرأ القائمة، ويتناول قطعة من الكعك في أثناء قراءته، كان ينفذ عنها السكر بين الحين والآخر دون أن يرفع عينيه عن القائمة، وقد وقعت منه في مرة ورقة من

أوراق القائمة على الأرض، فلم يحاول رئيس البوابين أن يلتقطها، لأنه كان يعلم إنه لا يستطيع أن ينحنى، ولأنه لم يكدر يديه ما يدعو إلى ذلك، لأن كارل كان قد انقض على الورقة، وناولها لرئيس السفرجية، الذي تسلمها فى حركة عادية لا مبالية من يده، وكأنها كانت قد ارتفعت تلقائياً من مكانها على الأرض حتى بلغت يده، ولم تنتفع كارل تلك الخدمة البسيطة التى تطوع بها فى شىء، لأن رئيس البوابين قد مضى فى توجيه نظراته الغاضبة نحو كارل.

وكان كارل يشعر الآن برباطة الجأش على الرغم من ذلك.. فلأن خطأه قد بدا غير ذى أهمية بالنسبة لرئيس السفرجية إلى هذا الحد، رأى كارل أنه قد يمكنه أن يعتبر هذا دليلاً طيباً، بالإضافة إلى أن خطأ كهذا هو شىء تافه، كما أن عامل المصعد كذلك يعد شخصاً قليل الأهمية، وليس له على هذا أن يتمتع بشىء من الحرية، إلا أن قلة شأنه بالذات هى النقطة التى يجب بناء عليها ألا تقوم الدنيا لغلطة بسيطة يرتكبها، وفوق كل هذا، فلقد بدأ رئيس السفرجية نفسه حياته العملية عامل مصعد - وأن تقدمه فى حياته العملية هو فى الحقيقة فخر الجيل الحاضر من صبية المصاعد - ولقد كان هو أول من نظم جمعية عمال المصاعد، ولا شك إنه هو أيضاً كان يترك مكان عمله من حين لآخر، دون إذن، على الرغم من أن أحداً لا يمكنه الآن أن يرغمه على الاعتراف، ومع إنه لا يجب نسيان أن بداية رئيس السفرجية، كصبى مصعد، قد جعلته أشد قسوة فى حفظ النظام بين صبية المصاعد، ونزعت من قلبه الرحمة بهم، إلا أن كارل كان يداعب شيئاً من الأمل فى خلال تلك الدقائق التى كانت تمر فى هدوء.

وكانت الساعة الآن حسب الساعة التى فى مكتب رئيس السفرجية، قد تعدت الخامسة والربع، وربما عاد رينيل فى أى لحظة، ولعله أن يكون قد



عاد بالفعل، لأنه لا بد أن يلاحظ أن روبنسون لم يعد حتى الآن، وعلى أية حال فلا يمكن أن يكون ديلا مارش وروبينسون فى مكان بعيد جداً عن الفندق الغربى، وهذا ما خطر ببال كارل، وإلا ما كان لروبينسون فى حالته المنهارة، أن يصل إلى الفندق والآن، لو وجد رينيل أن روبنسون ينام فى فراشه، وهذا ما قد يحدث، فسوف يكون كل شىء عندئذ على ما يرام، ذلك أن شخصاً عملياً كرينيل - وخاصة فيما يتعلق بالأمور القريبة من اهتماماته - سوف يجد طريقة أو أخرى لإخراج روبنسون من الفندق، وسوف يسهل عليه ذلك، لأن روبنسون لا بد أن يكون الآن قد شفى، وربما كان ديلا مارش فى انتظاره أمام الفندق لكى يتولى أمره، وما أن يتم التخلص من روبنسون حتى يتسنى لكارل أن يواجه رئيس السفرجية ببال هادئ أكثر، وربما أطلق سراحه عندئذ، بعد شىء من التعنيف الذى سيوجهه إليه رئيس السفرجية، والذى سيكون - بلا شك - تعنيفاً قاسياً، ثم سيتشاور مع تيريز إن كان عليه أن يذكر للمديرة الحقيقة كاملة - فهو لم يكن يرى غباراً على دوره فى هذا الأمر - ولو أمكن أن يتم هذا، فسوف يتم إنهاء الموضوع كله فى النهاية دون أن يكون قد حدث له أدنى ضرر.

وكان كارل لاحظتها يطمئن نفسه بهذه الأفكار، وراح يحصى فى ارتياح المنح التى تلقاها فى تلك الليلة، فقد كان يحس بأن قطع العملة كانت فى جيبه الليلة أثقل من المعتاد، عندما وضع رئيس السفرجية، القائمة التى كان يقرؤها أمامه على المنضدة، قائلاً: "انتظر لحظة أخرى يا فيودور، هل يمكنك أن تنتظر؟!"، ناهضاً على قدميه بقفزة واحدة، وصرخ فى كارل بأعلى صوته، حتى أن الصبى قد توقف فقط محملاً، وقد جمده الرعب، فى فتحة فمه المظلمة.

- لقد تركت عملك بدون إذن، فهل تدبرى ما معنى هذا؟ إن معناه، الفصل ولن أستمع إلى أية اعتذارات عليك أن تحتفظ باعتذارائك الكاذبة لنفسك، وتكفينى حقيقة أنك لم تكن فى مكان عملك، فلو تهاونت معك هذه المرة، وأطلقت سراحك، فإن كل صبيان المصاعد الأربعين، سوف ينطلقون على هواهم فى خلال أوقات العمل، ويتركوننى وحدى لكى أحمل ضيوف الفندق الخمسة آلاف، فوق كتفى، وأصعد بهم درجات السلم!

لم يقل كارل شيئاً، واقترب رئيس البوابين، وجذب جاكته كارل من الخلف، كانت متكرشة إلى حد ما، قاصداً بلا شك أن يلفت نظر رئيس السفرجية إلى إهمال كارل فى العناية بزيه.

فتساءل رئيس السفرجية قائلاً فى خبث: "ربما كان المرض قد دهمك فجأة؟!"

فألقي عليه كارل نظرة فاحصة، وأجابه قائلاً: "لا!" فصاح رئيس السفرجية فى صوت أكثر ارتفاعاً: "وهكذا فأنت لم تكن مريضاً أيضاً لأبد إذن فى جعبتك كذبة جديدة رائعة فيماذا ستعترز؟ هيا انطق!"  
- لم أكن أعلم أن على أن أتصل تليفونياً، لكى أحصل على إذن بترك مكان عملي!"

قال رئيس السفرجية: "هذا بالفعل رد لا يكلف شيئاً!"، وقبض على كارل من ياقته، ودفعه عبر الحجر، حتى واجه كلاهما لوحة التعليمات الخاصة بالمصاعد، التى كانت مثبتة فوق الحائط، وجاء رئيس البوابين فى أعقابهما.  
قال رئيس السفرجية: "ها هى ذى التعليمات، اقرأها!" وأشار إلى إحدى الفقرات، وظن كارل أن عليه أن يقرأها بينه وبين نفسه، إلا أن رئيس السفرجية صاح فيه قائلاً: "ارفع صوتك!"

وبدلاً من أن يقرأ كارل الفقرة فى صوت مرتفع، قال لرئيس السفرجية،  
أملاً أن يهدئه: "إننى أعرف كل تلك الفقرات، فقد حصلت على نسخة من  
التعليمات، وقرأتها فى عناية، وهى تعليمات لا يمكن للمرء أن ينسى شيئاً  
من تفاصيلها، ولقد عملت هنا لمدة شهرين حتى الآن، ولم أترك مكانى مرة  
واحدة!".

فقال رئيس السفرجية: "حسناً، سوف تتركه الآن"، وعاد إلى المنضدة،  
وتناول القائمة مرة أخرى، كما لو كان ليواصل قراعتها، لكنه خبط قبضته  
فوقها ثانية فوق المنضدة، وكأن شيئاً ما قد ساءه عندما تناولها، وتصاعد  
الدم فوق حاجبيه، وخديه، وراح يذرع الحجرة بخطواته ذهاباً وجيئة.  
- كل هذا الازعاج بسبب صبى أحرق سخيف! كل هذا التعطيل بسبب  
نوبة عمل الليل!

صاح بهذه الكلمات عديداً من المرات، وقد ملأه العجب  
- هل تعلم من الذى ظل واقفاً ينتظر هناك أمام المصعد، عندما غادره  
ذلك الشخص الذى يقف أمامك، وذهب على هواه؟! تسأل رئيس السفرجية،  
مستديراً نحو رئيس البوابين، وذكر اسما، أصيب رئيس البوابين، الذى كان  
يعرف زبائن الفندق جميعاً دون شك، ويعرف أوضاعهم كذلك، أصيب  
بالرعب، حتى لقد وجد نفسه ينظر إلى كارل نظرة خاطفة، لكى يؤكد لنفسه  
أن ذلك الصبى، الذى غادر مصعده، وترك صاحب ذلك الاسم ينتظر دون أن  
يجد من يخف لخدمته، يوجد بالفعل فوق سطح الأرض.

قال رئيس البوابين: "إن هذا مخيف!"، وراح يهز رأسه ببطء فى ذهول  
نحو كارل، الذى كان يرقبه فى شرود، وهو يفكر فى أن صدمة هذا الرجل  
الغبية، خطأ آخر عليه أن يدفع ثمنه.

وواصل رئيس البوابين حديثه قائلاً، وهو يسدد ابهامه الضخم السمين  
المتصلب نحو كارل:

- انك الصبى الوحيد الذى يرفض أن يؤدى لى التحية، فمن تظن نفسك؟  
إن كل صبى يمر بمكتب رئيس البوابين يؤدى لى التحية، يمكن أن تفعل ما  
يحلوك مع باقى البوابين، لكننى أصر على ضرورة اتباع أصول اللياقة،  
وإننى أحياناً ما أتصنع عدم ملاحظة سلوكك هذا تجاهى، لكن عليك أن تعلم  
أننى أعرف تماماً من الذى يقول لى طاب يومك، ومن الذى لا يقولها، أيها  
الجلف! واستدار مبتعداً عن كارل، وهو يخطو فى عظمة نحو رئيس  
السفرجية، الذى جلس ليكمل تناول فطوره، ويتفحص جريدة الصباح التى  
أحضرها له لحظتها أحد المساعدين.

قال كارل، وهو يدرك أن عليه أن يصفى حسابه أولاً مع رئيس البوابين،  
بينما يتجاهله رئيس السفرجية، ويدرك كذلك أن اللوم الذى يوجهه إليه الآن  
رئيس البوابين قد لا يتمخض عن أى ضرر، إلا أن عداؤه له يضره بصفة  
عامة:

"سيدى، لا شك أننى قد مررت بمكتبك على الأغلب دون أن أؤدى لك  
التحية، إلا أننى مازلت حتى الآن حديث العهد بالحياة فى أمريكا، فقد  
قدمت منذ فترة قصيرة من أوروبا، حيث يحيى الناس بعضهم بعضاً بإفراط  
بالغ، وهذا شىء معروف جيداً، وبالطبع لم أتمكن من أن أتخلص من تلك  
العادة، لماذا، لأننى فى خلال شهرين فقط قضيتهما فى نيويورك، حيث اتفق  
لى إن عشت فى وسط راق، نبهونى طويلاً إلى أننى أفرط فى توجيه تحياتى  
للناس، وهأنت ذا تتهمنى بأننى لا أحبيك دون غيرك، لقد وجهت إليك تحياتى  
كل يوم، عديداً من المرات فى اليوم الواحد، لكن بالطبع، ليس فى كل مرة  
يتصادف أن أراك فيها، لأننى أمر بمكتبك مئات المرات كل يوم!"

- عليك أن تحيينى فى كل مرة تمر فيها بمكتبى، فى كل مرة بالفعل، دون استثناء، عليك أن تقف وقبعتك فى يدك، طوال الوقت الذى تتحدث فيه إلى، ويجب أن تخاطبنى دائماً "بياسيدي"، عندما تتوجه إلى بالحديث، ولا تقل لي: "انت!" وعليك أن تفعل هذا كله دائماً، وفى كل مرة، فى كل مرة بالحرف الواحد!

فردد كارل قائلاً فى لين: "فى كل مرة!؟" بشيء من الحيرة، لأنه تذكر الآن كيف كان يبدو له، طوال فترة وجوده بالفندق، ذلك التعبير القاسى المفعم باللوم على وجه رئيس البوابين عندما كان يواجهه، منذ الصباح الأول، وهو لا يزال عاملاً جديداً بالفندق، ولا يزال حراً فى سلوكه، ومنطلقاً على سجيته إلى حد ما، فتقدم إليه فى ذلك الصباح مندفعاً، وراح يسأله فى الحاح، وشيء من التشديد أن كان ثمة رجلان قد سألا عنه، أو تركا لديه صورة فوتوغرافية، ليسلمها له!؟"

وقال رئيس البوابين مستأنفا حديثه: "وهأنت ذا ترى الآن ما جلبه عليك ذلك السلوك!، بينما كان يتقدم ثانية نحو كارل، ملوحاً بيده نحو رئيس السفرجية الذى كان لا يزال مستغرقاً فى تصفح جريدته، كما لو كان ذلك السيد هو أداة انتقامه من كارل:

- سوف تتذكر فى عمك المقبل أن تتأدب فى معاملة البواب، ولو كان بواباً لحانة ننتة!

تحقق كارل الآن من أنه قد فقد وظيفته، فقد أشار رئيس السفرجية إلى ذلك منذ لحظات، وها هو ذا رئيس البوابين، يكرر ذلك الآن كحقيقة واقعة.. ولا يبدو أن هناك أهمية لتصديق إدارة الفندق عندما يتعلق الأمر بفصل عامل مصعد.. إلا أن الأمر قد حدث فى سرعة خارقة لم يكن يتوقعها، فقد عمل هنا لأكثر من شهرين بكل طاقته على العمل، وبصورة أفضل كثيراً بلا

شك من غيره من الصبية الآخرين، لكن يبدو أن مثل هذه الاعتبارات، لا يلتفت إليها فى اللحظات الحاسمة، فى كل مكان فى العالم، لا فى أوروبا، ولا فى أمريكا.. أن الحكم متعمد ومدبر منذ اللحظات الأولى، من أول كلمة تفوه بها القاضى فى ثورة غضبه، وربما كان من الأفضل له أن يغادر المكان، ويرحل فى الحال، وربما كانت المديرية وتيريز نائمتين حتى الآن، ويمكنه أن يودعهما بخطاب يرسله إليهما، حتى يجنبهما على الأقل الحزن والأسف اللذين ستشعران بهما عندما يودعهما بنفسه، ويمكنه أن يعد أشياءه بسرعة فى داخل الصندوق، ويتسلل خارجاً فى هدوء.. فلو قدر له أن يمكث فى الفندق سحابة اليوم على الأقل - وقد يتسنى له ذلك بأن يأوى إلى النوم بعض الوقت - فلن يفيد هذا سوى تضخيم الحادث، ليصبح فضيحة ولو ما يوجه إليه من كل جانب، كما أنه سيفرض عليه رؤية تيريز التى لن يحتملها، وربما بكت المديرية نفسها، وربما وقع له فوق كل هذا شىء ما على سبيل العقوبة أيضاً، إلا أن أكثر ما أحنقه هو أن يجد نفسه الآن فى مواجهة اثنين من الأعداء، يغالطانه فى كل كلمة يتفوه بها، فلو كف هذا، فلكى يفعل الآخر بدوره ما شاء له العبت بكلمات كارل، ويسئ تأويلها.. ولهذا ظل صامتاً، وارتاح فى تلك الأثناء لهدوء الحجر، فقد كان رئيس السفرجية لا يزال مستغرقاً فى قراءة الصحيفة، بينما وقف رئيس البوابين إلى جوار المنضدة، وانهمك فى ترتيب أوراق قائمته المتناثرة، تبعاً لتسلسل أرقامها، وهى مهمة كانت تبدو شاقة جداً بالنسبة له، لقصر نظره الشديد. ووضع رئيس السفرجية، صحيفته جانباً فى النهاية، وتثأب، وطمان نفسه إلى وجود كارل فى مكانه، بنظرة سريعة إليه ثم أدار قرص تليفونه،

وصاح قائلاً عدة مرات: "هاللو.."، إلا أن أحداً لم يجبه، فقال لرئيس البوابين:

- لا أحد يجيب! وقال رئيس البوابين، الذى كان يتابع المكالمة التليفونية باهتمام زائد، كما لاحظ كارل: "إنها الساعة السادسة إلا الربع الآن، ولا بد أن تكون قد استيقظت من نومها، فدق الجرس بشدة أكثر!"، ألا أن التليفون رد لحظتها، دون مزيد من الدق على الجرس، فقال رئيس السفرجية:

- أنا ايسبارى الذى يتحدث! صباح الخير، أرجو ألا أكون قد أقلقت نومك! إننى آسف، نعم، إنها السادسة إلا الربع، إلا أننى فى غاية الأسف حقاً، لو كنت قد أزعجتك، ويجب عليك أن ترفعى سماعة التليفون عن الجهاز عندما تأوين إلى النوم، لا.. لا.. لا عذر لى فى الحقيقة، وخاصة أن الأمر الذى أريد أن أتحدث إليك بشأنه، أمر تافه للغاية، إننى أريد أن أبحثه معك، لكن لى بالطبع متسع من الوقت لذلك، وسوف أنتظرك بالطبع، فاتصلى بى لو تفضلت!

وقال رئيس السفرجية لرئيس البوابين مبتسماً، بينما كان الأخير ينحنى على التليفون وقد ارتسم على وجهه تعبير صارم: "لا بد إنها قد هرولت إلى التليفون بقميص نومها! لا بد أننى قد أزعجتها بالفعل لأن تلك الفتاة التى تكتب لها على الآلة الكاتبة، توقظها عادة، لكن يبدو أنه قد فاتها أن تفعل ذلك هذا الصباح لسبب أو آخر، إننى آسف لازعاجها، فهى عصبية بطبيعتها إلى حد كاف!".

- لماذا تركت التليفون، وانصرفت؟! -

فأجابه رئيس السفرجية، وهو يرفع السماعة ثانية، عندما رن جرس التليفون، "لترى ماذا حدث للفتاة!"، ثم استأنف حديثه قائلاً فى التليفون: "سوف تظهر الفتاة فى الحال.. فلا تنزعجى لكل شىء إلى هذا الحد، إنك

فى حاجة إلى الراحة التامة بالفعل، والآن، لنتحدث فى موضوعى البسيط، يوجد هنا صبى مصعد يدعى، واستدار حوله بنظرة متسائلة، وجهها إلى كارل، الذى كان يستمع بانتباه شديد، فأدلى باسمه فى الحال، يدعى كارل روسمان، ولو كنت أذكر جيداً، فهو الصبى الذى أوليته شيئاً من اهتمامك، ويؤسفنى أن أقول لك إنه قد أساء رد جميلك، فقد ترك عمله دون إذن، وورطنى بهذا فى صعوبات خطيرة، ولا يمكننى أن أذكر لك النتائج التى قد تترتب على ذلك، وعلى هذا فقد فصلته الآن من العمل، فأرجو ألا يسيئك ذلك، ماذا تقولين؟ فصل؟ نعم، فصل، إلا إننى قد أخبرتك الآن بأنه قد ترك مصعده لا.. هنا لا يمكننى فى الحقيقة أن أوافقك يا سيدتى العزيزة، إنها مسألة تتعلق بممارستى لسلطتى، فثمة خطر كبير يترتب على هذا، فصبى مثله من الممكن أن يفسد المجموعة كلها، ولا بد من التشدد الذى لا يعرف الرحمة مع صببية المصاعد بالذات، لا.. لا.. لا يمكننى فى هذه الحالة أن أجاملك، على الرغم من رغبتى الشديدة فى إرضائك، وحتى لو أننى سمحت له بالبقاء على الرغم من ذلك، لمجرد أن أسيطر على أعصابى فحسب، فلن يكون هذا فى صالحك، نعم، ليس فى صالحك أن تستبقيه هنا، إنك تولينه اهتماماً لا يستحقه أبداً، وإننى لأعرفه، وأعرفك أيضاً، وإننى واثق من إنه لن يجلب لك سوى خيبة الأمل البالغة، التى يجب أن تتجنبها بأى ثمن إننى أقول لك هذا بغاية الصراحة، وتحت سمع الصبى نفسه، لأنه يقف فقط على بعد خطوة واحدة منى، فى ثبات هو الوقاحة بعينها، لا بد من فصله، لا.. لا.. لا بد من فصله نهائياً وفى الحال، لا.. لا.. لا يمكن أن أعهد إليه بعمل آخر، فلا فائدة لى منه على الإطلاق، وبالإضافة إلى ذلك فهنا من يشكون منه أيضاً، إن رئيس البوابين مثلاً، نعم فيودور بالطبع! لقد اشتكى فيودور من عدم تأدبه، ومن وقاحته، ماذا، ليس هذا كافياً؟ يا سيدتى العزيزة أنك



تناقضين طبيعتك باستمرارك فى مساندة هذا الصبى، لا.. لا يجب عليك فى الحقيقة أن تضغطى علىّ إلى هذا الحد!"

وانحنى رئيس البوابين فى تلك اللحظة، وهمس فى أذن رئيس السفرجية بشيء ما، فتطلع إليه رئيس السفرجية مندهشاً فى البداية، ثم تحدث مسرعاً فى التليفون، حتى إن كارل لم يتمكن من أن يسمع ما كان يقوله، فاقترب منه لهذا، قليلاً على أطراف أصابعه.

قال: "عزيزتى المديرة، لكى أكون صريحاً معك غاية الصراحة فإننى أصرح لك بأننى لم أكن أعتقد أنك تخطئين إلى هذا الحد فى حكمك على الأشخاص، فلقد علمت الآن شيئاً عن ملاكك البرئ شيئاً لاشك فى أنه سيقرب رأيك فيه رأساً على عقب، ويؤسفى أن أكون أنا الذى أنهى إليك بهذا الخبر.. أن هذا الصبى المدلل الذى تساندينه، هذا المثال الرائع للفضيلة، يندفع إلى المدينة فى كل ليلة يخلو فيها من العمل، ولا يعود إلى الفندق قبل الصباح، نعم. نعم، أن لدى الدليل على صدق ذلك، وهو دليل لا يرقى إليه الشك، نعم، والآن هل يمكنك أن تخبرينى، من أين له بالمال الذى ينفقه على تلك المغامرات الليلية؟ أو كيف يمكن أن نتوقع منه الالتفات إلى عمله كما يجب فى هذه الحالة؟ وهل تريدين منى أن أمضى فى ذكر تفاصيل ما يفعله فى المدينة؟ إن صيباً كهذا لا بد من التخلص منه بأسرع ما يمكن، وأرجو أن تعتبرى ذلك نديراً بأن تحذرى العناية بالصبية الذين يظهرون مثله، فجأة من حيث لا يدرى أحداً!"

صاح كارل، وقد ارتاح لهذا الخطأ الذى تهيأ له أنهم قد وقعوا فيه عندما ظنوا أنه يغادر الفندق ليلاً فى أوقات راحته، ذلك لأن هذا الخطأ قد يتمخض عن تقدم غير متوقع للموقف كله: "لكن يا سيدى، لا بد أن خطأ ما قد حدث، لقد فهمت أن رئيس البوابين قد أخبرك بأننى أخرج إلى المدينة كل

ليلة، إلا أن هذا ببساطة غير صحيح، إننى أقضى كل ليلة فى عنبر النوم، ويمكن أن يؤيد الصبية الآخرون جميعاً كلامى هذا، وعندما لا أكون نائماً فإننى أنفق وقتى فى دراسة المعاملات التجارية، لكننى لم أغانر عنبر النوم ليلة واحدة، إن من السهل إثبات هذا، ولا شك أن رئيس البوابين قد أخطأ فحسبى شخصاً آخر، وأرى الآن أيضاً لماذا ظن أننى أمر به دون أن أحبيه!"

فصاح رئيس البوابين، وهو يلوح بقبضته بدلاً من إصبعه كما يفعل الآخرون عند التحذير، قائلاً: "هل يمكنك أن تمسك لسانك؟! إذن فقد خلطت أنا بينك وبين شخص آخر؟! هل فعلت ذلك حقاً؟! كيف لى إذن أن أستمر فى عملى هنا كرئيس للبوابين إن كان لى أن أخط بين شخص وآخر؟ إننى أسألك يا مستر ايسبارى، كيف يتسنى لى أن أكون رئيس البوابين هنا لو خلطت بين الناس؟ إننى طوال مدة خدمتى التى امتدت ثلاثين عاماً، لم أخط مطلقاً بين شخص وآخر، ويمكن أن يخبرك مئات السفرجية الذين كانوا هنا على عهدى، بصدق ذلك، فيبدو كما لو كان على أن أتعلم مهنتى من جديد على يديك، أيها الصبى الحقير! بوجهك هذا الناعم الذى لا يمكن أن يخطئه أحداً! وما شأن الخطأ، على كل حال، بهذا الأمر؟ يمكنك أن تتسلل إلى المدينة من وراء ظهري، ولا يتطلب الأمر منى سوى أن أنظر فى وجهك حتى أتبين أنك جلف لا تصلح لشيء!"

قال رئيس السفرجية الذى بدا أن حديثه مع المديرية قد انقطع فجأة: "كفى يا فيودور، إنه أمر بالغ البساطة، فلا يعيننا فى الحقيقة كيف يمضى لياليه، ولاشك أنه يريدنا أن نقوم بمهمة التحرى الشامل عن تفاصيل حياته الليلية، قبل أن يغادرنا.. يمكننى أن أدرك أن هذا يسعده جداً، وفى وسع كل صبى من صبياننا الأربعين أن يستعرض نفسه، لو توفرت لديه الرغبة

فى ذلك، وسيقول لك بالطبع إنهم قد خلطوا بينه وبين غيره أيضاً، وهكذا، فلو حاولنا أن نقبل هذا الهراء، لتعين علينا عندئذ أن نسحبهم جميعاً واحداً واحداً كشهود، وسيتوقف العمل بالطبع تماماً فى الفندق كله لبعض الوقت، ومع إنه سيطرد فى نهاية الأمر، فلا بد له من أن يستمتع قليلاً، وعلى هذا فسنجاوز عن ذلك، لقد خدع المديرية بالفعل حتى الآن، تلك السيدة الطيبة القلب، وسوف نوقفه عند هذا الحد.. ولن أستمع إلى كلمة أخرى، لقد فصلت الآن بسبب إهمالك لعملك، وسوف أعطيك مذكرة للصراف الذى سيدفع لك أجرك حتى اليوم، ودعنى أقل لك إنه بعد الخطأ الذى ارتكبته اليوم، فإن موافقتى على أن تتناول أجرك هو محض رحمة بك، وإننى أفعل ذلك فقط، مجاملة للمديرة!"

وقطع حديث رئيس السفرجية، رنين جرس التليفون مرة أخرى، قبل أن يوقع المذكرة، وبعد أن استمع إلى الكلمات الأولى، صاح فى دهشة: "لا شيء اليوم سوى متاعب صبية المصاعد هؤلاء!" ثم صاح بعد لحظة: "هذا ما لم نسمع به حتى الآن!"، واستدار بعيداً عن التليفون، قائلاً لرئيس البوابين: "أرجوك يا فيودور، اقبض على هذا الصبى الآن، فلدينا الكثير مما سنقوله له!"، ثم صاح قائلاً فى التليفون: "تعال فى الحال!".

واستطاع رئيس البوابين الآن، أن ينفس عن غضبه الذى لم يكن قد أظهره شفهيّاً، فقد قبض بذراعه اليمنى على كارل فى عنف، لكنه لم يتمكن من أن يحكم قبضته عليه، فكان يخفف قبضته من حين لآخر، ثم شيئاً فشيئاً كان يعود فيشدها على كارل بغاية القسوة، فقد كان قوياً جداً، وبدا ضغطه على كارل وكأنه لن يتوقف، حتى لقد غامت الأشياء أمام عينيه، وفوق ذلك فهو لم يكن يقبض فقط على ذراع كارل، بل كان يضغط جسمه

أيضاً، وكأنه قد أمر بأن يفعل ذلك، ويرفعه فوق قدميه بين الحين والآخر إلى أعلى، ويدفعه، وهو يقول طوال الوقت فى شبه تساؤل لرئيس السفرجية: "هل يمكننى أن أخلط بينه الآن وبين سواه، هل يمكننى أن أخلط بينه وبين سواه الآن؟!"

وقد تمكن كارل من أن يرتاح من ضغط رئيس البوابين على جسده، إلى حد ما، عندما دخل رئيس صبية المصاعد، وهو شاب سمين يدعى "بست"، كان يلهث، فلفت انتباه رئيس البوابين لبعض الوقت، وكان الإرهاق قد نال من كارل حتى إنه لم يتمكن، عندما حضرت تيريز لدهشته خلف الشاب، يبدو عليها الانهيار، ووجهها شاحب كوجوه الموتى، وملابسها متهدلة، وشعرها مصفف فى إهمال، لم يتمكن من أن يغتصب ابتسامة لها إلا بصعوبة بالغة، وسرعان ما همست له وهى تقف إلى جواره:

- هل تعلم المديرية؟!

فأجابها كارل: "لقد أخبرها رئيس السفرجية بالتليفون!" فاقلت فى سرعة، وقد التمتعت عيناها: "إذن فكل شىء على ما يرام.. كل شىء على ما يرام!"

فقال لها كارل: "لا ، إنك لا تعرفين ما يتهموننى به، لابد لى من أن أرحل، لقد اقتنعت المديرية نفسها بذلك فعلاً.. فأرجوك ألا تبقى هنا، اصعدى ثانية، وسوف أتى لوداعك فيما بعد!"

- ما الذى تعترمه ياروسمان؟ يمكنك أن تبقى ما شاء لك البقاء هنا.. إن رئيس السفرجية يفعل ما تطلبه منه المديرية، إنه عشيقها، ولقد اكتشفت ذلك بنفسى منذ وقت قصير، فلا تخش شيئاً!

- أرجوك يا تيريز، اذهبى من هنا، فلا يمكننى أن أدافع عن نفسى كما ينبغى فى أثناء وجودك هنا، ولا بد لى من أن أدافع عن نفسى دافعاً كاملاً،

لأنهم يلفقون لى الأكاذيب، وبقدر ما يمكنى أن أهزمهما دفاعاً عن نفسى، كلما اتسعت أمامى الفرصة للبقاء هنا، ولهذا يا تيريز.. لكنه عندئذ لسوء الحظ، أضاف هذه الكلمات لتقلص مفاجئ أصابه، فتألم له ألماً بالغاً، وإن كان قد قالها فى صوت خفيض: "فقط لو يتركنى رئيس البوابين! لم تكن لى أدنى فكرة عن عدائه لى، لكنه لا يكف عن ضغط ذراعى ولىه!" وفى نفس الوقت كان يفكر قائلاً فى نفسه: "لماذا أقول ذلك، لا يمكن ألا تتأثر أى امرأة لسمع مثل هذه الشكوى!"، وبالفعل، وقبل أن يمنعها بذراعه الطليقة، كانت تيريز قد تحولت إلى رئيس البوابين قائلة:

- أرجوك يا سيدى، دع روسمان الآن، إنك تؤله، إن المديرية سوف تصل إلى هنا بنفسها، بعد لحظة، وسوف ترى عندئذ أن هذا كله كان مجرد خطأ، دعه، فما هى المتعة التى تجنيها من تعذيبه؟!، وجذبت ذراع رئيس البوابين بالفعل، فأجابها هذا قائلاً: "الأوامر يا فتاتى الصغيرة، الأوامر!"، وجذب تيريز إليه، بيده الطليقة فى تودد، بينما اعتصر ذراع كارل بيده الأخرى بكل قوته، وكأنه لم يكن يريد أن يؤذيه فحسب، بل كانت لديه خطة معينة، لم تكن قد أنجزت كما ينبغى بالنسبة للذراع التى كان يقبض عليها!"

وناضلت تيريز بعضاً من الوقت لى تخلص نفسها من أحضان رئيس البوابين، وكانت تتأهب لى تلفت انتباه رئيس السفرجية الذى كان يواصل الاستماع إلى "بست" المتباطئ، الثرثار، عندما دخلت المديرية مسرعة. فصاحت تيريز: "حمدا لله!"، وساد السكون الحجره للحظة، سوى تلك الصيحة المدوية، وقفز رئيس السفرجية، واقفاً على قدميه فى الحال، ودفع "بست" جانباً.

- وهكذا جئت بنفسك يا سيدتى العزيزة؟ بسبب هذا الأمر؟ ولقد كنت أخشى بعد حديثنا فى التليفون أن تأتى، إلا أننى لم أعتقد أنك ستحضرين

بالفعل، ومنذ حديثنا ذاك فى التليفون تدهورت الحالة التى تساندينها أكثر فأكثر، وأخشى ألا يكون فى وسعى أن أفصله فقط، بل قد أرسله إلى السجن أيضاً، فاستمعى بنفسك إلى تفاصيل الموضوع، وأشار إلى "بست" لى يدلى بما عنده.

قالت المديرية، وهى تجلس على مقعد أصر رئيس السفرجية على إخلائه لها: "إننى أريد أولاً أن أتحدث قليلاً مع روسمان!"، قالت: اقترب منى يا كارل لو سمحت!"، فاقترب منها كارل، أو على الأصح، جرجره رئيس البوابين إلى مكانها.

قالت المديرية ساخطة: "اتركه، ألا تتركه؟ إنه ليس قاتلاً!" فتركه رئيس البوابين فى الحال، لكنه قبل أن يتركه سحق ذراعه بضغطة أخيرة بغاية العنف، حتى طفرت الدموع من عينيه هو نفسه، تحت تأثير الجهد.

صاحت المديرية، وهى تضع يداها المطويتان على صدرها فى هدوء، بينما أحنث رأسها قائلة فى لهجة لم تكن تنم عن الاستجواب مطلقاً: "كارل؟ أريد قبل كل شيء أن أقول لك إننى مازلت أثق بك ثقة كاملة، كما أن رئيس السفرجية هو أيضاً رجل عادل، ويمكننى أن أشهد له بذلك، وإننا نود من أعماقنا أن نستبقيك هنا!"، وهنا تطلعت إلى رئيس السفرجية بنظرة سريعة، كما لو كانت ترجوه ألا يقاطعها، إلا إنه لم يفعل، واستأنفت حديثها قائلة لكارل: "فانس لهذا كل ما قيل لك حتى الآن، وفوق كل هذا، فلا يجب عليك أن تأخذ مأخذ الجد ما قد يكون رئيس البوابين قد قاله لك، إنه رجل سريع الهياج، ولا عجب فى ذلك، إذا نظرنا إلى طبيعة عمله.. إلا أن له زوجة وأطفالاً أيضاً، وهو يعلم أن الصبى الذى يعول نفسه، لا يحتاج إلى مزيد من العذاب، لأن العالم كله سيتحقق من أنه يشارك بمجهود ملحوظ فى أعبائه!".

كان السكون لا يزال يخيم على الحجرة، ونظر رئيس البوابين إلى رئيس  
السفرجية، كما لو كان يتوقع منه أن يسأله، وتطلع رئيس السفرجية إلى  
المديرة، وهز رأسه، وابتسم "بست" رئيس صبية المصاعد فى سخرية بلهاء،  
وهو يقف خلف ظهر رئيس السفرجية، وكانت تيريز قد انخرطت فى البكاء  
بصوت غير مسموع، وقد غلبها الأسى والفرح، وكانت تحاول أن تخفى  
مشاعرها عن الآخرين!

إلا أن كارل على الرغم من أن ذلك كان من الممكن تفسيره كدلالة سيئة،  
لم يتطلع نحو المديرة، التى كانت تتوقع منه بلا شك أن يفعل ذلك، بل راح  
ينظر أمامه نحو أرضية الحجرة، وكانت ذراعه لا تزال تؤلمه، وكان كم  
قميصه ملتصقاً بالكدمات، حتى إنه كان عليه بالفعل أن يخلع جاكته لكى  
يتفحص تلك الكدمات.. وكان ما قالته المديرة بالطبع، شيئاً بالغ العطف،  
كما أنه بدا له على هذا النحو بسبب الطريقة التى انتهجتها فى تناول الأمر،  
ولا بد أن الآخرين سيظنون أن عطفها مجرد حماقة، وأن كارل كان يحظى  
بصداقتها التى قامت على أسس زائفة طوال شهرين، وأنه لهذا لم يكن  
يستحق شيئاً أكثر من أن يقع بين يدي رئيس البوابين.

واستأنفت المديرة حديثها قائلة: "إننى أقول هذا، حتى يمكنك أن تعطينى  
جواباً شافياً، ولا شك إنك ستتمكن من أن تفعل ذلك مهما كانت الظروف،  
لو كنت قد عرفت طباعك حقاً!".

قال "بست" رئيس صبية المصاعد فجأة فى أدب بالغ، لكن فى تشويش  
زائد فى الوقت نفسه: "هل يمكننى لو سمحت أن أذهب" ثم تحول إلى  
المديرة قائلاً: "أن الأمر يتلخص فيما ينزف نزيفاً قاتلاً!".

قال رئيس السفرجية "لبست" الذى اندفع خارجاً فى الحال: "أذهب"، ثم  
تحول إلى المديرة قائلاً: "إن الأمر يتلخص فيما يلى: إن رئيس البوابين لم

يكن يقبض على هذا الصبى عبثاً، ففي عنبر نوم صبية المصاعد فى الطابق الأسفل، يوجد شخص غريب تماماً، وتثل للغاية، ولقد اكتشفه الصبية مندساً فى عناية فى أحد الأسرة فى عنبر نومهم، ولقد أيقظوه بالطبع، وحاولوا أن يطردوه إلى خارج العنبر، إلا أن ذلك الشخص أحدث شغباً بالغاً، وصاح قائلاً بأن الفراش الذى كان يرقد فوقه هو فراش كارل روسمان، وأنه ضيف روسمان، وإن روسمان هو الذى ذهب به إلى هناك، وأنه سيسحق كل من يتجاسر على أن يلمسه، وبالإضافة إلى ذلك، فإن عليه ببساطة أن ينتظر عودة كارل روسمان، لأنه قد وعد بأن يعطيه نقوداً، وأنه ذهب لإحضارها، فانتبهى إلى ذلك لو تكرمت يا سيدتى العزيزة، لقد وعد بأن يعطيه نقوداً، وأنه قد ذهب لإحضارها، وانتبه إلى ذلك أنت أيضاً ياروسمان!" قال رئيس السفرجية هذا لروسمان ملتفتاً إليه من فوق كتفه، بينما التفت كارل إلى تيريز التى كانت تحدد بدورها فى رئيس السفرجية مأخوذة، وهى تلقى بخصلة شعر من فوق جبهتها، أو ترفع يدها بصورة آلية إلى حاجبها، لمجرد أن تفعل أى شىء: "ولعلك لست فى حاجة إلى أن نذكرك بارتباطاتك، ذلك أن الرجل الموجود بالطابق الأسفل، قال أيضاً أنك بعد عودتك إليه سوف تذهب بصحبته لقضاء الليلة مع إحدى المغنيات، وهى مغنية لم يتمكن أحد من معرفة اسمها، وإن كنت قد اقتنعت بذلك، لأن الرجل كان يرفع عقيرته بالغناء كلما خطر له خاطر الذهاب إليها!".

وتوقف رئيس السفرجية عند هذا الحد، ذلك أن المديرية كان قد شحب لونها بصورة ملحوظة، ونهضت من على مقعدها ودفعتة قليلاً إلى الخلف. فقال رئيس السفرجية: "سوف أعفيك من ذكر بقية التفاصيل!" قالت المديرية وهى تمسك بيده: "لا.. أرجوك، لا.. استمر أرجوك، لابد لى من أن أعرف كل شىء فهذا ما جئت من أجله:"



وتقدم رئيس البوابين الآن إلى الأمام، وخطب بصوت مرتفع على صدره، إعلاناً بأنه كان قد توقع كل شيء منذ البداية في الوقت الذي هدأه فيه رئيس السفرجية، مقرأً له بذلك بقوله: "نعم، يا فيودور، لقد كنت على حق تماماً!".

واستأنف رئيس السفرجية حديثه قائلاً: "لا يوجد ما يقال أكثر من ذلك، ولقد ضحك الصبية على عاداتهم من ذلك الرجل في البداية، ثم اشتبكوا معه في عراق، ولما كان يتوفر بينهم كثيرون ممن يجيدون الملاكمة، فقد انطرح الرجل أرضاً ببساطة، ولم أجروء على أن سأل حتى أين كان الرجل ينزف، وفي أى الأماكن العديدة كان نزيفه، فلوث تلك الأماكن، ذلك أن هؤلاء الصبية هم ملاكمون في غاية العنف، ويعد رجلاً سكيراً كهذا، لعبة طيبة في متناول قبضاتهم!".

وضعت المديرية يدها على ذراع المقعد، ونظرت إلى أسفل نحو ذلك المقعد الذي كانت قد نهضت من فوقه لتوها، ثم قالت بعد ذلك: "إننى أفهم ذلك الآن، فأرجوك أن تقول شيئاً ياروسمان!" واندفعت تيريز عبر الحجرة، وتشبثت بسيدتها، وهو ما لم يرها كارل تفعله من قبل، وكان رئيس السفرجية يقف خلف المديرية ملتصقاً بها، وراح يرتب فى أثناء ياقبتها الصغيرة المزينة بالدانتلة، التى كانت قد تكرمشت على نحو ما، وقال رئيس البوابين الذى كان يقف بجانب كارل: "انطق!"، لكنه تفوه بهذه الكلمة لجرد أن يغطى اللكمة التى كالمها له على ظهره.

قال كارل: "صحيح!" فى قليل من الجراءة التى كان ينويها، بسبب تلك اللكمة: "لقد وضعت الرجل فى عنبر النوم!".

فقال رئيس البوابين موجهاً حديثه إلى الحاضرين جميعاً: "هذا هو كل ما نود أن نعرفه!"، واستدارت المديرية فى صمت نحو رئيس السفرجية، ونحو تيريز.

ومضى كارل فى حديثه قائلاً: "لم أستطع أن أمنع نفسى، كانت قد سبقت لى معرفة ذلك الرجل من قبل، ولقد حضر إلى هنا لزيارتى، بعد غياب دام شهرين، إلا أنه كان ثملاً للغاية، حتى إنه لم يتمكن من مغادرة الفندق بمفرده، عائداً من حيث أتى!"

قال رئيس السفرجية الذى كان قد وقف إلى جانب المديرية فى نعومة، كما لو كان يتحدث إلى نفسه: "إذن فهو قد حضر لزيارتك، وبعد ذلك ثمل إلى هذا الحد، حتى لم يتمكن من مغادرة الفندق!"، فهمست المديرية من فوق كتفها، بشيء إلى رئيس السفرجية، الذى بدا وكأنه سيعترض، لكنه ابتسم لها، ابتساماً لم تبد عليها أن لها صلة بموضوع كارل على الإطلاق، وضغطت تيريز - ثبت كارل عينيه عليها - وجهها فى يأس تام إلى جسد المديرية، وتحاشت النظر إلى أى شيء، وكان الشخص الذى أرضاه توضيح كارل، هو رئيس البوابين، الذى ردد عديداً من المرات: "هذا صحيح تماماً، يجب عليك أن تساعد زميلك عندما يكون ثملاً!"، وحاول أن يؤكد ذلك التفسير بالنظر إلى الآخرين جميعاً، وتلويح يديه.

قال كارل: "إننى الملوم على هذا!"، وتوقف لحظة، كما لو كان ينتظر كلمة طيبة من قضائه لتمنحه الشجاعة على إكمال دفاعه، إلا أنه لم يسمع شيئاً فقال: "إننى الملوم على هذا فقط لأننى أخذت الرجل إلى عنبر النوم - إنه يدعى روبنسون، وهو أيرلندى - إلا أن كل ما قاله بعد ذلك، إنما يرجع إلى أنه كان ثملاً، وهو غير صحيح كله!".

فتساءل رئيس السفرجية قائلاً: إذن فأتت لم تعد بأن تعطيه نقوداً! قال كارل: "نعم!"، فقد أحس بالأسف لأنه نسي ذلك فى عجلته واضطرابه، فقد كان عازماً تماماً على أن يصرح بكل شيء لتبرئة نفسه: "لقد وعدته بأن أعطيه نقوداً، لأنه سألتنى أن أعطيه شيئاً منها، لكن لم تكن لدى أدنى نية فى البحث عنها، لأننى كنت سأعطيه فحسب المنح التى حصلت عليها الليلة!"، وإثبات ذلك، أخرج كارل النقود من جيبه، ورفع يده بقطع العملة الصغيرة التى كانت معه.

قال رئيس السفرجية: "إنك تورط نفسك أكثر فأكثر، فلو قدر لنا أن نصدقك فعلياً أن نتناسى تماماً ما قلته قبل ذلك، فأتت أولاً قد اصطحبت الرجل إلى عنبر النوم - وإننى حتى لست مقتنعاً بأن اسمه روبنسون، لأنه لا يوجد أيرلندى بهذا الاسم منذ أن خلقت أيرلندا - أخذته أولاً إلى عنبر النوم، ولهذا وحده، يمكن أن نقذف بك خارجاً، لتدق عنقك خارج الفندق، يمكننى أن أصرح لك بهذا - إلا أنك لم تعد بأن تعطيه نقوداً بالفعل! ليست هذه لعبة محاورة بالسؤال والجواب، لأن السؤال عندما طرح عليك، اتضح إنك وعدت بأن تعطيه نقوداً بالفعل، ودعنى أذكرك بهذا، ويبدو إنك فى حاجة إلى من يوضح لك طبيعة شخصيتك، وفى البداية لم تكن لديك النية فى البحث عن النقود، لأنك انتويت أن تعطيه المنح التى تلقيتها الليلة، ثم يتضح الآن أنك لا تزال تحتفظ بهذه المنح معك، وهكذا فلا بد قد انتويت أن تحصل على مزيد من النقود لكى تعطيتها له، وهو افتراض يدعمه غيابك الطويل.. وبعد كل هذا، فليس غريباً أن تأخذ بعض النقود من صندوقك لتعطيتها له، إلا أن ما يبدو غريباً بلا شك هو إنك قد أنكرت ذلك بشدة، وإنك ظللت تخفى حقيقة إنك أتحت للرجل أن يشمل هنا فى الفندق، وهى حقيقة لا يمكن الشك

فيها، لأنك قد صرحت أنت نفسك بأنه كان قد أتى بنفسه إلى هنا، ولكنه لم يتمكن من أن يغادر الفندق بمفرده، كما إنه قد أخبر كل من فى عنبر النوم، بأنه ضيفك، وعلى هذا فلا يبقى سوى شيئين فقط هما اللذان ينحصر فيهما الشك، ولا يمكن تقريرهما بكل دقة دون معونتك، أولهما: كيف تمكنت من أن تدخل المخازن، وثانيهما: كيف وصلت يداك إلى المال الكافى، حتى توزعه على الغير؟".

قال كارل فى نفسه: "من المستحيل أن يدافع المرء عن نفسه حيث لا تتوفر النية الحسنة!"، ولم يحر جواباً بعد ذلك، على أسئلة رئيس السفرجية، وقد ألم هذا تيريز أشد الألم، وقد بدا هذا واضحاً عليها، كان كارل يعلم أن كل ما يمكنه أن يقوله يبدو مختلفاً غاية الاختلاف فى نظر الآخرين، وسواء كان هذا حسناً، أو سيئاً، فإن النتائج التى يمكن استخلاصها من تصرفاته تعتمد أولاً وأخيراً على أسلوب محاكمته.

قالت المديرية: "إنه لا يرد؟!".

فقال رئيس السفرجية: "إن هذا هو أفضل ما يمكنه أن يفعله!".

وقال رئيس البوابين: "سوف يفكر فى الحال فى شىء آخر يقوله!"، بينما راح يداعب شاربه بيد بدت حانية الآن، مع أنها كانت قبل قليل فى غاية العنف.

قالت المديرية لتيريز: "اهدئي!"، وكانت تيريز قد بدأت تنهنه، وهى تقف إلى جوارها: "إنك ترين إنه لا يجد شيئاً يرد به على ما يوجه إليه من أسئلة، فكيف يمكننى فى هذه الحالة أن أفعل له أى شىء؟"، وفوق هذا، فلقد كنت أنا التى أخطأت فى رأى رئيس السفرجية، فأخبرينى يا تيريز، أترين شيئاً قد قصرت فى أدائه، بينما فى مقدورى أن أفعله من أجله؟"

كيف يتسنى لتيريز أن تعرف ذلك، وما هو الهدف الذي يدفعها إلى التسليم إلى هذا الحد في وجود هذين الرجلين بهذا السؤال العام، وبدعوتها الفتاة إلى أن تسلم هي أيضاً؟".

قال كارل متمالكاً نفسه مرة أخرى: "مدام!"، دون أى غرض، سوى مجرد أن يعفى تيريز من عناء الرد: "أعتقد إننى لم أسبب لك أى خزي، ولو أن بحثاً دقيقاً قد قام، فإن كل شخص آخر سوف يوافقنى على كل ما قلته!".

قال رئيس البوابين: "كل شخص آخر!"، وهو يسدد إصبعه نحو رئيس السفرجية: "إن هذا يعنك يا مستر إيسباري!".

قال مستر إيسباري: "والآن يا سيدتى، إنها السادسة والنصف، ولقد استغرقنا هذا الأمر وقتاً طويلاً، وأعتقد أن عليك أن تتركى لى الكلمة الأخيرة فى هذا الموضوع الذى عالجناه بكثير جداً من الصبر!".

ودخل جياكومو الصغير، متجهاً نحو كارل، لكنه وقد ارتاع للصمت المطبق، توقف، وانتظر.

ولم تكن المديرية قد رفعت عينيها عن كارل، منذ آخر كلمة تفوه بها، كما لم يكن هناك أى دليل على إنها قد سمعت ملاحظة رئيس السفرجية، كانت عيناها مثبتتين مباشرة على كارل، وقد كانتا واسعتين وزرقاوين، لكنهما كانتا كايبتين إلى حد ما بفعل السنين، والأحداث، وبينما كانت تقف هناك وهى تدفع المقعد فى رقة أمامها، كانت تبدو كما لو كانت على وشك أن تقول فى اللحظة التالية: "حسناً يا كارل، إننى عندما أتمعن فى الأمر، يبدو لى أن هذه المشكلة لم تتضح كما ينبغى لها الوضوح، وهى تحتاج كما قلت أنت بحق، إلى بحث كامل لكل دقائقها، وسوف نشرع فى ذلك البحث الآن، سواء

وافق الجميع على ذلك، أو اعترضوا، ذلك أن العدالة يجب أن تأخذ مجراها".

إلا أن المديرية قد قالت بدلاً من ذلك بعد لحظة قصيرة من الصمت، لم يجرؤ أحد على أن ينتهكها، كما أن الساعة دقت لحظتها معلنة السادسة والنصف تأكيداً لقول رئيس السفرجية، وتبعاً لها، كما يعرف الجميع، دقت كل الساعات الأخرى فى الفندق بأكمله، ورنت دقاتها فى الأسماع كالنذير، كضربة متضاعفة كوقع الجزع البالغ: "لا يا كارل، لا.. لا.. إننا لن نستمع إلى شىء أكثر مما استمعنا إليه حتى الآن، إن الأمور عندما تكون على حق، فإنها تبدو كذلك منذ الوهلة الأولى، وعلى أن أعترف بأن ملابسك حالتك، لا تبدو كذلك، إن لى أن أقول ذلك، وعلى أن أقوله، على أن أعترف بذلك، لأننى كنت أنا التى حضرت إلى هنا منحازة إلى صفك انحيازاً تاماً، وهأنت ترى أن تيريز تلتزم الصمت هى أيضاً!" ألا أنها لم تكن صامته، كانت تبكى.

وتوقفت المديرية، وكأنها قد انتهت فجأة إلى قرار وقالت: "كارل، تقدم إلى هنا"، وعندما تقدم نحوها، بدأ رئيس السفرجية، ورئيس البوابين فى الحال حديثاً نشطاً خلف ظهره، وضعت ذراعها اليسرى حوله، وقادته، وتبعتهما تيريز المستسلمة، إلى الجانب الآخر من الحجرة، "وإلا فإننى فى الحقيقة لا أعرف ماذا سأعرف بشأنك، إن بحثاً ربما أمكنه أن يبرر موقفك، فى بعض النقاط الصغيرة المنفصلة، ولماذا لا يحدث ذلك؟!، وربما كنت قد قمت بتحية رئيس البوابين، إننى أحس دون شك بأنك قد فعلت، كما أن لى رأى الخاص فى رئيس البوابين، وها أنت ترى إننى ما زلت فى غاية الصراحة معك.. إلا أن هذه التبريرات لن تساعدك مطلقاً فى شىء.. وإن رئيس السفرجية الذى تعلمت طوال السنين أن أقدر حكمه على الناس، والذى هو أكثر من عرفتهم من الرجال استحقاقاً للثقة، قد أعلن فى وضوح أنك مذنب،

ويجب على أن أقول أن حكمه يبدو لي غير قابل للإنكار، وربما كنت قد تصرفت بلا تفكير، لكن لعلك أيضاً، لست الصبي الذي كنت أظنه، إلا أن..!"  
وبهذا قطعت حديثها، وألقت نظرة عابرة من فوق كتفها إلى الرجلين: "إنني لا يمكنني أن أوصل الاعتقاد بأنك صبي نبيل في جوهرك!".  
قال رئيس السفرجية محذراً: "مدام، مدام!"، لأنه كان قد لمح نظرتها إليهما.

قالت المديرية: "سوف ننتهي في خلال دقيقة واحدة!"، وشرعت في إنذار كارل في سرعة أكثر: "استمع إلى يا كارل، إنني من خلال ما أمكنني أن أستنتج من هذا الأمر، فإنني راضية بالفعل لأن رئيس السفرجية لا يريد أن يبدأ بحثاً في مشكلتك، لأنه لو كان له أن يفعل، لكان على أن أمنعه لصالحك، فلا يجب أن يعلم أحد كيف ولا من أين حصلت على الشراب لذلك الرجل الذي لا يمكن أن يكون أحد صديقك القديمين، كما أعلنت، لأنك كنت قد اشتبكت في عراق عنيف معهما عندما تركتهما، وعلى هذا فلا يمكن أن تكون على علاقة طيبة إلى هذا الحد بأى منهما الآن، وعلى هذا فلا بد أن تكون الصداقة قد ربطتك بهذا الرجل ذات ليلة في أحد أوكار الشراب في المدينة، فكيف أمكنك أن تخفي هذه الأمور عني يا كارل؟! فلو كنت حقيقة، لا تحتمل عنبر النوم، وشرعت في التجول هنا وهناك ليلاً لأسباب غير بريئة كهذه الأسباب، فلماذا لم تذكر كلمة واحدة عن ذلك؟ إنك تعلم أنني قد رغبت في أن أخصص لك حجرة خاصة بك، وإنني عدلت عن الفكرة فقط بناء على رغبتك، ويبدو لي الآن أنك قد فضلت عنبر النوم العمومي، لأنك أحسست بأنك تتمتع بحرية أكثر هناك، كما أنك دائماً تضع نقودك معي، وتسلمني المنح التي تحصل عليها كل أسبوع، فمن أين بحق السماء، حصلت أيها الصبي على النقود لهذه الجولات، ومن أين كنت تنوى أن تحصل على النقود

لصديقك؟ وبالطبع هذه أمور لا يمكننى أن أذكرها لرئيس السفرجية الآن على الأقل، وإلا فإن التحريات فى هذه الحالة، قد لا يمكن تجنبها، وعلى هذا فعليك أن تغادر الفندق ببساطة، وبأسرع ما يمكن أيضاً، اذهب رأساً إلى "بنسيون برينز" - ولقد ذهبت إليه بالفعل بصحبة تيريز، عديداً من المرات من قبل - وسوف يستقبلونك فى الحال بلا مقابل، إذا أطلعتهم على هذه البطاقة"، وكتبت بضعة سطور فوق بطاقة بقلم من الذهب، انتزعته من داخل بلورتها، لكن بدون أن تقطع اتصال حديثها - وسوف أرسل صندوقك خلفك فى الحال! اذهبى يا تيريز بسرعة إلى حجرة أمانات صبية المصاعد، واحضرى صندوقه، إلا أن تيريز لم تأت بأية حركة، لأنها بعد أن كابدت كل ذلك الأسى، رغبت أيضاً فى أن تشارك إلى النهاية هذه المرة فى الاستمتاع بالحظ الحسن الذى شاء أن يكون من حسن طالع كارل، وشكراً لعطف المديرية!".

وفتح شخص ما الباب قليلاً، دون أن يظهر من خلاله، وأغلقه ثانية فى الحال، ولا بد أنه كان شخصاً قد أتى ليستعجل جياكومو فقد تقدم جياكومو إلى الأمام قائلاً: "روسمان، أريد أن أحدث معك!".

قالت المديرية: "بعد لحظة!" ودست البطاقة فى جيب كارل، بينما كان يستمع وهو واقف برأسه المنحنية إلى أسفل: "وسوف احتفظ الآن بنقودك، أنت تعلم أنها فى أمان بين يدي، فابق اليوم فى غرفتك هناك، وتدبر وضعك، وغداً - فليس لدى وقت اليوم، ولقد احتجزت الآن وقتاً طويلاً للغاية هنا أيضاً - سوف أحضر إليك فى بنسيون برينز، وسوف نرى ما يمكن أن نفعله من أجلك بعد هذا، إننى لن أتخلى عنك، ويجب أن تعلم هذا جيداً الآن، ولست فى حاجة إلى أن تشغل ذهنك بأمر مستقبلك لكنك فى حاجة إلى أن تتفحص وضعك خلال تلك الأسابيع القليلة الماضية، وربتت على



كتفه، ثم مضت نحو رئيس السفرجية! ورفع كارل رأسه، وهدق خلف المرأة الطويلة الهيئة، بينما كانت تبتعد عنه بخطواتها الخفيفة، وسلوكها الواضح. قالت تيريز التي بقيت إلى جانبه: "حسناً، ألسنت مسروراً، لأن كل شيء قد انتهى، هذه النهاية الحسنة؟!"

قال كارل: "آه.. بالطبع، وابتسم لها، إلا أنه لم يفهم كيف يمكنه أن يكون مسروراً، لأنه قد فصل من عمله ككص، وشعت عيناً تيريز بالفرح الخالص، كما لو لم يكن يهم مطلقاً، أن كان كارل قد ارتكب جريمة أولاً، ويستوى كذلك إن كان قد حوكم محاكمة عادلة أو ظالمة، ما دام قد أتيح له فقط أن يهرب خجلاً، أو فخوراً، ولقد كانت تيريز هي التي تسلك نحوه هذا السلوك، تيريز تلك المتشككة غاية التشكك في كل شيء يتعلق بها، فتقلبه في رأسها، وتتفحص لعدة أسابيع أية كلمة تحتتمل الشك، قد تقولها المدير، وفي تصميم حازم قال: "هل سترتبين أشياء في الصندوق، وترسلينه إلى في الحال؟"، وكان عليه على الرغم منه أن يهز رأسه في دهشة، فما أسرع أن التقت تيريز التضمينات التي توهمت أن سؤاله لها يتضمنها، وفي اقتناعها بوجود أشياء في ذلك الصندوق، لا يجب أن يراها أى شخص، لم تضع لهذا وقتاً ولو لمجرد أن تنظر إلى كارل، أو حتى تشد على يده، لكنها همست فقط: "بلا شك، يا كارل، في الحال، سوف أرتب الصندوق في هذه اللحظة ذاتها!"، واختفت! إلا أن جياكومو لم يستطع الآن أن يمنع نفسه أكثر من ذلك، وفي اضطرابه لطول انتظاره، صاح قائلاً: "روسمان، إن الرجل قد أثار مشاجرة في الممر، ورفض الخروج من الفندق!" إنهم يريدون أن يذهبوا به إلى المستشفى، إلا أنه يعترض على ذلك، ويقول أنك لن تدعهم

يأخذونه إليها، إنه يقول إن علينا أن نحضر تاكسيا، يقله إلى البيت، وأنتك ستدفع أجر التاكسى، فهل ستدفعه؟".!

قال رئيس السفرجية: "بيدو أن الرجل يعول عليك كثيراً! فهز كارل كتفيه، وأحصى نقوده فى كف جياكومو قائلاً: هذا هو كل ما معى!".!

قال جياكومو، وهو يشخشخ بالنقود: "إن على أن أسأل أيضاً إن كنت ستستقل التاكسى معه؟".!

فقال المدير: "لا، إنه لن يذهب!".

فقال رئيس السفرجية مسرعاً، دون أن ينتظر حتى يغادر جياكومو الحجرة:

حسناً يا روسمان، لقد فصلت الآن من هنا! وأطرق رئيس البوابين برأسه عدة مرات كما لو كانت تلك الكلمات كلماته هو، وليس رئيس السفرجية سوى الناطق بلسانه: "إن أسباب فصلك هى أسباب لا يمكننى أن أعلنها على الملأ، لأننى فى تلك الحالة سأضطر إلى أن أرسلك إلى السجن!".، ونظر رئيس البوابين فى وحشية شديدة نحو المدير، لأنه كان يعلم تماماً أنها كانت هى السبب فى تلك المعاملة البالغة الرقة: "والآن اذهب إلى بست، وبدل ملابسك وسلم إلى "بست" زيك هذا الذى ترتديه وغادر الفندق فى الحال، غادره فى الحال.

وأغلقت المديرية عينيها، وكأنها قد رغبت بذلك أن تؤكد لكارل ما قاله رئيس السفرجية، وعندما انحنى، وهم بالخروج من الحجرة، رأى رئيس السفرجية، ممسكاً بيد المديرية وقد راح يتحسسها مداعباً إياها خلسة، وأوصل رئيس البوابين كارل إلى باب الحجرة بخطوات ثقيلة، ولم يدعه يغلق بابها خلفه، بل أبقاه مفتوحاً، لكى يصيح خلفه قائلاً: "فى خلال ربع دقيقة، يجب عليك أن تمر بمكتبى، وأن تغادر الفندق، عن طريق الباب العمومى، فانتبه إلى هذا!".!

وأسرع كارل بأقصى سرعته، لكى يتجنب أى تكدير عند رحيله، إلا أن كل شىء سار على نحو أكثر بطئاً مما رغب، فلم يجد بست أولاً، وفى هذا الوقت، وقت تناول الإفطار كان الفندق يمتلأ بحشود هائلة من الناس، ثم ظهر أن صبيلاً آخر كان قد استعار بنطلون كارل القديم، وكان على كارل أن يفتش كل شماغات الملابس التى بجوار كل السرر تقريباً قبل أن يعثر على بنطلونه، وعلى هذا فقد انقضت خمس دقائق على الأقل، قبل أن يبلغ الباب العمومى، وأمامه مباشرة كانت إحدى السيدات تسير فى رفقة أربعة رجال، واتجهوا جميعاً نحو سيارة كبيرة كانت فى انتظارهم، وكان أحد الخدم يفتح الباب بينما فرد ذراعه الطليقة جانباً، فى محاذاة كتفه على امتدادها، وقد بدا ذلك وضعاً بالغ التأثير، إلا أن رغبة كارل فى أن يغادر الفندق دون أن لحظه أحد خلف هذه المجموعة الراقية من النزلاء راحت عبثاً، ذلك أن رئيس البوابين قد أمسكه من ذراعه، وسحبه إلى الخلف من وسط اثنين من السادة، بعد أن وجه إليهما كلمة اعتذار.

تساءل قائلاً وهو ينظر شزراً إلى كارل، كما لو كان يتفحص ساعة غير مضبوطة:

هل تعتبر هذه المدة ربع دقيقة؟! تعال هنا، أضاف هذا وهو يدفعه نحو مكتب رئيس البوابين الواسع الذى كان كارل متشوقاً فى وقت من الأوقات شوقاً زائداً إلى أن يتفحصه، إلا أنه قد شمل ذلك المكتب الذى دفعه الرجل إلى داخله دفعاً بنظرة ارتياب، وخلف الباب مباشرة، تملص، وحاول أن يدفع رئيس البوابين بعيداً، ويهرب.

قال رئيس البوابين: "لا.. لا.. إلى هنا، إلى الداخل!" وهو يدفعه ثانية إلى داخل الحجرة.

قال كارل : ولكننى قد طردت! وهو يعنى بذلك أن أحداً فى الفندق، لا حق له الآن فى أن يصدر إليه أى أوامر، فقال رئيس البوابين : طالما أنتى أقبض عليك، فأنتك لم تطرد بعد! وكان ما قاله حقاً بالفعل وبالإضافة إلى ذلك، فإن كارل لم يجد سبباً فعلياً لمقاومة رئيس البوابين، فما الذى عساه أن يحدث له فى نهاية الأمر، أكثر مما قد حدث له بالفعل؟ كما أن جدران المكتب، كانت أيضاً تتألف من ألواح هائلة من الزجاج، يمكنك من خلالها أن ترى تيارات الداخلين والخارجين من النزلاء فى البهو، بغاية الوضوح، كما أو كنت تقف بينهم، نعم، كان يبدو، وكأنه لا يوجد بالحجرة كلها أى زوايا أو أركان يمكن أن يختفى فيها كارل عن أعين هؤلاء الناس، ولا يهتم مدى السرعة التى كانوا يندفعون بها فى حركتهم خارج تلك الحجرة، حيث كانوا يحملون أمتعتهم فوق رؤوسهم بأذرعهم الممدودة إلى أعلى، ورؤوسهم المحنية، وعيونهم المحملقة، بهذه الصورة، كانوا يشقون طريقهم، وكان كل منهم لا يتمكن من أن يلقى نظرة إلا بصعوبة داخل حجرة رئيس البوابين، ذلك أن الإعلانات والأخبار كانت معلقة كلها خلف الألواح الزجاجية، تلك الإعلانات والأخبار التى كانت تهم نزلاء الفندق وموظفيه معاً، وقد كان البهو، ومكتب رئيس البوابين، بالإضافة إلى ذلك على اتصال مباشر ببعضهما ذلك أن اثنين من مساعدى رئيس البوابين كانا يجلسان إلى نافذتين هائلتين متحركتين، وكانا مشغولين دائماً فى توجيه المعلومات فى كافة الموضوعات، كان هذان الرجلان مثقلين حقاً بالعمل، وقد استطاع كارل أن يدرك ببصيرة نافذة، أن رئيس البوابين كان قد اخترع تلك الحيلة، على سبيل ترقية نفسه، كان هذان الرجلان اللذان يقومان بالرد على الاستفسارات- من الخارج لم يكن يسعك فى الحقيقة أن تتصور كيف كان يجرى عملهما - يتحدثان فى نفس الوقت إلى عشرة وجوه متسائلة أمام كل

منهما على الأقل، ومن هؤلاء العشرة، الذين كانوا يتغيرون باستمرار، كانت ترتفع دائماً ضجة مكونة من خليط مختلف من اللهجات، كما لو كان كل منهم مبعوثاً من دولة مختلفة، وكان يوجد دائماً عدد كبير منهم يستفسرون فى وقت واحد عن أشياء مختلفة بينما كان آخرون يتنافسون أيضاً، مع بعضهم البعض أكثرهم يريدون أن يودعوا شيئاً فى مكتب رئيس البوابين، أو يستردوا منه ودائع كانوا قد أودعوها فيه، ولهذا كنت ترى حركات الأيدي المتشابكة فى حركة عنيفة، وهى ترتفع من وسط الجمع، أو رجلاً لا يطيق صبراً فيتفحص جريدة كانت تنفرد فى الهواء للحظة، وهى تصفع الوجوه، كل هذا كان على مساعدى رئيس البوابين أن يتحملاه، لم يكن مجرد الكلام كافياً لأداء عملهما، كانا يثرثران، وكان أحدهما، بصفة خاصة، وهو رجل حزين، له لحية داكنة، تكاد تخفى كل وجهه، كان يوزع المعلومات، ويرد على الاستفسارات دون أن يتوقف لالتقاط أنفاسه ولم يكن لينظر إلى المكتب حيث كان يسلم- بلا توقف- عديداً من الأشياء إلى أصحابها خارج النافذة، ولا كان ينظر فى وجوه المتسائلين، بل ينظر أمامه مباشرة، نظرة لا تحيد، لكى يقتصد فى مجهوده على الأغلب، ويحتفظ بقواه، وكانت لحيته أحياناً ما تشارك فى توضيح ردوده، وفى أثناء الفترة القصيرة التى قضاها كارل بداخل تلك الحجرة، استطاع أن يتبين إلى حد ما بعضاً مما كان يقال، بقدر ما أمكنه ذلك، على الرغم من غموض الأساليب المختلفة لنطق اللغة الإنجليزية، وكان القليل مما سمعه أيضاً قد سمعه ببعض اللغات الأجنبية التى كانت تتطلبها اللحظة، وكان الاضطراب بالإضافة إلى ذلك هو السبب فى أن الجواب على أى سؤال من تلك الأسئلة كان ينطلق فى سرعة بالغة فى أعقاب الجواب الآخر، حتى أنه لم يكن من السهل تمييز تلك الإجابة من غيرها، ولهذا كان السائل يستمع فى انتباه

شديد، معتقداً أن إجابة سؤاله لم تكن قد انتهت بعد، دون أن يتمكن من أن يدرك فى اللحظة المناسبة أن إجابة سؤاله كانت قد انتهت، وكان عليك أن تعتاد على ما اعتاده مساعداً رئيس البوابين هذان فى عدم طلبهما من الجمهور إعادة أى سؤال، حتى ولو كان غامضاً فى نصه، طالما كان من الممكن الإحساس بالمقصود منه عامة، وعندئذ كان المساعد يأتى بحركة من رأسه لا تكاد تبين، معلناً بها أنه لن يجيب على هذا السؤال بصيغته الراهنة، وأن من شأن السائل أن يكتشف وجه النقص فى السؤال، وأن يعيد السؤال مرة أخرى فى صورة أكثر دقة، وكان هذا يتسبب فى تعطيل كثير من الناس لوقت طويل أمام نافذة الاستعلامات، وكان لكل من المساعدين هذين صبى صغير يعمل كساع خاص لمساعدته، كان عليه أن يندفع هنا وهناك ليحضر من خزانة ما، شيئاً يحتاجه المساعد، ويبحث كذلك عن الطلبات فى عدد من مختلف الدواليب الأخرى، كانت هذه الوظيفة من أكبر الوظائف أجراً، وإن كانت أيضاً من أشد الوظائف التى يحصل عليها صببية الفندق إرهاقاً فى العمل، وكان الصبية يجهدون أنفسهم إلى حد كبير فى تلك الوظيفة ويتكفون جهداً يتفوق كثيراً على جهد المساعدين اللذين لم يكن عليهما سوى أن يفكروا ويتحداً بينما كان على الصبية أن يفكروا وأن يهرولوا هنا وهناك لإحضار الطلبات فى وقت معاً، فلو حدث أن أحضر أحدهم شيئاً غير ما طلب منه إحضاره، فإن المساعد كان يضطر إلى أن يلقى عليه محاضرة طويلة، وبلطشة خفيفة من يده كان يطوح بالشىء الذى أحضره الصبى أرضاً، بعد أن يضعه الصبى على الطاولة التى أمام نافذة الاستعلامات، وكان تغيير نوبات عمل هؤلاء المساعدين أمراً شائقاً، وقد حدث بعد فترة قصيرة من دخول كارل إلى تلك الحجره، وكانت تلك التغييرات تحدث كثيراً فى خلال نوبات عمل النهار على الأقل، لأنه ربما لا

يتسنى لأى رجل فى هذه الدنيا أن يحتمل البقاء أمام طاولة نافذة الاستعلامات تلك أكثر من ساعة، وعند حلول لحظة الراحة يدق جرس ما، فيظهر فى الحال من خلال أحد الأبواب الجانبية، المساعدان اللذان حل دورهما الآن فى العمل، يتبع كل منهما الصبى المكلف بمساعدته فيجلسان عندئذ فى تكاسل إلى النافذتين، ويتأملان الناس الذين يقفون خارج النافذتين للحظة، حتى يمكنهما أن يكتشفا على وجه الدقة نوع الأسئلة التى عليهما أن يجيبا عنها، وعندما تبدو اللحظة مناسبة للاستفسار، كان القادم الجديد يربت على كتف المساعد الذى عليه أن يرد على أسئلته، فيجيبه فى الحال، على الرغم من أنه لا يكون قد ألقى مجرد نظرة إلى ما كان يجرى خلف ظهره، وغادر السائل مكانه، ويحدث هذا كله بغاية السرعة لدهشة الناس الذين يقفون فى الخارج، هؤلاء الذين كانوا ينزعجون عندما يفاجأون بشخص آخر غريب أمامهم فجأة، أما الرجلان اللذان تكون قد حلت نوبة راحتهما من العمل، فإنهما يمددان جسديهما ثم يصبان الماء فوق رأسيهما الملتهبين عند حوضين من أحواض الغسيل أعدا لهما، لكن لا يكون للصبيين اللذين يساعداهما أن يتمددا مثلهما على الفور، لأنهما يكونان مشغولين لبعض الوقت فى التقاط الأشياء المتناثرة، المختلفة التى تناثرت فى خلال نوبة عملهما، وإعادتها إلى مكانها السابق.

راقب كارل هذا كله بانتباه شديد، عن قرب، فى خلال بضع دقائق، ثم أصابه بعد ذلك صراع خفيف فتبع فى هدوء، رئيس البوابين الذى قاده إلى داخل الحجر، وكان رئيس البوابين قد لاحظ فى وضوح، التأثير العميق الذى تركه أسلوب ذلك العمل، فى الرد على استفسارات النزلاء، فقد لوح بذراعه فجأة قائلاً:

- هذه هي الطريقة التي يسير عليها العمل هنا كما ترى! ولم يكن كارل بلا شك عاطلاً في الفندق، إلا أنه لم تكن لديه فكرة عن هذا العمل، وتطلع أمامه، وقد نسي تماماً أن رئيس البوابين كان عدوه اللدود، وأطرق في إعجاب صامت، فبدأ هذا مرة أخرى لرئيس البوابين تقديراً زائداً للمساعدين، وتهيأ له أن في هذا شيء من التقليل من قدره، فصاح دون أن يحفل بأن الجميع كانوا يسمعون، محاولاً على ما يبدو أن يستغل سداجة كارل.

- إن العمل هنا هو بالطبع أكثر الأعمال غباء في الفندق بأكمله، ولا تحتاج لكى تقوم بهذا العمل سوى أن تستمع لمدة ساعة، لكى تعلم تماماً كل الأسئلة التى يمكن أن توجه إليك، أما ما عدا ذلك من الأسئلة فليس عليك أن ترد عليها مطلقاً، ولو لم تكن بمثل تلك الوقاحة، وسوء الطبع، ولو لم تكذب، وتتكاسل، وتعربد، وتسرق، فربما كنت وضعتك أمام إحدى هذه النوافذ، بما أنها وظيفة تناسب ذوى الرؤوس الصماء! وتجاهل كارل الإهانة التى وجهها إليه رئيس البوابين، فلقد كان الأخير فى حالة من السخط، بدأ له فيها العمل الشاق، الشريف الذى كان يقوم به المساعدان، شيئاً يمكن الاستهانة به، والسخرية منه، مع أنه - هو الذى يسخر من هذا العمل - لو خطر له أن يجازف بالجلوس إلى إحدى هاتين النافذتين، فسوف يكون هدفاً للسخرية فى خلال دقائق قليلة، ولتعين عليه أن يترك هذا العمل فى الحال لعجزه عن احتمال.

قال كارل، وكان اهتمامه بمكتب رئيس البوابين قد أشبع الآن للغاية:

- دعنى، فلست أرغب فى أن يربطنى بك أى شيء، أكثر من ذلك!

فقال رئيس البوابين، وهو يسحق ذراع كارل، حتى تخدرت، وهو يجره



إلى الطرف الآخر من المكتب، فهل تمكن الناس الذين فى الخارج أن يروا هذا التهديد، ولو كانوا قد لمحوه، فماذا كان ظنهم بما قد يترتب عليه، طالما أن أحداً منهم لم يعترض على ذلك، ولا دق آخر على الزجاج، لكى يلفت نظر رئيس البوابين إلى أنه يرقبه، وأنه ليس له - أمام كل هؤلاء الناس - أن يعامل كارل كما يحلو له؟ إلا أن كارل سرعان ما فقد الأمل فى تلقى أية معونة من هؤلاء الناس الذين يملأون ذلك البهو، فقد جذب رئيس البوابين أحد الحبال، فسقطت فى الحال فوق الألواح الزجاجية التى تغطى أحد جوانب حجرة المكتب ستائر سوداء، كانت تمتد من السقف إلى الأرض، بسرعة البرق، وفى هذا الجانب من المكتب كان يوجد أيضاً بعض الناس، إلا أنهم كانوا مشغولين بعملهم، بأقصى سرعة، فلم يكن يسعهم أن يروا أو يسمعوا أى شىء لا يتعلق بعملهم وكانوا هم أيضاً تبعون مباشرة رئيس البوابين، ولهذا كانوا على استعداد لإخفاء أى شىء ينوى رئيس البوابين أن يفعله، لقد كان هناك ستة من البوابين المساعدين يجلسون إلى ستة تليفونات، وكان نظام عملهم يتضح من النظرة الأولى، فقد كان واحد من كل اثنين، يدون المحادثات، ويعطى هذه المذكرات لزميله الذى يرسلها عن طريق تليفون آخر، وكانت أجهزة التليفونات حديثة الطراز، فلم تكن تلك الأجهزة فى حاجة إلى صناديق، ذلك لأن رنين جرس التليفون لم يكن يرتفع عن مجرد الذنبذة، وكان مجرد الهمس فى "المرسل" يتضخم بواسطة أجهزة كهربائية، حتى يبلغ الطرف الآخر من الخط التليفونى فى صوت كقصف الرعد، ولهذا السبب لم يكن المرء يكاد يسمع أصوات الرجال الثلاثة الذين كانوا يتحدثون فى التليفونات، وربما ظن المرء أنهم كانوا يهمسون لأنفسهم فى المرسل، بالحديث عن تفاصيل بعض الأحداث، بينما كان الثلاثة الآخرون

صامتين، وكأنما أسكتهم الصوت القاصف الذى كان يصلهم عن طريق السماعات التى كانوا يضعونها على آذانهم، على الرغم من أن أحداً سواهم لم يكن يسمع تلك الأصوات الراجعة مطلقاً، وكانوا مطرقين بروعوسهم على الأوراق التى كانوا يدنون عليها ملاحظتهم، وكان ثمة صبي يعمل كمساعد، هنا أيضاً، لكل من الرجال الثلاثة الذين كانوا يهمسون فى التليفونات، ولم يكن هؤلاء الصبية الثلاثة يفعلون شيئاً سوى أن يحنوا بالتناوب روعوسهم نحو رؤسائهم الثلاثة فى وضع تسمع لما قد يقولونه لهم، ثم يتحولون فى الحال إلى البحث- كما لو كانوا قد لدغوا لمجرد سماعهم بالأوامر الموجهة إليهم- عن أرقام بعض التليفونات فى دفاتر ضخمة صفراء، وكانت خشخشة تلك الكتل من الأوراق الكثيرة، تكتم فى سهولة أى صوت يصدر عن تلك التليفونات.

لم يستطع كارل أن يمنع نفسه عن مراقبة هذا كله، على الرغم من أن رئيس البوابين الذى كان قد جلس الآن، ظل ممسكاً بتلايبه، وكأنه يحتضنه.

قال رئيس البوابين، وهو يهز كارل، وكأنه يريد منه فقط أن يدير وجهه ناحيته لكى ينتبه إلى ما سوف يقوله: "إنه واجبى، فلو أن رئيس السفرجية أهمل فى ملاحظة إنجاز أى شىء، لأى سبب من الأسباب، معللاً إهماله، بانشغاله فى المشاركة فى إدارة الفندق، فإننى أقوم بالإشراف على إنجازه بأقصى ما يسعنى من الاهتمام، إننا نبذل أقصى جهدنا، لكى نساعد بعضنا بعضاً، فلو لم يطرد سير العمل على هذا النحو، فليس من الممكن أن يتصور المرء كيف تنسجم هذه الهيئة الهائلة التى تعمل فى أنحاء الفندق كله، وقد تقول أننى لست رئيسك المباشر، حسنا، وأنا أقول لك بدورى أنه

يتساوى لدى أن أضطلع بعملى أو بأى أعمال أخرى قد يهملها الآخرون، وبالإضافة إلى ذلك، فإننى كرئيس للبوابين، أعد بصورة ما، أهم من أى شخص آخر هنا، لأننى المكلف بحراسة جميع أبواب الفندق، هذا الباب العمومى، والأبواب الوسطى الثلاثة، ولا داعى لذكر باقى الأبواب الأخرى التى لا حصر لها، والفتحات التى لا أبواب لها، وبالطبع يتعين على جميع أفراد طاقم الخدمة الذين يصلهم عملهم بى، أن يطيعوا أوامرى، طاعة تامة، ولى بالإضافة إلى هذا أيضاً تصريح من إدارة الفندق، بالأدع أى شخص - يثير مظهره أدنى ريبة - يخرج من باب الفندق، وأنتك بالتحديد، الشخص الذى يثير ارتياحى، والذى يبدو مريباً للغاية بصفة عامة، كان فرحاً جداً بنفسه، حتى لقد رفع يده، ونزل بها فى خبطة موجهة على كارل، وأضاف قائلاً: "وقد بلغ به الفرح بنفسه حدّاً حسب نفسه معه ملكاً من الملوك" من المستحيل أن تخرج من الفندق، عن طريق أى باب من الأبواب الأخرى، وإننى لم أكلف نفسى بالطبع مشقة إصدار أية أوامر بخصوصك، وحيث أنك الآن أمامى هنا، فسوف أصفى كل حسابى معك، إننى لم أشك مطلقاً فى أنك ستحرص على لقائنا هنا عند الباب العمومى، فمن القواعد الثابتة أن الأشخاص الوقحين، المشاغبين، يبدون فى ثوب الفضيلة عندما يتضح لهم أنهم على وشك أن يواجهوا نتائج أعمالهم، ولا شك أنك ستتمكن من ملاحظة ذلك، ملاحظة كافية، من خلال تجربتك الشخصية!".

قال كارل، وهو يستنشق الرائحة الغريبة المثيرة، التى كانت تقوح من رئس البوابين، والتى لم يلاحظها، حتى أتيح له أن يقف ملتصقاً به على هذا النحو، تلك الفترة الطويلة: "لا تتصور أننى تحت رحمتك تماماً، لأننى أستطيع أن أصرخ!".

فقال رئيس البوابين، بغاية الهدوء والسرعة، التى ربما كان قد اعتاد أن

يصطنعها كلما دعتة الحاجة إلى ذلك" : وفى استطاعتى أن أحرص صوتك! هل تظن حقيقة، إذا تسببت بصراخك فى إحضار أى شخص إلى داخل هذا المكتب، أن تجد شخصاً واحداً يمكن أن يصدق كلمة واحدة مما قد تقوله ضدى، ضد رئيس البوابين؟ يمكنك الآن أن ترى أى آمال حمقاء، تلك التى تأملها! ودعنى أخبرك، بأنك كنت تبدو شخصاً محترماً عندما كنت ترتدى زى الفندق، لكنك الآن فى ملابسك هذه، التى لايمكن أن تصنع إلا فى أوروبا! وجذب كارل من ملابسه التى كانت تبدو- مع أنها كانت جديدة تماماً منذ خمسة أشهر فقط- رثة، ومتكرمشة وملوثة أيضاً، بسبب إهمال صبية المصاعد، الذين كان يتعين عليهم طبقاً للتعليمات العامة أن يحتفظوا بنظافة أرضية عنبر نومهم، وتلميعها، وإزالة الأتربة التى تغطيها، لكنهم كانوا لتكاسلهم، وبدلاً من يقوموا بتنظيفها كما ينبغى، كانوا يلطخون تلك الأرضية كل يوم بمختلف أنواع الزيوت، ويلطخون أيضاً جميع الملابس المعلقة فوق المشاجب، وكان فى مقدور كل منهم أن يلقى بملابس الآخر حيث يشاء، وكان هناك من لا يستعمل ملابسه الخاصة، لكنه لا يخطئ فى العثور على ملابس جاره المخبأة، وسرعان ما يستعيروها فى الحال، كان هذا الصبى، هو الذى كان عليه الدور فى تنظيف عنبر النوم، اليوم، ولهذا فلم تكن ملابس كارل ملطخة فقط بالبقع الزيتية، بل كانت غارقة فيها بالفعل من أعلاها إلى أسفلها، وكان رينيل هو الشخص الوحيد الذى كان قد اكتشف مكاناً سرياً، كان يخفى فيه ملابسه الغالية، فكان من الصعب اكتشافها واكتشاف مكانها، ولم يكن الخبث أو البخل الذى يدفع الصبية إلى استعارة الملابس، لكن كان يدفعهم إلى ذلك، التعجل والإهمال، فقد كانوا يرتدون، فى بساطة، أى ملابس يتصادف وجودها أمامهم، وكانت بدلة رينيل قد

أصابها بقعة حمراء مستديرة، من الزيت، فى وسط الظهر، وكان من السهل فى المدينة، أن تدرك العين الخبيرة فى وضوح، من تلك البقعة، أن ذلك المتألق الصغير المختال بنفسه، ليس سوى صبى مصعد فى نهاية الأمر. وعندما تذكر كارل هذا كله، قال لنفسه إنه قد عانى ما فيه الكفاية فى عمله كصبى مصعد، وكانت معاناته تلك، قد ضاعت عبثاً كلها، لأن وظيفته لم تساعده، كما كان يأمل على أن يتقدم خطوة إلى الأمام، بل لقد جرت به بدلاً من ذلك، إلى وضع أشد بؤساً من وضعه الأول، ولقد أوشكت فوق هذا كله أن تؤدى به إلى السجن، وكان لا يزال علاوة على هذا، فى قبضة رئيس البوابين، الذى كان بلا شك، يبحث عن الوسيلة التى تتيح له أن يهينه أقصى إهانة ممكنة، فصاح كارل، ناسياً تماماً أن رئيس البوابين، هو آخر شخص يمكنه أن يحتكم إلى العقل، ضارباً جبهته عدة مرات، بيده الطليقة: "وحتى لو فرضنا أننى قد مررت بك دون أن أوجه إليك التحية، فكيف يمكن لرجل ناضج مثلك، أن تبلغ به الرغبة فى الانتقام، إلى هذا الحد من العنف، لمثل هذا الإهمال البسيط؟!"

قال رئيس البوابين: "لا رغبة لدى فى الانتقام، ولكننى أربغ فقط فى تفتيش جيوبك، وتأكد، من أننى مقتنع تمام الاقتناع، بأننى لن أعرثر فيها على أى شىء، لأنك ربما كنت حذراً فسلمت كل شىء إلى صديقك أولاً بأول، شيئاً فشيئاً كل يوم، لكن لا بد من تفتيشك مع ذلك!"

ودفع يده داخل أحد جيوب معطف كارل، بغاية العنف، حتى لقد تفتقت الخياطة الجانبية للجيب، وقال: "إذن فلا شىء هنا"، وراح يقلب فى يده الأشياء التى وجدها بداخل الجيب، وكانت تتألف من نتيجة جيب يصدرها الفندق، وقطعة من الورق عليها تمرين فى المعاملات التجارية، وبضعة من أزرار المعطف، والبنطلون وبطاقة المدير، ومبرد أظافر، ألقاه إليه أحد

النزلاء عندما قام بتعبئة صندوق ملبسه، ومرأة جيب قديمة، كان رينيل قد أعطاه أياها، كهدية لقيامه بعمله حوالى عشر مرات متتالية، وبعض الأشياء التافهة الأخرى، قال رئيس البواب ثانية، وهو يلقي بها جميعاً تحت المنضدة، كما لو كان ذلك المكان، هو المكان المناسب لكل ما يحمله كارل من أشياء، ولو اتضح أنها لم تكن مسروقة: "إذن فلا شىء هنا!".

قال كارل فى نفسه، ولا بد أن وجهه كان قد تضرج: "هذه هى القشة الأخيرة"!، وبينما كان رئيس البوابين قد انتقل إلى تفتيش جيبه الآخر فى لهفة، فاندفع كارل مخلصاً كم قميصه من قبضة الرجل، فى حركة مفاجئة، وارتطم بأحد مساعدى البوابين، فى قفزته العشوائية الأولى، فطرح الرجل فى عنف، على تليفونه، واندفع يجرى فى الحجرة المكتظة بالأشياء المختلفة، نحو الباب، فى سرعة ليست خارقة، فى الحقيقة، كما كان يود، لكن فى سرعة كانت كافية لخروجه من الحجرة قبل أن يتمكن رئيس البوابين من أن ينهض من مكانه بمعطفه الثقيل، ولم يكن نظام الفندق بالغ الدقة، ولقد دقت بضعة أجراس، هذا حق، إلا أن السماء وحدها كانت تعلم لأى غرض دقت تلك الأجراس؟ وكان بعض موظفى الفندق قد اندفعوا نحو المدخل فى هذا الاتجاه، وفى ذلك، فى أعداد كبيرة، حتى كان للمرء أن يظن أنهم قد عزموا على ألا يسمحوا مطلقاً لأى شخص بالخروج من الفندق، وقد كان من الصعب التحكم فى حركة الدخول والخروج لشدة الزحام، ورغم ذلك، فسرعان ما أصبح كارل فى الخارج، إلا أنه ظل واقفاً أمام الفندق، لأن سيلا لا ينقطع تدفقه من السيارات كان يتحرك فى ببطء أمام مدخل الفندق، فلم يتمكن كارل من أن يبلغ الشارع، وكانت السيارات التى كانت تتأهب للانطلاق إلى الأمام، تلامس بعضها بعضاً بالفعل، وتدفع بعضها إلى الأمام، وكان ثمة من يحاول أن يعبر الطريق هنا وهناك فى عجلة، ومن ثم

يلقى بنفسه داخل أقرب عربة، كما لو كانت تلك العربات وسائل عامة لعبور الشارع، دون أن يعبأ مطلقاً بما إذا كان بداخلها سائق أو اثنين فقط من الخدم، أو مجموعة من السادة، كان يبدو هذا السلوك في رأى كارل سلوكاً يتصف بالصلف، ورأى أن على المرء أن يكون واثقاً تماماً لكى يغامر مثل تلك المغامرة، وربما ألقى بنفسه داخل عربة يتفق أن يستاء ركبوها لسلوكه، فيلقون به خارجها، وقد يحدث شجار بينهم، على أن شيئاً لم يكن ليشغل بال كارل أكثر مما قد حدث له حتى الآن، وما الذى يمكن أن يشغل بال صبي مصعد بائس ومشبوه مثله، وفوق هذا، فإن صف العربات لا يمكن أن يستمر فى تدفقه إلى الأبد، وطالما ظل بالقرب من الفندق، طالما أبعد ذلك عنه نظرات الارتياب، حتى بلغ أخيراً، مكاناً لم يكن صف العربات قد انقطع فيه تماماً، لكنه كان قد استدار مبتعداً فى وسط الشارع، كما ابتعدت العربات قليلاً عن بعضها البعض، وكان على وشك أن ينسل من خلال حركة المرور التى كانت قد هدأت الآن فى الشارع، عندما لفت نظره وجود أشخاص أشد منه إثارة للريبة، وربما كانوا قد أطلق سراحهم حديثاً، ثم سمع من يدعو باسمه، من مكان قريب، فاستدار، ولىح فى مدخل باب صغير منخفض، كان يبدو أشبه بمدخل إلى قبو، اثنان من عمال المصاعد، كان يعرفهما جيداً، كانا يرفعان، وقد نال منهما الإجهاد، نقالة، يستلقى فوقها- كما أردك الآن- روبنسون، وكانت رأسه، ووجهه، وذراعاها، مربوطة كلها بالضمادات الكثيفة، وقد فزع عندما رآه وهو يرفع يديه إلى عينيه ليمسح دموعه بطرف الضمادات، دموع الألم، أو الأسى، أو لعلها أن تكون دموع الفرح لعثوره ثانية على كارل.

صاح قائلاً فى عتاب: "روسمان، لماذا تركتني انتظر طول هذا الوقت، لقد ظلمت ساعة كاملة، أصارعهما لكى أمنعهما من الذهاب بى، قبل أن

تصل، إن هذين الشخصين- ولطم أحد الصبيين على رأسه، كما لو كانت ضماداته تحميه من أن يتلقى منه لكمة رداً على لطمته تلك له- "هما شيطانان بالفعل"!، أه يا روسمان لقد كان على أن أدفع غالباً ثمن هذه الزيارة"!، قال كارل، وهو يتقدم نحو المحفة التي وضعها الصبيان على الأرض، لكي يستريحاً قليلاً: لماذا، ماذا فعلاً بك!.

فتأوه روبنسون قائلاً: "أتسأل هذا السؤال، بينما ترى حالتي، تأمل منظري، يبدو أنهم قد أصابوني بالعرج الذى سيلازمنى طوال حياتي، إننى أعانى ألماً فظيعة من هنا إلى أسفل، حتى هنا- وأشار أولاً إلى رأسه، ثم إلى أصابع قدميه- ولقد كنت أريدك فقط أن ترى كيف كان ينزف أنفى، أن صديريتي قد تلفت تماماً، ولقد اضطررت إلى أن أطوح بها خلفي أيضاً، وينظرونى أصبح خرقه مهلهلة، إننى الآن فى سروالى الداخلى"، ورفع البطانية قليلاً، وطلب من كارل أن ينظر تحتها، "فما هو مصيرى بحق الجحيم؟ إننى سوف أرقد فى فراشى لعدة شهور على الأقل، ولعلنى أقول لك الآن، إنه لا يوجد أحد ليعنى بتمريضى سواك، إن ديلامارش قليل الصبر جداً، فلا تتركنى يا روسمان"!، ومد روبنسون ذراعه إلى كارل الذى تباعد عنه، آملاً أن يحظى بعطفه، عن طريق مداعبته له: "لماذا حضرت يا كارل، ردد روبنسون ذلك عدداً من المرات، لكى يذكر كارل، بأنه كان مسئولاً إلى حد ما عما لاقاه من سوء، ولم يتطلب الحال من كارل سوى دقيقة واحدة لكى يتبين أن عويل روبنسون لم يكن بسبب جراحه، لكن كان سببه وخمة السكر المرهقة التى كان لايزال يعانى منها، لأنه بعد أن استغرق فى النوم، ثملاً حتى الموت، كان قد أوقف، ليجد اللطمات لدهشته تنهال عليه فى وحشية، حتى أفقدته كل شعوره بالواقع، وكان من الممكن تبين طبيعة



جروحه البسيطة من الخرق القديمة التي استعملت كضمادات، والتي كان صبية المصاعد، قد ربطوا جروحه بها، على سبيل المزاح، لفة بعد لفة، فى شىء من المبالغة، وكان الصبيان اللذان وقفوا على كلا جانبي المحفة قد استغرقوا فى نوبات من الضحك، إلا أن هذا لم يكن هو المكان المناسب لإعادة روبنسون إلى وعيه، فقد كان الناس يتدفقون حولهم، دون أن يلقوا بالا إليهم، ولا إلى المحفة، وكثيراً ما كان بعض الأشخاص يتخطون روبنسون فى قفزات بارعة، بينما ظل سائق التاكسى، الذى كان كارل قد دفع أجره، يصيح قائلاً: "هيا.. هيا!"، واستجمع صبيا المصعد قوتهما، ورفعوا المحفة، وأمسك روبنسون بيد كارل فى مداهنة: "هيا معنا، هيا!"، وعندما تذكر كارل ذلك الشخص الذى كان قد فر من بين يديه الآن! أليس من الممكن أن يأويه ظلام التاكسى بعيداً عن الأنظار؟ وهكذا ألقى كارل بنفسه إلى جوار روبنسون، الذى أسند رأسه على كتفه، وشد الصبيان على يد كارل فى حرارة، من خلال نافذة التاكسى، وهما يودعان زميلاً لهما، قضى معهما فترة من الوقت، واستدار التاكسى فى دائرة حادة، إلى الطريق العمومى، وبدا وكأن حادثه ما لا بد أن تقع، إلا أن سيل المرور المتدفق المختلط، ذاب فى بعضه البعض، وذاب فيه كذلك اندفاع عربتهما كاندفاع السهم، إلى الأمام.

## الفصل السابع

### مأوى

بدا الشارع الذى توقف فيه التاكسى شارعاً من شوارع إحدى الضواحي المنعزلة، فقد كان كل شىء هادئاً، وكان الأطفال يجلسون فوق حافة الرصيف، وثمة رجل يحمل فوق كتفه كومة من الملابس القديمة، كان واقفاً ينظر فى إمعان إلى نوافذ المنزل التى كانت تعلوه، وراح ينادى على بضاعته، وكان كارل مجهداً غاية الإجهاد، حتى لقد شعر بوعكة عند هبوطه من السيارة إلى أسفل الشارع، الذى كان دافئاً، ومتألّقاً تحت أشعة شمس الصباح.

وهتف قائلاً لروبنسون الذى كان يجلس بداخل التاكسى: "هل تسكن هنا حقيقة؟!"

وهمهم روبنسون الذى كان قد استغرق فى النوم خلال الرحلة كلها، مؤكداً بكلمات غامضة، وبدا عليه وكأنه كان ينتظر من كارل أن يحمله إلى خارج التاكسى.

قال كارل: "إذن فأنت لا تحتاج إلى بعد ذلك، وداعاً! وهم بالسير، نحو منحدر الشارع.

فصاح روبنسون، وقد انزعج انزعاجاً بالغاً، حتى لقد قام واقفاً فى داخل التاكسى، إلا أن ركبتيه كانت ترتجفان: "لكن يا كارل إلى أين تذهب بحق الجحيم؟!"

قال كارل، وهو يلاحظ تحسن روبنسون السريع: "على أن أذهب الآن!". فتساءل روبنسون قائلاً: "وليس عليك فقط سوى قميصك"، فأجاب كارل قائلاً: "سأتمكن في الحال من أن أشتري لنفسى جاكته"، وأوماً مؤكداً ذلك لروبينسون، ورفع له يده مودعاً، وهم بالسير فى عزم، إلا أن السائق ناداه لحظتها قائلاً: "دقيقة واحدة يا سيدى!".

واتضح لسوء الحظ أن الرجل يطالبه ببقية الأجر، فى مقابل الوقت الذى انفقته فى الانتظار أمام الفندق.

وصاح روبنسون من داخل التاكسى، مؤيداً حق السائق فى طلبه: "بالطبع، لقد أرغمتنى على انتظارك تلك الفترة الطويلة هناك، ولا بد لك أن تعطيه شيئاً علاوة على ما تقاضاه!".

وقال سائق التاكسى: "نعم، إن الأمر كذلك!"

فقال كارل: "نعم، فقط لو كان معى أى نقود لكى أعطيها لك" وراح يبحث فى جيوب بنطلونه، مع أنه كان يعلم أنه لن يجد شيئاً فيها.

فقال سائق التاكسى، وهو يقف أمام كارل: "ليس أمامى سواك لكى أطلبه ببقية أجرى، ولا يمكننى أن أطلب شيئاً من رجل مريض!".

وخرج صبى صغير، له أنف متاكل من باب أحد المنازل، واقترب ووقف على بعد بضع خطوات قليلة وراح يستمع إلى ما يقال، وأحنى أحد رجال الشرطة فى أثناء مروره بهما، رأسه، وتفحص الشخص الذى يرتدى القميص، ثم توقف بجواره.

وأخطأ روبنسون الذى كان لاحظ الشرطى، بالصياح نحوه، من نافذة التاكسى الأخرى، قائلاً: "لا شىء فى الأمر، لا شىء"، كما لو كان الشرطى شخصاً يمكن التخلص منه كذباة، وتركز انتباه الأطفال الذين كانوا يرقبون

الشرطى فى البداية، أخيراً على كارل، وعلى سائق التاكسى، واندفعوا جرياً نحوهما، وعند مدخل أحد الأبواب فى الجانب الآخر من الشارع توقفت امرأة عجوز ببلادة، وراحت تحمق فى الجميع.

وصاح صوت ما من أعلى قائلاً: "روسمان!"، كان صوت ديلامارش، الذى كان يقف فى شرفة الطابق الأعلى، وكان من الصعب رؤيته بالتطلع إلى أعلى نحو السماء الزرقاء الشاحبة، لكنه كان يرتدى روبا منزلياً، بدا واضحاً، وكان ينظر إلى الشارع من خلال نظارة من نظارات الأوبرا، وبجانبه كانت توجد شمسية حمراء كبيرة، كانت ثمة سيدة تبدو جالسة تحتها، وصاح ديلامارش بأعلى صوته، لكى يسمعه كارل: "هالو هل روبنسون هنالك أيضاً؟".

فأجابه كارل قائلاً: "نعم، ها هو!" كان كارل قد تشجع للحظة، وصاح روبنسون من داخل التاكسى فى صوت أكثر ارتفاعاً: "نعم، هأنذا!"، فصاح ديلامارش قائلاً: "هالو!"، سوف أهبط إليكما حالاً!

ومال روبنسون خارج التاكسى، قائلاً: "ها هو ذا رجل!"، كان يوجه هذا المديح لديلامارش، إلى كارل، وإلى سائق التاكسى، وإلى الشرطى، وإلى كل من يهमे سماع ذلك، ونهض كيان ضخم، فى الشرفة العليا، حيث ظلوا يتطلعون جميعاً، مع أن ديلامارش كان قد غادرها لحظتها، واتضح أنها كانت امرأة بالفعل، وقفت تحت الشمسية، كانت ترتدى رداءً فضفاضاً أحمر اللون، ورفعت منظار الأوبرا من على إفريز الشرفة، وراحت تتطلع من خلاله إلى الناس الذين تجمعوا فى الشارع حول التاكسى، وبدا هؤلاء يحولون أنظارهم عنها، فى بء، وتطلع كارل إلى باب المنزل حيث يتوقع أن يظهر منه ديلامارش، ثم تطلع داخله الفناء الداخلى، الذى كان يعبره طابور لا يكاد ينقطع من العمال، كان كل منهم يحمل صندوقاً صغيراً فوق كتفه، لكنه

كان ثقیلاً فیما یبدو، وكان سائق التاكسى قد تقدم نحو عربته، واستغل الوقت فى تلميع مصابيحها بخرقة قديمة، وأحس روبنسون بدهشة بالغة لتحسن أطرافه جميعاً، فعلى الرغم من فحصه الدقيق لها، لم يستطع أن يحس إلا ببعض الآلام الخفيفة، ثم انحنى عندئذ، وراح يفك فى حذر أحد الأربطة الثقيلة التى كانت تلتف حول ساقه، ورفع الشرطى عصاه السوداء فى وضع مائل أمامه، وانتظر فى هدوء، بذلك الصبر العميق الذى يتصف به رجال الشرطة، سواء كانوا فى واجبه العادى، أو فى نوبة حراستهم، وجلس الصبى ذو الأنف المتاكل، فوق عتبة أحد الأبواب، ومدد ساقه أمامه، وزحف الأطفال الباقون نحو كارل، مسافة أخرى قصيرة، فقد بدا لهم لحظتها أكثر الموجودين جميعاً فى الأهمية، لقميصه الأزرق، مع أنه لم يلق بالآ إليهم.

وكان فى استطاعة المرء، فى الفترة التى انقضت قبل وصول ديلا مارش أن يقدر ارتفاع المنزل، ووصل ديلا مارش فى عجلة شديدة، وتوقف لحظة فقط لكى يحكم الرباط حول رويه، صاح قائلاً: "هذا أنت إنن"، وكانت لهجته تجمع بين المرح والقسوة، وفى كل خطوة كان يخطوها كانت تبدو من تحت الروب ببجامة ذات الألوان الفاقعة، ولم يفهم كارل كيف كان ديلا مارش يتجول فى هذا الزى المنزلى فى شوارع المدينة، وفى هذا المسكن الضخم، وفى الشارع العمومى، كما لو كان يتجول فى فيلته الخاصة، وكان ثمة تغير كبير كان قد طرأ على ديلا مارش، كما طرأ تغير كبير كذلك على روبنسون، وكان وجه ديلا مارش الأسمر الحليق، البالغ النظافة، باستدارة عضلاته الخشنة، يوحى بالاعتزاز، وبالاحترام، وكان لمعان عينيه القاسيتين، اللتين كان قد أغلقهما قليلاً، يشع بنظرة مفزعة.. وكان رويه المنزلى البنفسجى

اللون يبدو قديماً بلا شك، وممتلئاً بالبقع، وكان يبدو واسعاً عليه كذلك، لكن كان يبرز أيضاً من تحت هذا الروب القذر، عند العنق، طيات ربطة عنق هائلة من الحرير السميك، الداكن اللون.

تساءل، وهو يوجه حديثه إلى الجميع: "حسناً؟"، وتقدم الشرطى قليلاً نحوه، وانحنى على السيارة، وتطوع كارل بتقديم تفسير متعصب للموقف قائلاً:

"إن روبنسون خائر القوى إلى حد ما، إلا أن فى وسعه أن يصعد السلالم بسهولة لو حاول ذلك، أما هذا السائق، فإنه يطلب شيئاً علاوة على الأجر الذى نقدته اياه بالفعل، أما أنا فراحل الآن، وداعاً!".

قال ديلامارش: "إنك لن ترحل!".

وأعلن روبنسون من داخل التاكسى، قائلاً: "هذا ما قلته له أنا أيضاً!". وقال كارل، وهو يخطو بضع خطوات قليلة إلى الأمام: "إلا أننى سأرحل رغم ذلك!".

وكان ديلامارش قد أصبح عندئذ بجانبه، فأمسك به، وجذبه إلى الخلف بشدة، وصاح فيه قائلاً: "ولكننى أقول إنك ستبقى هنا!".

فقال له كارل: "دعنى!، وحاول أن يتخلص منه، مستخدماً قبضتيه، عند اللزوم، ولم يكن لديه سوى قليل من الأمل فى التغلب على رجل مثل ديلامارش، إلا أن الشرطى، كان يقف بجوارهما، كما كان يقف سائق التاكسى أيضاً، ولم يكن الشارع خال كذلك من الناس، كانت تلك المجموعات من العمال تعبره، فهل يتقاضى كل هؤلاء، ويتجاهولونه، لو حدث أن أساء إليه ديلامارش الآن؟ إنه لا يرغب فى أن يصبح وحيداً مع ديلامارش فى حجرة واحدة، فلماذا يترك الآن هذه الفرصة تفلت منه، لكى يتخلص من ديلامارش؟ كان ديلامارش يدفع الآن للسائق ما طلبه فى هدوء،

ووضع ذلك السائق تلك الزيادة التي لم يكن يستحقها، فى جيبيه، بكثير من الانحناءات التي انحناها أمام ديلامارش، وزيادة فى الامتنان، اتجه نحو روبنسون، وراح ينصحه بأفضل الوسائل للخروج من التاكسى، وأحس كارل بأن أحداً لا يلاحظه، وأن ديلامارش ربما لن يهتم لو انسل هارباً فى تلك اللحظة، وكان يريد أن يتجنب أية مشاجرة معه، أن استطاع أن يتجنبها، ولهذا انسل نحو الطريق محاولاً أن يسرع بالهرب، إلا أن ديلامارش لم يكن فى حاجة إلى التدخل، ذلك لأن الشرطى كان قد رفع عصاه لحظتها، ودفعها فى الهواء إلى الأمام، قائلاً: "قف!".

وئساع، وهو يدفع عصاه تحت إبطه، وشرع فى انتزاع مفكرة من جيبيه ببطء قائلاً لكارل: "ما اسمك؟".

وتطلع إليه الآن، فى إمعان للمرة الأولى، كان رجلاً متين البنيان، إلا أن شعره كان يغلب عليه البياض أجا به كارل قائلاً: "كارل روسمان!". وردد رجل البوليس ما قاله كارل، لا شك لأنه كان رجلاً هادئاً، ومدققاً فى تقصى الحقائق: "روسمان"، إلا أن كارل الذى كان يواجه الآن البوليس الأمريكى لأول مرة، لاحظ فى تكراره للكلمات التي كان يجيبه بها، شيئاً من الارتياب، وربما كان وضعه فى الحقيقة وضعاً مزعزماً، ذلك أن روبنسون، على الرغم من انشغاله البالغ بمشكلة خروجه من التاكسى، كان يتوسل من داخل السيارة إلى ديلامارش فى حركات خرساء، يرجوه بها أن يهرع لمساعدة كارل، إلا أن ديلامارش أبى أن يستجيب إليه بهزة سريعة لا مبالية من رأسه، وتطلع أمامه، دون أن يأتى بأدنى حركة، وقد وضع يده فى داخل جيبي رويه الكبيرين.

وشرح الصبى الذى كان قد جلس على عتبة الباب، لامرأة كانت قد

خرجت لحظتها من ذلك المنزل، تفاصيل الموقف كله منذ بدايته، وتوقف الأطفال في نصف دائرة خلف كارل، وراحوا يتطلعون في صمت إلى الشرطي.

قال الشرطي لكارل: "أرني الأوراق التي تثبت شخصيتك؟"، قد يكون هذا مجرد سؤال رسمي، ذلك أن المرء بلا جاكته، لم يكن بالطبع ليحمل في جيوبه بنطلونه شيئاً من الأوراق الرسمية التي تثبت شخصية، ولهذا ظل كارل صامتاً، وكان قد قرر بينه وبين نفسه أن يجيب على السؤال التالي إجابة وافية، وإذا أمكنه، فسوف يفسر عندئذ أيضاً عدم وجود تلك الأوراق الرسمية التي تثبت شخصيته، معه الآن.

إلا أن السؤال التالي كان: "إذن فأنت لا تحمل ما يثبت شخصيتك؟!"

وكان على كارل أن يجيب بقوله: "ليست معي الآن!"

فقال الشرطي: "لكن هذا أمر سيء!"، وراح يتطلع حوله، وهو مستغرق في التفكير، بينما كان ينقر بأصبعه على غلاف مفكرته ثم تساءل أخيراً:  
هل لك وظيفة؟!

قال كارل: "كنت أعمل صبي مصعد!"

كنت تعمل صبي مصعد، وعلى هذا فلا عمل لك الآن! وفي هذه الحالة فما الذي تعتمد عليه في معيشتك؟"

سأبحث عن عمل آخر!

هكذا، فهل فصلت إذن لتوك؟!

نعم، منذ ساعة فقط!

فجأة؟!

قال كارل: "نعم"، ورفع يده، كما لو كان يعتذر عن ذلك، لم يكن يمكنه أن يسرد القصة كاملة هنا، وحتى لو أمكنه ذلك، فقد كان واضحاً أنه لا



جدوى من الاعتقاد بإمكان تجنب الألم الذى قد يعاوده، لو تعرض ثانية لسرد الإساءات التى كان قد عانى مرارتها لتوه، وإذا كان لم يتمكن من أن يحصل على رد اعتباره عندما أعلنت المديرية عطفها نحوه، وواجهها رئيس السفرجية برأيه فى الموقف، فليس له بلا شك أن يأمل فى أن يحصل على ما فاته هنا، فى هذا الشارع، ومن هذا الحشد الذى تجمع حوله الآن!.

وتسأل الشرطى قائلاً: "وهل فصلت دون أن تتمكن من الحصول على جاكنتك؟".!

فقال كارل: "نعم!، وهكذا فى أمريكا أيضاً، من طبع السلطات أن تتسأل عما يتراعى لها، وأن توجه ما يحلو لها من الأسئلة" !كم كان سخط والده، على تلك الأسئلة العقيمة التى راح الموظفون يوجهونها إليه عندما كان يستخرج جواز سفر كارل!، وأحس كارل بالرغبة فى أن يجرى، ويختبئ فى مكان ما، لكى يتحاشى فقط الإجابة على المزيد من تلك الأسئلة، لكن الشرطى وجه إليه لحظتها، نفس السؤال الذى كان كارل يخشى أن يوجهه إليه أكثر مما كان يخشى أن يسأله عن أى شىء آخر، ذلك السؤال الذى كان كارل يتوقع سماعه فى قلق من ذلك الشرطى، حتى إنه ربما يكون قد سلك سلوكاً أقل حذراً بسبب قلقه ذاك، وما كان ينبغى له أن يسلكه، وربما يكون سلوكه المضطرب ذاك الذى لا يدرى كنهه على التحديد، هو الذى عجل بتوجيه هذا السؤال إليه.

أطرق كارل برأسه إلى أسفل، ولم يجب، كان هذا هو آخر سؤال يمكنه الإجابة عليه، ولم يكن يرغب أن يصحبه الشرطى ثانية إلى الفندق الغربى، ليبدأ هناك فى الاستفسار عن الحكاية بأكملها، ذلك الاستفسار الذى سيشارك فى الإجابة عليه كل أصدقائه وأعدائه، وتنهار كذلك بقية ثقة

المديرة فيه، انهياراً تاماً، بعد أن يتضح لها أن الصبي الذى كانت تظنه الآن فى بنسيون برنير، قد جاءها فى حراسة الشرطة، فى قميصه فقط، وبدون البطاقة الخاصة التى كانت قد اعتطها له، ولعل رئيس السفرجية أن يطرُق عندئذ أطراقة تشير إلى إدراكه لهذا كله، وقد يصرح رئيس البوابين بأن يد الله لم تقلت ذلك الشرير فى النهاية.

قال ديلامارش، وهو يخطو نحو الشرطى "لقد كان يعمل فى الفندق الغربى"، وصاح كارل قائلاً: "لا! وراح يدق الأرض بقدمه قائلاً: ليس هذا صحيحاً!" ونظر إليه ديلامارش، وهو يطم شفتيه فى سخرية، كما لو كانت لديه أسرار عديدة يمكنه أن يفشيها، وأثار اضطراب كارل الذى لم يكن متوقعاً، الأطفال الذين تجمعوا خلفه إثارة بالغة، فاصطفوا جميعاً بجوار ديلامارش لكى يتمكنوا من رؤية كارل جيداً، وأخرج روبنسون رأسه تماماً، خارج التاكسى وظل ساكناً تماماً، حتى أنه لم يأت بأدى حركة فيما عدا حركة جفنيه التلقائية، وصفق الصبي الذى كان يجلس على عتبة باب المنزل المواجه فى اغتباط، ولكزته المرأة التى كانت قد توقفت إلى جواره بكوعها، لكى يصمت، وكان الحمالون الذين كانوا يزرعون فناء المنزل الذى يسكنه ديلامارش، قد توقفوا لحظتها عن العمل، لكى يتناولوا إفطارهم، فتجمعوا وهو يحملون فى أيديهم صفائح عديدة صغيرة ممتلئة بالقهوة السوداء، ظلوا يقبلونها بقطع مستديرة من الخبز، وجلس بعضهم على حافة الرصيف، وراحوا يتجرعون جميعاً قهوتهم فى صوت مسموع.

سأل الشرطى ديلامارش قائلاً: "هل تعرف هذا الصبي؟"

وقال ديلامارش: «إننى أعرفه معرفة تامة، ولقد أسديت إليه من قبل أيادى لا حصر لها، قابلها هو بقليل من العرفان، ولعلك أن تلاحظ ذلك الطبع فيه، خلال لقائك القصير به الآن!».

قال الشرطى : «نعم، إنه يبدو وغدا صغيرا عنيدا!».  
فقال ديلامارش : «إنه هكذا بالفعل، إلا أن ذلك ليس هو أسوأ ما فيه مع ذلك!».

فقال الشرطى: «إلى هذا الحد!؟».

فأجابه ديلامارش الذى كان قد تحمس الآن لرأيه فى كارل، وهو يطوح بطرف روبه هنا وهناك، بيديه اللتين كان قد دسهما فى جيبه : «أوه.. إنه صبى رائع هذا الذى أمامك، ولقد كنا، أنا وصديقى الذى هناك فى داخل التاكسى قد التقطناه من الطريق ذات مرة، وكان ضائعا شريدا، ولم تكن لديه فى ذلك الحين، أدنى فكرة عن الحياة والأحوال فى أمريكا، فقد كان قادما لتوه من أوروبا، حيث لم يكن يحتاج إليه أحد كذلك، حسنا! لقد اصطحبناه معنا، واتحنا له فرصة العيش بيننا، وفسرنا له كل شىء، وحاولنا أن نجد له عملا، وكنا نظن على الرغم من كل شىء، أن فى مقدورنا أن نخلق منه كائنا إنسانيا رقيقا، إلا أنه فاجأنا فى النهاية بخدعته التى خيبت أملنا فيه ذات ليلة واختفى ببساطة، وفى ظروف لن أنكرها الآن، هل هذا صحيح أم لا ؟!». تساءل ديلامارش فى النهاية، وهو يجذب كم قميص كارل.

وصاح الشرطى قائلا: «عودوا إلى أماكنكم أيها الأطفال!».

فقد كان الأطفال قد زحفوا إلى الإمام، حتى لقد تعثر ديلامارش فى أحدهم. واكتشف الحملون فى ذلك الوقت، أن هذا الاستجواب كان أكثر إثارة للاهتمام، مما ظنوه فى بداية الأمر فشرعوا فى الانتباه إلى تفاصيله، وتجمعوا فى حلقة خلف كارل مباشرة، ولهذا لم يكن يمكنه أن يتراجع خطوة واحدة إلى الخلف، وكان عليه أن يعانى كذلك من الاستماع إلى ثرثرة هؤلاء الحملين، التى لم تتوقف، فقد كانوا يهزون فى رطانة غير مفهومة

لعلها كانت إنجليزية ركيكة تتخللها بضع كلمات من اللغة السلافية.  
قال الشرطى: «شكرا لهذا المعلومات!»، وحييا ديلامارش، «وعلى كل حال، فسوف أصبحه معى، وأسلمه إلى إدارة الفندق الغربى!».  
فقال له ديلامارش: «هل لى أن أسألك معروفا، بأن تترك الصبى معى الآن، لأن لدى بعض الأمور على أن أسويها معه، وأعدك بأننى سوف أصبحه بنفسى إلى الفندق فيما بعد!».

وقال الشرطى: «لايمكننى أن أفعل ذلك!».

فقال له ديلامارش، وهو يناوله بطاقته: «هذه هى بطاقتى!».

وتفحصها الشرطى فى عناية، لكنه قال فى ابتسامة مؤدبة: «لا، لايمكننى ذلك!» وبقدر ما كان كارل حذرا من ديلامارش حتى الآن، فقد وجد لحظتها رغم ذلك فيه خلاصه الوحيد الممكن وقد كانت الطريقة التى كان يتفاهم بها مع الشرطى طريقة مريبة بلا شك، إلا أن ديلامارش على كل حال، من الممكن أن يقتنع بعدم تسليمه إلى الفندق، وهو ما لا يمكن أن ينثنى عنه الشرطى، وحتى لو عاد كارل إلى الفندق فى صحبة ديلامارش، فلن يكون الأمر سيئا، إلى الحد الذى سيكون عليه من سوء، لو أنه عاد إليه فى صحبة الشرطى، ولا يجب على كارل فى تلك اللحظة بالطبع أن يوضح رغبته فى عدم البقاء مع ديلامارش بالفعل، وإلا ضاع كل شىء.

وراقب كارل يد الشرطى فى شىء من القلق، تلك اليد التى قد ترتفع فى أية لحظة لتقبض عليه.

وقال الشرطى أخيرا: «لابد لى على الأقل من أن أبحث هناك عن السبب الذى فصل بسببه!»، بينما راح ديلامارش يتطلع بعيدا، وعلى وجهه شعور بالاستياء، وهو يطوى البطاقة بين أطراف أصابعه.

وصاح روبنسون لدهشة الجميع قائلا: «لكنه لم يفصل مطلقا»، وكان قد

انحنى إلى خارج التاكسى، بقدر ما استطاع أن يظهر خارجه، وقد استند بإحدى يديه على كتف السائق: «إن هذا لم يحدث مطلقاً، إنه له وظيفة محترمة للغاية هناك، كما أنه أبرز الصبية جميعاً فى عنبر النوم بالفندق، ويمكنه أن يستضيف من يشاء هناك فى ذلك العنبر، إلا أنه فقط مرهق بالعمل، فلو أردت أن تسأله شيئاً، فإن عليك أن تنتظر عودته وقتاً طويلاً، فهو دائماً فى اجتماعات مع رئيس السفرجية، ومع المديرية، إن له وضعاً استثنائياً هناك! إنه لم يفصل مطلقاً، بلا شك، ولست أدرى لماذا قال إنه قد فصل، فكيف يمكن أن يفصل؟ ولقد تعرضت لأشد الأذى فى الفندق، ووجهت إليه التعليمات بأن يصحبني إلى منزلى، ولأنه لم يكن يرتدى جاكته. لحظتها، فقد صحبني إلى هنا بدونها، فلم يكن فى استطاعتي أن أنتظره حتى يبحث عنها!».

قال ديلا مارش: "حسناً، الآن!"، وهو يفرد ذراعيه على امتدادهما فى لهجة بدت كأنها لهجة لوم موجهة إلى الشرطى، لعدم فطنته، وبدا وكأنه يتنكر الكلمتين اللتين نطق بهما، قد أسهمتا فى توضيح الأمر وضوحاً لا يقبل الجدل، وكشفتا ما غمض من تقرير روبنسون عن الموقف.

فتساءل الشرطى، وهو يوشك أن يضعف بالفعل: "لكن هل هذا صحيح؟! ولو كان هذا صحيحاً، فلماذا صرح الصبى نفسه بأنه قد فصل؟!".

قال ديلا مارش: "من الأفضل أن توجه إليه هو هذا السؤال!" وتطلع كارل إلى الشرطى الذى كان واجبه هو حفظ النظام هنا بين الأجانب، وأن يرعى ما يراه فى صالحهم، وأدرك على نحو ما بعض الصعوبات التى كانت تواجه الرجل، وقد جعله هذا راغباً عن الكذب، ولهذا

فقد وقف عاقداً يديه خلف ظهره بشدة، وظهر فى مدخل باب المنزل الذى يسكنه ديلامارش ملاحظ عمال، فاحتسى هؤلاء ثمالة قهوتهم من العلب الصفيحية التى كانوا يمسكونها، وخيم عليهم الصمت، وهم يجرجرون أقدامهم على مريض نحو ردهة المنزل.

وقال الشرطى: "لن نصل إلى أية نتيجة، على هذا النحو..!"، وتأهب للقبض على ذراع كارل، فتراجع كارل قليلاً إلى الخلف دون أن يدرى، ولاحظ المسافة الخالية، التى تركها رحيل العمال خلفه، واستدار، وبقفزات قليلة هائلة فى البداية، انطلق بأقصى سرعته، وأطلق الأطفال صيحة واحدة، وانطلقوا يجرون بمحاذاته، وقد فردوا أذرعهم، لمسافة قصيرة لا تزيد عن بضع خطوات.

وصاح الشرطى فى الشارع الطويل الخالى: "أمسكوه!"، وانطلق فى ترديد هذه الصيحة بانتظام بين الحين والآخر، وهو يجرى خلف كارل، فى سرعة أظهرت قوته ومرانه، وكان من حسن حظ كارل أن المطاردة كانت تجرى فى حى عمالى، فلم يكن لدى هؤلاء العمال شىء من التعاطف مع الشرطة، وظل كارل يجرى فى وسط الطريق، فلم تكن تصادفه كثير من العقبات فى وسط الطريق، وكان يرى بين الحين والآخر بعض العمال يقفون فى هدوء على الرصيف، ويرقبونه، بينما استمر الشرطى فى ترديد صيحته: "أمسكوه!"، وهو يسدد عصاه نحو كارل ويجرى بمحاذاته، ملتزماً فى خبث، جانب الطريق الممهّد، وكان لدى كارل أمل واه، وإن كان فى بعض الأحيان، قد فقد غالباً ذلك الأمل عندما شرع الشرطى، وكانا قد بلغا أحد مفارق الطرق، حيث من الممكن أن توجد بعض دوريات الشرطة، فى إطلاق الصفارات التى كانت تصم الأذان، وكانت ميزة كارل الوحيدة التى كان

يتفوق بها على الشرطى هى خفة ملابسه، فكان يطير، أو بالأحرى، يختفى فى منحدر الشارع الذى كان يهبط أكثر فأكثر، لكنه فى اضطرابه لقلّة نومه فى الليلة الماضية، كان يقفز أحياناً قفزات متعثرة، عالية جداً فى الهواء، وكان وقته يضيع عندها عبثاً، وكان الشرطى بالإضافة إلى ذلك يرى هدفه مائلاً أمام عينيه، فلم يكن عليه أن يفكر فى شىء، بينما كان على كارل أن يفكر أولاً، وأن يواصل جريه فقط فى الفترات التى تصل بين تقديره لاحتمالات الموقف، واتخاذها للقرارات التى كان يراها، وكانت خطته، وهى خطة يائسة إلى حد ما، هى أن يتجنب مفترق الطرق الآن على الأقل، لأنه لم يكن يدرى ماذا كانت تخبئه له، فقد ينطلق مثلاً، فى جريه عندها، مباشرة نحو مركز من مراكز البوليس، وكان يريد بقدر الإمكان أن يواصل جريه فى هذا الشارع العمومى الذى يمكنه أن يشمله بنظرته من أوله إلى آخره، طالما أنه لم يكن ينتهى إلا فى نهاية منحدره، إلى كوبرى، كان يختفى فجأة فى غلالة من الضباب، بينما تسطع الشمس أعلاه، وعندما قرر أن يلتزم بتنفيذ تلك الخطة، اندفع فى جرية، دفعة أشد سرعة حتى يتمكن من أن يعبر مفترق الطرق الأول الذى صادفه فى سرعة خاطفة، عندما لمح أمامه على مسافة قريبة شرطياً آخر كان قد توارى فى حذر إلى جوار حائط غارقاً فى الظلال، وتأهب للانقضاض عليه فى اللحظة المناسبة، فلم يكن أمامه لحظتها بدا من أن يستدير نحو الشارع المتقاطع، وعندها ناداه شخص ما باسمه فى صوت خافت- ظن كارل ذلك وهما فى بداية الأمر، ذلك أن الرنين كان يطن فى أذنيه طوال الوقت- فلم يتردد طويلاً واستدار دورة مفاجئة، لكى يباغت الشرطى، أقصى مباغته يمكنه أن يصيبه بها، واستدار إلى اليمين بزاوية حادة على إحدى قدميه متجهاً نحو الشارع المتقاطع، وما كاد يخطو

فى ذلك الشارع خطوتين- وكان قد نسى بالفعل أن أحداً كان قد ناداه باسمه، ذلك أن الشرطى الآخر، كان ينفخ فى صفارته هو أيضاً، وبدا له فى وضوح أن بعض المارة النشطين المتباعدين أمامه، كانوا قد أسرعوا فى خطواتهم- عندما اندفع ذراع شخص ما من أحد الأبواب الصغيرة، وأمسك به، وانسحب كارل إلى مدخل مظلم، بينما جاءه صوت ما يقول له: "لا تتحرك"، كان صوت ديلامارش، وكان متقطع الأنفاس هو أيضاً، ووجهه محمر، وشعره متلبد فوق رأسه، ولم يكن يرتدى سوى قميصه وسرواله الداخلى، وكان روبه المنزلى مدسوساً تحت ذراعه، ولم يكن الباب سوى باباً جانبياً غامضاً، لم يكن من السهل تمييزه، وقد أغلقه ديلامارش وأحكم رتاجه فى الحال.

قال: "انتظر لحظة"، واستند إلى الحائط، وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة، ورأسه ملقأى إلى الخلف، وكان كارل يكاد يكون مستلقياً بين ذراعيه، وضغط وجهه فى صدر ديلامارش، دون أن يدرى ما يفعل.

قال ديلامارش، وهو يتسمع بانتباه، ويشير بإصبعه إلى الباب، كان الشرطيان يبتعدان بالفعل، وكانت أقدامهما تدق الشارع الخالى، كوقع دقات الصلب على الحجر": لقد ابتعدا"، وقال موجها حديثه إلى كارل الذى كان يجاهد لالتقاط أنفاسه ولا يستطيع النطق بكلمة": لقد تورطت فى تلك المطاردة"، وأرقده ديلامارش فى عناية على الأرض، وركع بجانبه، ومر بيده عدة مرات فوق رموشه، وراح يتطلع إليه.

وقال كارل وهو يتهض متألماً: "إننى على ما يرام الآن".

فأجابه ديلامارش الذى كان قد ارتدى الآن روبه ثانية": إذن فهيا بنا"، ودفع كارل، الذى كان مطرقاً برأسه إلى أسفل من شدة الإرهاق، أمامه،



واللحظة، وقال ديلامارش عند عودته: «هذه هي الطريقة التي أخلى بها هذا المر عادة!» ثم تذكر أن كارل كان قد تمرد عليه، فقال: «إلا أنني كنت أتوقع منك سلوكاً مختلفاً تماماً، وإلا كان عليك أن تظهر لى عداك صراحة!». ثم جاء صوت رقيق من داخل الشقة، متسائلاً فى إرهاق: «هل هذا أنت يا ديلامارش!؟».

فأجاب ديلامارش قائلاً: «نعم!»، وتطلع فى رقة إلى الباب: «هل يمكننا أن ندخل!؟»

وجاءه الجواب: «أوه.. نعم!»، وبعد أن ألقى نظرة على الآخرين اللذين كانا يقفان إلى جانبيه، فتح ديلامارش الباب فى ببطء.

وتقدم ثلاثتهم فى الظلام الحالك، كانت الستارة التى تغطى باب الشرفة - لم تكن هناك أية نوافذ - مسدلة تماماً، ولم تكن تسمح بدخول سوى القليل من الضوء، إلا أن حقيقة امتلاء الحجرة بالأثاث المتراكم، والملابس المعلقة فى كل مكان، كانت قد أسهمت إلى حد كبير فى إظلام الحجرة، فوق ظلامها، وكان الهواء فاسداً، وكان فى وسع المرء أن يتنفس التراب بالفعل، ذلك التراب الذى كان قد تجمع فى الأركان، التى كانت تبعد فيما يبدو عن متناول اليد، وكان أول ما لاحظته كارل عند دخوله، هو ثلاثة من صناديق الملابس، كانت تستقر بجوار بعضها البعض.

وفوق الأريكة كانت تستلقى المرأة التى كانت تنظر من الشرفة، من قبل، وكان رداؤها الأحمر، قد تشنى تحتها على نحو ما، وانحدر حتى بلغ الأرض، وكان من الممكن رؤية ساقها حتى الركبتين، كما كانت ترتدى جوارب صوفية بيضاء سميقة، ولم تكن تنتعل حذاء.

قالت: «ما أشد حرارة الجو يا ديلامارش!»، ومدت ذراعها نحو ديلامارش فى وهن، وهى تدير وجهها نحوه، وتناول ديلامارش يدها،

وامرأة تملأً جردلاً بالماء من ظلمية، وساعى بريد يدور دورته، ورجل عجوز  
ذو شارب أبيض قد جلس أمام باب زجاجى، وراح يدخن غليوناً، وساقاه  
متعانقتان، وكانت السلالم يفرغها الحمالون أمام إحدى الوكالات التجارية،  
بينما كانت الخيل المتكاسلة تهز رعوسها فى رتابة من جانب إلى آخر، ورجل  
يرتدى "أفرول" كان يشرف على سير العمل، وهو يحمل ورقة فى يده، وخلف  
النافذة المفتوحة فى حجرة مكتب، كان يجلس أحد الكتبة إلى مكتبه، وقد  
رفع رأسه، وتطلع أمامه خارج النافذة مستغرقاً فى التفكير، عندما مر به  
لحظتها كارل وديلامارش.

قال ديلامارش: إن هذا المكان مكان هادئ، كما يجب أن يكون المكان  
الهادئ، وقد تطغى عليه الضوضاء فى المساء لمدة ساعة أو ساعتين، إلا أنه  
مثال للهدوء طوال اليوم"، وأطرق كارل فقد كان المكان يبدو له هادئاً بالفعل  
غاية الهدوء، وقال ديلامارش: «إننى لا يمكننى أن أعيش إلا فى هذا المكان،  
ذلك أن برونيلا لا تحتل ببساطة أية ضوضاء، هل تعرف برونيلا؟»  
حسناً، سوف تراها الآن، وعلى كل حال، فإننى أنصحك بأن تلزم الهدوء ما  
استطعت!».!

وعندما بلغا بداية السلم الذى يؤدى إلى شقة ديلامارش، كان التاكسى  
قد ذهب لحظتها، وأعلن الصبى ذو الأنف المتاكل، ودون أن تبدو عليه أقل  
دهشة لعودة كارل، أنه قد ساعد روبنسون فى صعود السلم، وأوماً له  
ديلامارش فحسب، كما لو كان خادماً قد قام فقط بأداء واجبه، ثم سحب  
كارل لكى يصعد السلم معه، وكان كارل قد تردد لحظتها وتطلع إلى الخارج  
نحو الشارع المشمس، وقال ديلامارش مردداً أكثر من مرة: «سوف نصبح  
الآن هناك فى الحال!»، إلا أن نبوعته كانت بطيئة التحقيق، فقد كان يوجد

وهو يهزه بين الحين والآخر لكي ينشطه، قائلاً: "إنك تقول إنك مرهق؟!، ولقد انطلقت تعدو بطول الشارع كله كالحصان، لكن كان على أنا أن أجتاز هذه الممرات اللعينة، والأفنية، ومن حسن الحظ أنني عداء ممتاز إلى حد ما أنا أيضاً!" وفي غمرة فخره بنفسه، دفع كارل دفعة شديدة على ظهره: "إن سباقاً كهذا مع رجال الشرطة، يعد مراناً طيباً بين الحين والآخر!".

قال كارل: "لقد كنت فى غاية الإرهاق قبل أن أبدأ الجرى"، فقال ديلامارش: "لا يوجد أدنى عذر للجرى السيء، فلو لم أكن قد أسرعت لنجدتك لكانا قد لحقا بك فى الحال!".

فقال كارل: "إننى أعتقد هذا أنا أيضاً، وأنا مقدر جداً صنيعك!".

وأجابه ديلامارش قائلاً: "لاشك فى هذا!".

واجتازا ممرأ طويلاً، ضيقاً، بالطابق الأرضى، كان مبلطاً، ببلطات حجرية ملساء، وكان ثمة سلم يبدأ هنا، وسلم هناك على كلا الجانبين، أو ممر يؤدي إلى ردهة فسيحة، وكان من النادر رؤية أشخاص كبار، وكان الأطفال يلعبون فوق درجات تلك السلالم الخالية، وبجانب درابزين أحد السلالم، كانت تقف طفلة صغيرة، تبكى فى حرقة، حتى أن وجهها كانت تغطية الدموع تماماً، وعندما لمحت ديلامارش، اندفعت صاعدة درجات السلم، وهى تجاهد لالتقاط أنفاسها، وفمها مفتوح على اتساعه، ولم تهدأ إلا عندما بلغت قمة الدرج، بعد أن نظرت من فوق كتفها المرة بعد المرة، لكي تتأكد من أحداً لا يطاردها، أو يهجم بمطاردها.

قال ديلامارش ضاحكاً: "لقد اندفعت تهبط السلم أمامى منذ دقيقة واحدة فقط!"، ورفع قبضته نحوها، فاندفعت ثانية إلى أعلى، وراحت تصرخ، وكانت الأفنية التى مرا بها مهجورة تماماً، هى أيضاً، وكان ثمة

فقال ديلامارش: «يجب أولاً أن نرى إن كانت نائمة!»، وانحنى لكى ينظر من ثقب المفتاح، وبعد أن حدق خلاله طويلاً، وهو يدير رأسه فى هذا الاتجاه، وفى ذلك، نهض واقفاً، وقال: «لايمكننى فى الحقيقة أن أراها بوضوح، لأن الستائر مسدلة!» إنها جالسة على الأريكة، وربما كانت نائمة!. فتساعل كارل قائلاً: «لماذا، هل هى مريضة؟»، فقد كان ديلامارش يقف فى مكانه، كما لو كان فى حاجة إلى النصيحة، إلا أنه زام فى صوت حاد جداً: «مريضة!»

وقال روبنسون، محاولاً تهدئة ديلامارش: «أنه لايعرفها!».

وخرجت امرأتان من أحد الأبواب التى تعلوهما ببضع درجات، ومسحتا أيديهما فى مرييتهما، ونظرتا نحو ديلامارش وروبنسون، وبدا عليهما وكأنهما كانتا تتحدثان عنهما، ثم خرجت فتاة صغيرة من أحد الأبواب، واندست بين المرأتين، وتعلقت بذراعيهما.

قال ديلامارش: «هاتان امرأتان قدرتان!»، وكان صوته خفيضاً، وبدا انه راعى ذلك حتى لا يتسبب فى ازعاج برونيلا النائمة، و.. سوف أبلغ عنهما البوليس إن عاجلاً أو آجلاً، وعندئذ سأخلص منهما بضع سنوات، لا تتطلع نحوهما!»، وجذب كارل وهو يقول له ذلك، إلا أن كارل لم يجد بأساً فى أن يتطلع نحو المرأتين، طالما كان عليه على أية حال أن ينتظر واقفاً فى المر حتى تستيقظ برونيلا، وهز رأسه فى غضب، وكأنه يرفض أن يستمع إلى تحذيرات ديلامارش، بل لقد خطا بضع خطوات فى اتجاه المرأتين، لكى يوضح رأيه، عندما أمسك به روبنسون من كم قميصه، قائلاً: «انتبه يا روسمان!»، بينما كان ديلامارش قد عصف به الغضب، بسبب الضحكة التى أطلقتها الفتاة الصغيرة، حتى لقد قفز، وهو يحرك ساقيه وذراعيه نحو المرأتين، اللتين دخلتا بابهما ثانية كما لو كانتا قد انجرفتا خلاله فى التو

أمامهما دائماً سلم آخر جديد يعلوهما، يتجه اتجاهاً آخر، يمكن إدراكه في وضوح قبل بلوغه، وقد توقف كارل بالفعل مرة، لا من التعب، بل من اليأس، أمام تلك السلالم التي لا نهاية لها.

قال له ديلامارش، وهما يواصلان صعودهما: «إن الشقة مرتفعة ارتفاعاً بالغاً، إلا أن لهذا الارتفاع ميزته أيضاً، فهذا الارتفاع، لا يشجعنا على الخروج كثيراً، ولهذا نظل نتسكع طوال النهار بملابسنا المنزلية في أنحاء الشقة، إنها شقة مريحة جداً، وبالطبع، فلا أحد يزورنا قط في تلك الشقة، فليس من السهل أن يصعد الزوار إلى شقة على هذا الارتفاع!». «

وفكر كارل في نفسه قائلاً: «ومن هم الزوار الذين يمكن أن يكونوا قد تعرفوا بهما، حتى يقوموا بزيارتهم؟!». «

وفى النهاية لمحا روبنسون على بسطة السلم في أحد الطوابق، وهو يقف أمام باب مغلق، وكانا قد بلغنا الآن مكانه، ولم تكن السلالم قد انتهت بعد، رغم ذلك، بل كانت تمتد إلى أعلى في الظلام، دون أدنى دلالة تدل على أن نهايتها كانت في مجال الرؤية.

قال روبنسون في صوت لا يكاد يبين، وكأنه لا يزال يعاني من آلامه: «لقد ظننت هذا، أن ديلامارش قد أحضره!، روسمان، إلى أين ستذهب بعيداً عن ديلامارش؟» كان روبنسون يقف في ملابسه الداخلية، وقد لف حول جسده البطانية الصغيرة التي كان قد حصل عليها من الفندق الغربي، ولم يكن هناك سبب واضح، يبرر وقوفه في الخارج أمام باب الشقة، ولا يدخلها، بدلاً من أن يقف في مكانه هكذا كأضحوكة لمن يتصادف أن يمر به.

تسأل ديلامارش قائلاً: «هل هي نائمة؟!»

فقال روبنسون: «لا أظن ذلك، إلا أنني رأيت أن من الأفضل أن أنتظر عودتك!». «

وقبلها، واستطاع كارل أن يرى نقنها، التي كانت تتكون من نقنين، والتي كانت تلتف في انسجام مع دوران رأسها.

تساءل ديلامارش: «هل ترغبين فى أن أرفع الستارة؟!» قالت فى نبرة تبدو يائسة، وهى تغلق عينيها: «أوه.. لا تفعل هذا، فسوف يزيد الجو سوءاً!».

وكان كارل قد تقدم مباشرة الأريكة لى يرى المرأة جيداً، كان مندهشاً لنواحاها، لأن الحرارة لم تكن زائدة عن المألوف.

وقال ديلامارش فى قلق: «انتظرى فسوف أريك أكثر!».

وفك بضعة أزرار حول رقبتها، وفتح الثوب حول عنقها، حتى تعرى جزء من صدرها، وكانت حروف الدانتلة الناعمة الصفراء التى تزين قميصها الداخلى قد بدت كذلك.

قالت المرأة فجأة، وهى تشير بأصبعها إلى كارل: «من هذا، ولماذا يحرق نحوى بهذه القسوة؟!».

فقال ديلامارش، وهو يدفع كارل جانباً: «إنك محسنة كبيرة، ألسن كذلك؟!» وراح يؤكد للمرأة قائلاً: «إنه ليس سوى الصبى الذى أحضرتة معى لى يقوم على خدمتك!».

فصاحت المرأة قائلة: «ولكننى لا أريد أحداً، فلماذا تحضر الغرباء إلى داخل المنزل؟!».

فقال ديلامارش، وهو يركع على الأرض، فلم يكن ثمة مكان له على الأريكة بجوار برونيلا، بالرغم من اتساعها: «لكنك ظلت تطلين منى دائماً شخصاً يتولى خدمتك!».

قالت: «أوه، يا ديلامارش، انك لا تفهمنى، انك لا تفهمنى مطلقاً!».

فقال ديلامارش: «إذن، فليكن الأمر كذلك، فأنا لا أفهمك!» وتناول وجهها بين راحتيه: «إلا أن ذلك لايهم فى الحقيقة، فيمكنه أن يرحل فى الحال، لو شئت!».

قالت أخيراً: «بما أنه قد جاء، فيمكنه أن يبقى...!» وأحس كارل بالامتنان لها، عند سماعه هذه الكلمات، لشدة التعب الذى كان يشعر به، مع أن تلك الكلمات لم تكن فيما يبدو تحمل شيئاً من الكرم، ذلك أن التفكير فى تلك الدرجات التى لانهاية لها، والتى قد يتعين عليه أن يهبطها ثانية، كان أشد ما كان يخشاه، لهذا تخطى روبنسون الذى استغرق فى النوم الآن فوق بطانيته، وقال لها، على الرغم من إيماءات ديلامارش الغاضبة: «إننى أشكرك على أية حال، لسماحك لى بالبقاء هنا لفترة قصيرة فقط، لأننى لم أنق طعم النوم طوال الأربع والعشرين ساعة الماضية، ولقد قمت بأشياء كثيرة جداً، وقد أزعجتنى كذلك بعض الأمور، وكدرتنى، اننى مرهق غاية الإرهاق، ولا أكاد أدرى أين أنا، لكنى بعد أن أغفو ساعة أو ساعتين يمكنك أن تلقى بى خارجاً، وسوف أرحل فى الحال مسروراً!».

قالت المرأة: «يمكنك أن تبقى ما شاء لك البقاء»، ثم أضافت قائلة فى سخرية: «إن لدينا أكثر من متسع لك هنا، كما ترى» فقال ديلامارش: «إذن من الأفضل أن ترحل الآن، فليست لنا أية حاجة اليك!».

فقالت المرأة جادة هذه المرة: «لا، دعه يبقى!» وقال ديلامارش، وكأنه يلبى أمر المرأة: «حسناً إذن، فاذهب واستلق فى مكان ما».

- يمكنه أن يستلقى فوق الستائر، لكن عليه أن يخلع حذاءه حتى لا يتسبب فى تمزيقها!.

وأشار ديلامارش لكارل إلى المكان الذى كانت تقصده المرأة، فبين الباب، والصناديق الثلاثة، كانت توجد كومة هائلة من مختلف أنواع الستائر، ملقاة، وكانت مطوية جميعاً بغاية العناية، الستائر الثقيلة فى أسفل، والخفيفة فوقها، وكانت كل القضبان التى تتحرك فوقها الستائر، وكل الحلقات الخشبية المتناثرة خلال الكومة قد أخرجت منها، وربما كانت هذه الستائر تكون فى النهاية أريكة لابأس بها، لكنها كانت فى الحقيقة عبارة عن كومة مهترزة غير صالحة للنوم، وقد استلقى كارل فوقها مع ذلك، فى الحال، لأنه كان متعباً غاية التعب ولايقدر أن ينتظر لكى يعيد ترتيب هذه الكومة من الستائر، وكان عليه، كذلك، أن يحذر المزيد من الأحاديث مع مضيفه، ومضيفته.

ولقد استغرق فى النوم العميق، حتى سمع صيحة مرتفعة، وفزع من نومه ليجد برونيلدا تجلس فوق الأريكة، وهى تفرد ذراعيها على آخرهما، وتلقيهما فوق كتفى ديلامارش، الذى كان راکعاً أمامها، وصدم كارل لهذا المشهد، واستلقى ثانية على ظهره، وتكوم على نفسه فوق الستائر لكى يواصل نومه، وقد اتضح له أنه لن يحتمل هذا المكان لمدة يومين، لكن كان من الضرورى له أن ينام نوماً كافياً الآن، حتى يمكنه أن يستعيد نشاطه، ومن ثم يقرر بعد ذلك ما ينبغى عليه أن يفعله.

إلا أن برونيلدا كانت قد لمحت عيني كارل، اللتين كان الإرهاق قد زاد من اتساعهما، وكانتا قد أفزعتهما بالفعل، فصاحت: «ديلامارش، لايمكننى أن أحتمل هذه الحرارة، اننى أكاد أحترق، ويجب على أن أخلع ملابسى، يجب أن أخذ حماماً، فأخرج هذين الشخصين، إلى حيث تشاء، إلى المرمر، أو إلى الشرفة، أو أى مكان آخر لايمكن أن تقع عليهما فيه عيناى! فهأنذا فى منزلى، ولكن لايمكننى أن أحصل على الراحة مطلقاً، فلو أمكن لنا أن نكون



وحدنا يا ديلامارش! أوه، يا الهى، انهما لايزالان هنا، انظر إلى هذا الوقح المدعو روبنسون، وهو يتمدد فى ملابسهِ الداخلية فى وجود سيدة، وانظر أيضاً إلى هذا الصبى، هذا الغريب الذى يحدق فى بوحشية، وكيف يتظاهر بأنه قد استغرق ثانية فى النوم، لكى يخدعنى، اطردهما يا ديلامارش، انهما عبء على كاهلى، انهما ثقل فى فوق صدرى، فلو مت الآن فسوف يكون ذلك بسببهما!».«

قال ديلامارش وهو يتقدم نحو روبنسون، ويهزه بقدمه التى وضعها فوق صدره: «ها اخرجنا من هنا، اخرجنا فى الحال!» ثم صاح موجها حديثه إلى كارل: «انهض يا روسمان، اخرجنا إلى الشرفة كلاكما، وسوف تكون جنازتكما قد حانت أن دخلتما هنا قبل أن ندعوكما إلى الدخول، والآن تحرك يا روبنسون!»، وعند ذلك ركل روبنسون بقسوة أشد، وأنت يا روسمان، هيا إلى الخارج، وإلا جئت فتصرفت معك أنت أيضاً!»، وصفق بيديه مرتين فى صوت مرتفع.

صاحت برونيلا من مكانها على الأريكة قائلة: «لماذا تتلكان!» كانت قد فردت ساقىها على اتساعهما حيث جلست لكى تتيح مكانا لجسدها غير المتناسق، بمجهود شديد، وهى تتنفس، وتتوقف كثيراً لكى تلتقط أنفاسها، حتى استطاعت أن تنحنى إلى الأمام لكى تمسك بجواربها، وتخلعها، ولم تستطع أن تخلع ملابسها، فقد كان على ديلامارش أن يقوم بذلك، وكانت تجلس الآن فى انتظاره، بفارغ الصبر، لكى يخلع عنها ملابسها.

وزحف كارل، وهو يكاد يكون فاقد الوعى من شدة التعب إلى أسفل من فوق كومة الستائر، واتجه فى ببطء نحو باب الشرفة، وكانت قطعة من قماش الستائر قد التقت حول ساقه، فجرجرها معه بلا مبالاة، وفى شروده قال بالفعل لبرونيلا، وهو يمر أمامها: «أرجو لك ليلة سعيدة!» ثم مر بديلامارش

الذى كان يحرك الستائر جانبا، من أمام باب الشرفة، وخرج كارل إلى الشرفة، ووصل روبنسون فى الحال خلفه، وكان يبدو مستغرقا مثله فى النوم، لأنه كان يغمغم قائلاً لنفسه: «معاملة سيئة دائماً فلو لم تأت برونيلا، لما كان على أن أذهب إلى الشرفة!».

إلا أنه قد خرج فى غاية الوداعة، على الرغم من هذا التصريح، إلى الشرفة، حيث استلقى فوق الأرض الحجرية، لأن كارل كان قد تكوم فوق المقعد ذى المساند.

وعندما استيقظ كارل كان المساء قد حل، وكانت النجوم قد ظهرت فى السماء، وخلف البيوت العالية المواجهة كان القمر قد ارتفع فى السماء، ولم يكن كارل يكاد يدرك أين كان، قبل أن يتفحص الأماكن المهجورة التى كانت تحيط به الآن، وقبل أن يستنشق الهواء الرطب المنعش، وكيف كان قد بلغ به الإهمال حداً، أهمل معه نصائح المديرية، وكل تحذيرات تيريز، وكل مخاوفه الخاصة، وهنا حيث كان يجلس فى هدوء فى شرفة ديلامارش، حيث نام نصف يوم، بدا له وكأن ديلامارش عدوه اللدود لم يكن يوجد بالفعل على بعد خطوات قليلة منه، خلف تلك الستارة، وروبنسون هذا، الضائع الكسول، الذى كان يتمدد على أرضية الشرفة، والذى كان قد راح يشد قدمه، ويبدو أنه قد أيقظه بهذه الطريقة من نومه، فقد كان يقول له الآن: «كيف يمكنك أن تنام يا روسمان، إن هذا هو تماماً معنى أن يكون المرء صغيراً، وعديم المبالاة، وإلى متى تريد أن تواصل النوم، لقد تركتك تستغرق فى النوم، إلا أننى كنت قد وضقت أولاً بالاستلقاء فوق أرضية الشرفية، وثانياً فقد جعلت غاية الجوع، هيا، انهض فى الحال، فلقد عثرت على شىء كان مخبئاً تحت مقعدك، شيئاً من الطعام، وأريد أن أخرجه من مكانه، وسوف أعطيك بعضه».

وعندما نهض كارل، تطلع حوله، بينما زحف روبنسون - دون أن ينهض على قدميه - على بطنه، حتى بلغ أسفل المقعد، لكي يجذب صينية فضية، كتلك التي تستعمل فى حمل بطاقات الزيارة، وكان فوق تلك الصينية قطعة من السجق الأسود، ويضع سجائر رفيعة، وعلبة سردين مفتوحة، لاتزال ممثلة تقريباً، ومغطاة بالزيت، ويضع قطع من الحلوى، أغلبها مكومة فى قطعة واحدة، ثم ظهرت أيضاً قطعة كبيرة من الخبز، ونوع من زجاجات العطر، يبدو أنها كانت ممثلة بشيء آخر غير العطر، رغم ذلك، لأن روبنسون عرضها فى رضا زائد على كارل، وهو يمتص شفثيه ويتطلع نحو كارل بنظرة راضية.

قال روبنسون، وهو يلتهم السردينة بعد الأخرى، ويمسح الزيت بوشاح من الصوف يبدو أن برونيلا كانت قد نسيتته فى الشرفة: «أنظر يا روسمان، انظر، هذا ما تحتاج إليه فى الحقيقة، إن لم تكن تحب أن تتصور جوعاً، وأقول لك، لقد ألقى به على هامش الحياة، ولو عاملك الناس دائماً ككلب، فانك سوف تبدأ، فتظن أنك كلب بالفعل، انه شيء طيب وجودك هنا معى يا روسمان، فسوف أجد على الأقل شخصاً يمكننى أن أتحدث إليه، لا أحد فى هذا المنزل كله يتحدث إلى، انهم يكرهوننا وكل هذا بسبب برونيلا، إنها امرأة رائعة بالطبع، واننى..!!»، وهنا أشار إلى كارل بأن يميل نحوه، لكى يهمس إليه بشيء ما: «لقد رأيتها عارية ذات مرة، أوه..»، وعندما عاودته ذكرى تلك المتعة، راح يقرص ساق كارل، ويصفعها، حتى صاح كارل فيه قائلاً: «روبنسون، لقد جننت!»، ودفع يده فى عنف بعيداً.

قال روبنسون: «انك مازلت طفلاً يا روسمان!»، وأخرج من تحت قميصه خنجراً، كان يعلقه بحبل حول عنقه، وأخرجه من جرابه، وراح يقطع به قطعة السجق الجامدة: «إن أمامك الكثير الذى يجب عليك أن تتعلمه، إلا أنك قد

جئت إلى أصلح الأماكن التي يمكنك أن تتعلم فيها هذه الأشياء، وأنت لا تريد أن تشرب أيضاً؟ وعلى هذا فأنت لا تريد شيئاً مطلقاً، كما أنك لا تملئ كذلك إلى الحديث، إلا أنني لا يهمني من الذي يجلس معه في الشرفة، طالما أن هناك شخصاً معي في نهاية الأمر، ذلك أنني أطرده دائماً إلى هذه الشرفة وتسرب برونيلدا سروراً هائلاً لذلك، وما عليها سوى أن تعلن أية فكرة تخطر على بالها، كأن تقرر مثلاً أنها تشعر بالبرد، أو إنها تشعر بالحرارة الشديدة، أو انها تريد أن تنام، أو تريد أن تمشط شعرها، أو تريد أن تفك الكورسيه أو تريد أن ترتديه، وهكذا تتسبب دائماً في طردى إلى الشرفة، أحياناً تفعل ما تقوله حقاً، إلا أنها في أغلب الأحيان، تبقى جالسة فوق الأريكة، كما هي، ولا تتحرك. وقد اعتدت في بعض الأحيان أن أزيح الستارة جانباً، وأسترق النظر من خلالها، إلا أن ديلامارش في إحدى تلك المرات - وأنا أعلم تمام العلم، أنه لم يكن يريد أن يفعل ذلك، وإنه قد فعله فقط، لأن برونيلدا كانت قد طلبت منه أن يفعله - ضربني فجأة على وجهي عديداً من المرات بالسوط - هلى يمكنك أن تتبين آثار تلك الضربات؟ ومنذ ذلك الحين، لم أجرؤ على أن أسترق النظر ثانية، وعلى هذا فقد اعتدت على أن أستلقى هنا فقط، في هذه الشرفة، ولا أفعل شيئاً سوى الأكل، والليلة قبل الماضية كنت أستلقى هنا وحيداً طوال الليل، وكنت أرتدى تلك الملابس الفاخرة التي شاء سوء الحظ أن أفقدها في فندقك - فلقد مزق الخنزير، تلك الملابس الثمينة من على ظهري - حسناً، بينما كنت أستلقى هنا وحيداً، وأتطلع إلى الشارع من خلال الدرايزين، بدا لى كل شىء بائساً غاية البؤس، حتى لقد شرعت فجأة في البكاء، ثم حدث - دون أن ألاحظ ذلك - أن خرجت برونيلدا إلى الشرفة في رداؤها الأحمر - الذي يناسبها أكثر من بين كل ملابسها الأخرى - وتطلعت إلى قليلاً، وقالت: « روبنسون، لماذا تبكى؟! »، ثم

رفعت ذيل رداؤها ومسحت دموعي، و .. من يدري ما عاساها كانت تفعل أيضاً، لو لم ينادها ديلامارش، وكان عليها أن تعود إلى الحجرة ثانية في الحال، لقد ظننت بالطبع لحظتها أن دوري كان قد حان، وتساءلت من خلال الستارة، إن كان على أن أدخل، فماذا تظن أن برونيلا قد قالت؟ لقد قالت: «لا!»، ثم أضافت قائلة: «وما الذي تظنه؟!».

وتساءل كارل قائلاً: «لكن لماذا تبقى هنا إذا كانا يعاملانك على هذا النحو؟!».

فأجابه روبنسون قائلاً: «اسمح لي يا روسمان، أن أقول لك إن هذا سؤال غبي، لأنك سوف تبقى هنا أنت أيضاً، حتى لو عاملك بصورة أسوأ كثيراً من هذه، وبالإضافة إلى ذلك فليست معاملتهما لي إلى هذا الحد من السوء!».

قال كارل: «لا.. إنني سأرحل بلا شك، وهذه الليلة نفسها إن أمكن ذلك، إنني لم أبق معك!».

- وكيف ستمكن من الرحيل الليلة؟! تساءل روبنسون، وهو يستخرج لب الرغيف الطرى، ويغمسه في الزيت، داخل صندوق السردين: «كيف يمكنك أن ترحل إذا كان عليك ألا تدخل الحجرة؟!».

- ولماذا لا يجب على أن أدخل الحجرة!؟

فقال روبنسون، وهو يفتح فمه على اتساعه، ويلتهم الخبز المنقوع في الزيت، بينما يتلقى قطرات الزيت المتساقطة في راحة يده الأخرى، كوعاء كان يغمس فيه بقية الخبز من حين لآخر: «لأنه ليس لنا أن ندخل الحجرة، ما لم يبق الجرس، أيذانا بالدخول، إن الأمور أكثر حزمًا الآن، وقد كانت على الباب في البداية، ستارة رقيقة، لم يكن يمكنك بالفعل أن ترى من خلالها، لكن كان في استطاعة المرء في الأمسيات أن يلاحظ شبيحيهما من

خلالها، إلا أن ذلك لم يرق لبرونيلدا، وعلى هذا، كان على أن أحول إحدى ملابسها الليلية الثقيلة إلى ستارة، وأن أعلقها على باب الشرفة بدلاً من الستارة القديمة، فلا يمكنك الآن أن ترى شيئاً بالمرّة، ثم كنت فى أحد الأوقات أسأل من مكانى هنا، إن كان لى أن أدخل الحجره، وكان يأتينى الجواب بنعم، أو لا، حسب الظروف، لكن يبدو أن هذا الوضع كان قد راق لى كثيراً، فقد كنت أسألها أسئلة متلاحقة فى كل مره، ولم تحتمل برونيلدا ذلك - ومع إنها فى غاية السمنة، إلا أنها فى غاية الرقة، وهى كثيراً ما تصاب بالصداع، وبالنقرس فى ساقىها - وعلى هذا فقد تم القرار بعدم السماح لى بالسؤال ثانية، وفى استطاعتى أن أدخل الحجره فقط عندما يرن جرس ثباته فوق المنضدة لهذا الغرض، ويرن هذا الجرس رنيناً مرتفعاً جداً، حتى ليوقظنى أنا نفسى، من نومى، وقد كانت لى قطة فى أحد الأوقات، كانت تسلىنى فى وحدتى، إلا أنها قد فرغت من صوت الجرس، فانطلقت تجرى، ولم تعد ثانية قط، ولم يرن هذا الجرس اليوم كما ترى، ذلك لأنه عندما يرن، فإنه لا يكون مسموحاً لى عندئذ فقط بالدخول، بل انه يتحتم على أن أدخل الحجره - وعندما ينقضى مثل هذا الوقت الطويل دون أن يرن الجرس، فمن الممكن فى هذه الحالة ألا يرن بالفعل إلا بعد انقضاء فترة طويلة أخرى!».

قال كارل: «نعم، إلا أن ما يوافقك، لا يوافقنى بالضرورة، وبالإضافة إلى ذلك، فإن مثل هذا الوضع لايناسب إلا الذين يمكنهم احتمالها!». فصاح روبنسون قائلاً: «لكن، لماذا لا يوافقك أنت أيضاً؟ بالطبع أنه يوافقك أنت أيضاً، ومن الأفضل أن تستلقى فى هدوء معى، هنا حتى يرن الجرس، ثم يمكنك عندئذ، على الأقل، أن تحاول الرحيل!».

- ما الذى ييقك هنا حقاً، إن ديلا مارش ببساطة صديقك، أو أنه بالأحرى كان صديقك، هل تسمى هذه حياة؟ ألم يكن من الأفضل لك الذهاب إلى باتر فورد، حيث كنت تنوى الذهاب فى البداية؟ أو حتى إلى كاليفورنيا حيث يوجد اصداقائك؟».

قال روبنسون: - «حسناً، لم يكن يمكن لأحد أن يتوقع حدوث ذلك!» ثم قال قبل أن يكمل عبارته: «فى صحتك الغالية يا عزيزى روسمان»، وارتشف رشفة طويلة من زجاجة العطر: «لقد كنا فى غاية الضنك، خلافاً للمتوقع، عندما تركتنا إذ ذاك عامداً، ولم نتمكن من أن نجد عملاً على الإطلاق، فى اليوم الأول، أو اليومين الأولين، وبالإضافة إلى ذلك، فلم يكن ديلا مارش يرغب فى العمل، كان فى استطاعته لو شاء أن يحصل على عمل ما بسهولة، إلا أنه كان يرسلنى لكى أبحث أنا لنفسى عن عمل، ولم يصادفنى الحظ مطلقاً، كان يتسكع فقط هنا وهناك، وكان كل ما أحضره معه فى المساء، حقيبة سيدة، كانت حقيبة فاخرة للغاية مصنوعة من اللالىء، وقد أهداها لبرونيلدا فيما بعد - إلا أننا لم نجد فيها شيئاً، ثم قال إنه من الأفضل لنا أن نتسول أمام الأبواب - يمكنك أن تحصل على شىء أو آخر بهذه الطريقة -، وهكذا مضينا فى التسول، وكنت أغنى أمام أبواب البيوت لكى أجعل أسلوبنا فى التسول أفضل قليلاً، ويبدو أنه كان حظ ديلا مارش هذه المرة لأننا ما كدنا نمضى دقيقة أو دقيقتين فى التسول، بالتحديد أمام الباب الثانى الذى وقفنا أمامه، وكان باب شقة هائلة فى الطابق الأرضى، وغنيت أغنيتين للطاهى، وللساقى، عندما ظهرت أماننا السيدة صاحبة الشقة، وقد كانت هى برونيلدا نفسها، ظهرت على الدرجات الأولى، وربما كانت ترتدى وقتها فستاناً محبوبكاً جداً من الدانتيل، وعلى أية حال فإنها كانت قد بدت فوق تلك الدرجات، فكم بدت رائعة، ياروسمان!، كانت ترتدى رداء أبيض

اللون، وكانت تمسك فى يدها شمسية حمراء اللون، كنت تشعر بأنك تريد أن تلتهمها، تشعر بأنك تريد أن تشربها، يا إلهى، لقد كانت فاتنة! يالها من امرأة، اخبرنى أنت، كيف يمكن وجود مثل تلك المرأة؟ ولقد اندفع الطاهى والساقى بالطبع نحوها فى الحال، وكادا يحملانها من فوق الأرض، وقد وقفنا على كلا الجانبين، ورفعنا قبعتيينا، كما يفعل الناس هنا. ولقد توقفت لبرهة قصيرة، لأنها لم تكن قد التقطت أنفاسها، ولم أدر مطلقاً ما كنت أفعله، وكانت هى أمامى غاية فى الوسامة، عريضة الجسد جداً، لكنها كانت رشيقة غاية الرشاقة بسبب تلك المشدات الخاصة التى كانت تشد بها كل أجزاء جسمها، ويمكننى أن أطلعك على تلك المشدات فى صندوق ملابسها، حسنا لم أستطع أن أمنع نفسى من أن ألمس ظهرها، لكن كان ذلك فى غاية الرقة، أنت تعرف، مجرد لمسة خفيفة، وأنه لأمر فظيع بالطبع أن يلمس متسول سيدة ثرية، ولقد كنت فقط قد لمستها لمسة خفيفة عارضة، إلا أننى كنت قد لمستها بالفعل فى نهاية الأمر، ومن يدرى ماذا كانت النهاية التى كان من الممكن أن ينتهى إليها ذلك الحدث، لو لم يلمنى ديلامارش لحظتها على أذنى، ثم أتبعها بتلك الصفحة العنيفة التى ارتفعت لها يداى إلى وجهى!!..

قال كارل: «ياللأمر العجيب!» كان قد استغرق تماما فى الاستماع إلى القصة، وجلس على أرضية الشرفة: «إذن فقد كانت هذه هى برونيلا!».

قال روبنسون: «نعم، لقد كانت هى برونيلا!».

فتساءل كارل قائلاً: «هل قلت مرة إنها كانت مغنية؟» أجابه روبنسون قائلاً: «بالتأكيد، انها مغنية، ومغنية كبيرة» وكان يلوك قطعة كبيرة من الحلوى فى فمه، وراح يدفع بين الحين والآخر، بقاياها التى كانت تخرج من فمه إلى الداخل، قائلاً: لم نعرف ذلك بالطبع وقتها، كنا قد أدركنا فقط أنها



كانت سيدة ثرية ورائعة للغاية ولقد تصرفت وكأن شيئاً لم يحدث، وربما لم تكن قد شعرت بأى شيء عندما لمستها، لأننى كنت قد لمستها بالفعل بأطراف أصابعى، إلا أنها ظلت تتطلع إلى ديلامارش، الذى حدق فى عينيها مباشرة، كعادته، ثم قالت له: «تعال معى إلى الداخل قليلاً» وأشارت له بمظلتها إلى داخل الشقة، وكان على ديلامارش أن يتقدمها، ودخلا، وأغلق الخدم الباب خلفهما، ونسيانى فى الخارج، ولما كنت أظن أن الأمر لن يستغرق وقتاً طويلاً، فقد جلست على الدرج فى انتظار ديلامارش لكن الساقى خرج إلىّ، بدلاً من ديلامارش، وهو يحمل لى وعاء ممتلئاً بالشوربة، قلت فى نفسى: «انه تحية من ديلامارش!»، ووقف الرجل إلى جانبى بعض الوقت، بينما كنت أتناول تلك الشوربة، وأخبرنى ببعض الأشياء عن برونيلدا، وعندها أدركت مدى أهمية تلك الزيادة بالنسبة لنا، ذلك أن برونيلدا كانت قد طلقت زوجها، وكانت بالغة الثراء، ومنطلقة تماماً على سجيتها!، كان زوجها السابق، وهو صاحب مصنع للكاكاو، وللعلم، فهو لا يزال يحبها - إلا أنها رفضت العودة إليه بالمرّة، رغم ذلك.

وكان غالباً ما ينادى عليها أمام الشقة وهو يرتدى دائماً أفخر الثياب، كما لو كان متأهباً للذهاب إلى حفلة زفاف - هذا صدق، بكل كلمة فيه، ولقد عرفت الرجل بنفسى - لكن رغم المنح الضخمة التى كان يحصل عليها الساقى منه، فإنه لم يكن يجروء على أن يخبر برونيلدا، بأنه كان يلتقى بزوجها، لأنه كان قد سألها مرة أو مرتين من قبل إن كان له أن يستقبله، فكانت تلتقط أى شيء تقع عليه يدها، وتقذفه به على رأسه، ولقد صبت فوقه ذات مرة وعاء الماء الساخن الضخم الذى كان يجهز دائماً من أجلها، وتسببت فى تحطيم أحد أسنانه الأمامية، نعم ياروسمان يمكنك أن تحدق فى ما شاء لك التحديق!«.

وتساءل كارل قائلاً: وكيف تمكنت من أن تتعرف بزوجها؟! فقال روبنسون: «إنه يأتى إلى هنا غالباً!».

-- هنا! وضرب كارل أرضية الشرفة بيده، ضربة خفيفة، لدهشته.

ومضى روبنسون فى حديثه قائلاً: «لقد تصيبك الدهشة، ولقد دهشت أنا نفسى عندما كان الساقى يقف بجوارى خارج الشقة، وهو يحكى لى عن هذا كله، فكر فى هذا فقط، فعندما تكون برونيلدا فى الخارج، كان الزوج يرجو الساقى دائماً أن يدخله إلى حجرتها، وكان يأخذ منها دائماً شيئاً تافهاً أو آخر، كتذكار، ويترك لها بدلاً منه شيئاً نادراً، وغالياً، وكان يحذر الساقى تحذيراً مشدداً من أن يذكر لها شيئاً عن شخصية من ترك لها تلك الأشياء، لكن عندما ترك لها ذات مرة - وقد أقسم لى الساقى بصدق ذلك، وقد صدقته - قطعة نادرة من الخزف، لاتقدر بثمن، ولا بد أن برونيلدا كانت تحققت منها بصورة ما، إلا أنها قد طوحت بها إلى الأرض فى الحال، وداستها بقدمها، وبصقت فوقها، وفعلت فوقها أشياء أخرى أيضاً، حتى أن الخادم، لم يتمكن من أن يرفع حطامها من على الأرض إلا بصعوبة بالغة لشدة قرفه!».

فتساءل كارل قائلاً: «وماذا فعل زوجها بعد هذا الحادث!» فقال روبنسون: «لست أدرى فى الحقيقة، إلا أننى لا أظن أنه فعل شيئاً ذا بال، فربما لم يكن قد علم بهذا الأمر وقتها فى الحقيقة مطلقاً، ولقد تحدثت معه كثيراً عن هذا الحادث، وكنت ألتقى به كل يوم فى أحد أركان الشارع، لو استطعت أن أخرج لمقابلته، وكان على دائماً أن أنهى إليه بأخر الأخبار، وإذا لم أتمكن من الخروج إليه، فقد كان ينتظر حوالى نصف الساعة، ثم ينصرف بعد ذلك من حيث أتى، وقد كانت فى هذه اللقاءات فائدة كبيرة لى فى البداية، لأنه كان يدفع كسيد، ثمناً لكل ما كنت أوافيه به من الأخبار،

كن بعد أن علم ديلا مارش بالأمر، كان على أن أسلم له النقود التي كنت  
حصل عليها من ذلك الرجل، وعلى هذا فلم أعد أحرص على الخروج كثيراً  
لأن!

تساءل كارل: «لكن ما الذى يسعى إليه هذا الرجل؟ ما الذى يسعى إليه  
بحق الجحيم، انه يعلم بلا شك أنها لاتريده!».

تنهد روبنسون قائلاً: وهو يشعل سيجارة، وينفث دخانها عالياً فى  
الهواء، ويعبث بيده فى دخانها المتطاير: «نعم!»، ثم تحول عن رأيه قائلاً:  
«وماذا يعنى هذا الأمر بالنسبة لى؟ كل ما أعرفه هو أنه على أتم استعداد  
لأن يدفع مبلغاً هائلاً من المال، لكى يتمكن من أن يستلقى هنا فى هذه  
الشرفة مثلنا!».

نهض كارل، ومال إلى الدرايزين، وتطلع نحو الشارع، كان القمر  
ياضاً الآن، إلا أن ضوءه لم يكن قد نفذ بعد إلى أعماق الشارع، ومع أن  
الشارع كان خالياً تماماً أثناء النهار، إلا أنه كان مزدحماً الآن بالناس،  
بخاصة أمام أبواب المنازل، وقد كانوا يتدافعون جميعاً إلى الأمام فى ببطء  
وتثاقل، وكانت قمصان الرجال، وملابس النساء الخفيفة، تبدو خافتة وسط  
الظلام، وكانوا جميعاً حاسرى العروس. وكانت مختلف الشرفات التي كانت  
نظت على الشارع، تمتلئ الآن بالناس، كانت العائلات بأكملها تجلس فيها،  
تحت ضوء المصابيح الكهربائية، وحول مناظيد صغيرة، إذا كانت الشرفة  
نسيحة بدرجة كافية، أو فى صف من المقاعد المتجاورة، ذات الذراعين، أو  
برز رعوسهم فقط من خارج نوافذ الحجرات، وكان الرجال يجلسون فى  
ارتياح، وقد مددوا سيقانهم ووسوا أقدامهم بين قضبان الدرايزين، وهم  
ستغرقون فى قراءة الصحف التي كانت تمتد حتى تبلغ أرضية الشرفات،  
أو يلعبون الورق، دون أن يتكلموا على ما يبدو، وكان لعبهم يصحبه خبطات

عنيفة فوق المنضدة، وكانت حجور النساء تمتلئ بكثير من أعمال التطريز، ولم يكن يفعلن شيئاً سوى أن يوجهن نظرات مقتضبة بين الحين والآخر على ما يحيط بهن، أو إلى الشارع تحتهن، وكانت ثمة امرأة رقيقة، جميلة فى الشرفة المجاورة، قد راحت تتتابع، وهى تدير عينيها إلى أعلى، وترفع إلى فهمها قطعة من الملابس الداخلية، كانت ترتقها، وحتى فى الشرفات البالغة الصغر، تمكن الأطفال من مطاردة بعضهم بعضاً، وكانوا يثيرون ضخباً يزعج والديهم، وفى داخل الكثير من الحجرات، كان يمكن سماع أصوات الجراموفونات، وهى تطلق الأغنيات، أو الموسيقى الاركسترالية، فيما عدا أن رب الأسرة كان يعطى إشارة ما بين الحين والآخر، فيهرع شخص ما إلى داخل الحجرة لكى يضع اسطوانة أخرى، وعند بعض النوافذ كان من الممكن رؤية الأزواج العشاق يقفون بلا حراك، وكان ثمة عاشقان من بين هؤلاء العشاق، يقفان أمام نافذة مواجهة، وكان الشاب يلف ذراعه حول الفتاة، ويعتصر خصرها.

سأل كارل روبنسون الذى كان قد نهض هو أيضاً واقفاً على قدميه، وقد التفت فى دثار برونيلدا، عندما شعر بالبرد بالإضافة إلى بطانيته:

- هل تعرف أحداً من جيرائك هنا؟! ..

فقال روبنسون: «لا أكاد أعرف أحداً منهم!» وجذب كارل نحوه حتى التصق به، لكى يهمس إليه قائلاً: وإلا ما كان أمامى ما أشكو منه الآن، لقد باعت برونيلدا كل ما لديها كل ترضى ديلامارش، وانتقلت إلى هذه الشقة فى هذه الضاحية بكل ما تبقى لديها، لكى تهب نفسها كلية له، دون أن يعكر صفوفهما أحد، وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذا هو ما كان يريده ديلامارش أيضاً!» تساءل كارل: «وهل طردت خدمها؟».

فقال روبنسون: «أجل لقد طردتهم، ومن أين لها ما تنفقه على هؤلاء الخدم هنا؟! إن أمثال هؤلاء الخدم يتوقعون وجود كل أنواع الخير بلا حساب، ولقد ركل ديلامارش ذات مرة، فى شقة برونيلا القديمة، واحداً من هذه المخلوقات المرفهة، خارج الحجرة وظل يركله أمامه حتى أصبح الرجل خارج الشقة كلها، وقد انضم بقية الخدم بالطبع إلى جانب زميلهم، وأثاروا شغباً أمام الباب، ثم خرج إليهم ديلامارش «لم أكن أنا قد أصبحت خادماً حينذ، لكننى كنت صديقاً للأسرة فقط، إلا أننى طردت معهم إلى الخارج على الرغم من ذلك» وسألهم ديلامارش قائلاً: «ماذا تريدون؟!».

وأجابه أكبر الخدم سناً، وهو رجل يدعى ايزيدور: «لا شأن لك بنا، إننا نعمل فى خدمة السيدة!» وأعتقد أنك تدرك من هذا انهم كانوا يحترمون برونيلا غاية الاحترام، إلا أن برونيلا لم تلق بالآ إليهم، وانطلقت نحو ديلامارش - لم تكن على تلك السمنة، وثقل الحركة عندئذ، كما هو حالها الآن - واحتضنته، وقبلته أمامهم جميعاً، ونادته قائلة: «عزيزى ديلامارش!» ثم قالت: «والآن أطرده هؤلاء الحمقى من هنا!» - الحمقى! ذلك هو ما دعت به خدمها، ولك أن تتخيل التعبير الذى ارتسم على وجوههم، ثم أمسكت برونيلا يد ديلامارش وسحبته نحو كيس نقودها، الذى كانت تعلقه فى حزامها، ووضع ديلامارش يده فى داخل الكيس، وراح ينقد الخدم أجورهم، ولم تفعل برونيلا شيئاً، لكنها بقيت واقفة فى مكانها هنالك إلى جواره، والكيس مفتوح فى وسطها، وكان على ديلامارش أن يضع يده فى داخل الكيس المرة بعد المرة، لأنه كان يوزع النقود دون أن يحصيها، ودون أن يستمع إلى شكاواهم، وفى النهاية قال ديلامارش: «بما أنكم لا شأن لكم بى، فأئنى أقول لكم باسم السيدة، اخرجوا فى هذه اللحظة!»، وهكذا فصلوا، وقد كانت ثمة عواقب قانونية فيما بعد، وكان على ديلامارش أن

يذهب إلى المحكمة فى إحدى المرات، إلا أننى لم أعلم عن هذا الأمر أكثر من ذلك، فيما عدا أن ديلامارش قد قال لبرونيلدا، بعد طرد الخدم: «وهكذا فليس لك خدم الآن؟!» لكنها قالت له: «ولكن روبنسون لا يزال موجوداً!»، وعندها لطمنى ديلامارش على كتفى، وقال: «حسن جداً، إذن، فسوف تصبح خادماً!»، وعندئذ ربت برونيلدا على خدى، فلو أتيت لك الفرصة، فقط، يا روسمان، فلعلها أن تربت على خدك فى يوم ما، وسوف يدهشك كم يبدو ذلك ممتعاً!»

فقال كارل، ملخصاً الأمر: «وهكذا فقد تحولت إلى خادم لديلامارش، أليس كذلك؟!».

ولاحظ روبنسون الأسف فى صوت كارل، فأجابه قائلاً: «قد أكون خادماً إلا أن قليلاً من الناس هم الذين يعلمون بذلك، وهأت ذاك ترى، فلم تكن تعلم أنت نفسك، على الرغم من أنك قد قضيت هنا بعض الوقت. لماذا؟ لانك ترى فخامة الثياب التى كنت أرتديها الليلة الماضية فى الفندق، لقد كنت أرتدى أفخر الملابس، فهل يرتدى الخدم مثل تلك الملابس؟ إن الشيء الوحيد الذى يضايقنى هو فقط أننى لا أتمكن من مغادرة هذا المكان إلا نادراً، فيجب أن أكون دائماً تحت أمرهما، ويوجد دائماً الكثير مما يجب على أن أفعله هنا فى الشقة، إن رجلاً واحداً لا يكفى فى الحقيقة لى يقوم بكل العمل، ولعلك قد لاحظت أن لدينا أشياء كثيرة تتراكم فى الحجرة، فما لم نستطع أن نبيعه عند انتقالنا إلى هذه الشقة، أحضرناها معنا إلى هنا، وقد كان من الممكن بالطبع إلقاؤه بعيداً، إلا أن برونيلدا لا تلقى بأى شىء، ويمكنك أن تتخيل معنى أن تحمل هذه الأشياء على السلالم إلى هنا!».

صاح كارل قائلاً: «روبنسون، هل حملت بنفسك كل تلك الأشياء، وصعدت بها السلالم إلى هنا!».

فقال روبنسون: «ماذا؟ وأى شخص آخر غيرى كان هنا لكى يحملها، لقد كان ثمة رجل لمساعدتى فى ذلك، إلا أنه كان وغدا كسولاً، وكان على أن أقوم بكل العبء وحدى، ووقعت برونيلدا بجوار عربة نقل العفش، وكان ديلامارش هنا لكى يقرر فى أى الأماكن توضع الأشياء، وكان على أن أظل مندفعاً إلى أعلى وإلى أسفل. وقد استمر هذا العمل لمدة يومين كاملين، وقت طويل، أليس كذلك، لكنك لا تعلم شيئاً عن الأشياء العديدة التى تحتويها تلك الحجرة، إن كل الصناديق الخاصة بالملابس تمتلئ بملابس برونيلدا، وخلف الصناديق تتكوم مختلف الأشياء فى أنحاء الحجرة حتى تبلغ السقف، فلو كانا قد استأجرا عدداً قليلاً من الرجال لنقل تلك الأشياء لكان كل شىء قد انتهى بغاية السرعة إلا أن برونيلدا لم تكن تطمئن إلى غيرى فى حمل حاجياتها، ولقد كان هذا تملقا لى بالطبع، إلا أننى قد أهدرت قوى تماماً خلال هذين اليومين إلى الأبد، وماذا تفيدنى صحتى فى غير ذلك؟! إن أقل شىء أحاول أن أقوم بأدائه هنا الآن يسبب لى آلاما هنا وهناك، وهنا هل تتذكر هؤلاء الصبية الذين فى الفندق، تلك الآلات النطاطة - ذلك انهم ليسوا سوى مجرد آلات تقفز بغير معنى - انهم لم يكونوا ليتمكنوا منى لو أننى كنت فى كامل صحتى! لكن لما كنت محطما بحالتى الراهنة، فلن أستطيع أن أقول كلمة واحدة لديلامارش أو برونيلدا، وسوف أستمر فى العمل طالما كان فى مقدورى أن أعمل، وعندما لا أصبح قادراً على العمل، فسوق أستلقى أرضاً، وأموت، وعندئذ سوف تكتشف، متأخرة جداً، أننى كنت مريضاً بالفعل، ولكننى رغم ذلك واصلت العمل، وأهلكت نفسى حتى الموت فى خدمتها، أوه، يا روسمان»، وانتهى من حديثه مجففا دموعه فى كم قميص كارل، ثم قال بعد برهة: «ألا تشعر بالبرد، وأنت تقف هنا فى قميصك هذا فقط؟!».

قال كارل: «استمر في حديثك يا روبنسون، انك تبكى دائماً، وأنا لا أعتقد أنك مريض إلى هذا الحد، إنك تبدو صحيحاً إلى درجة كافية، لكنك باستقائك في الشرفة طول الوقت فانك تتوهم مختلف الأوهام، وربما كنت تشعر بألم عارض في صدرك، وهذا ما أشعر به أنا أيضاً، ويشعر به كل شخص، فلو بكى كل الناس مثلك لأتفه الأمور، فلن يكون هناك أى شيء سوى البكاء في كل تلك الشرفات!».

قال روبنسون، وهو يمسخ دموعه بطرف بطانيته: «إننى أعلم جيداً أننى مريض، إن الطالب الذى يقيم بجوارنا مع صاحبة المنزل التى تطهو طعامنا، قد قال لى منذ فترة قصيرة مضت، عندما كنت أحضر الأطباق: «انتبه يا روبنسون، إنك مريض، أأست مريضاً؟!»، لم يكن لى أن أتحدث مع هؤلاء الناس، وهكذا فقد وضعت الأطباق فى بساطة، وغادرت المكان، لكنه تبغنى فى الحال، وقال: «استمع إلى يارجل، لاتدفع الأمور إلى مداها، انك رجل عليل!» فسألته: «حسناً إذن، وماذا أفعل فى هذا؟!»، فقال وهو يستدير مبتعداً عنى: «هذا شأنك!»، وضحك الآخرون فحسب، ضحك هؤلاء الذين كانوا يجلسون لحظتها إلى المائدة، انهم جميعاً أعداؤنا، كل من يحيطون بنا، وهكذا فكرت فى أنه من الأفضل لى أن أصمت!».

- وعلى هذا فأنت تصدق أى شخص يحاول أن يستغفلك، بينما لا تصدق شخصاً يرجو لك الخير؟!»

فقال روبنسون متعجباً: «ولكننى أعرف شعورى بالتاكيد!» وشرع فى الصراخ، ساخطاً مرة أخرى.

- إنك لاتدرى فى الحقيقة ما يضرك، ولا بد لك من أن تبحث لنفسك عن عمل شريف، بدلا من أن تعمل خادما لديلامارش هنا، وإننى أقول لك استنادا إلى ما قلته أنت نفسك، وإلى ما أراه هنا الآن، انها ليست خدمة



تلك التي تقوم بها، ولكنها استعباد، ولا يمكن أن يتحمل ذلك أحد، واننى  
أصدقك فى كل ما قلته، إلا أنك تعتقد أنك لاتستطيع أن تترك ديلا مارش،  
لأنك صديقه، إن هذا هراء، فلو لم يكن يرى أية حياة حقيرة تحياها، فليس  
عليك أن تحمل له أقل شعور ودى!»،

«إذن فأنت تعتقد يا روسمان أننى من الممكن أن أسترد صحتى، لو  
تركت العمل هنا؟!».

قال كارل: «بالتأكيد!»

وتساءل روبنسون ثانية: «بالتأكيد؟!»

فقال كارل مبتسماً: «بالتأكيد تماماً!»

فقال روبنسون وهو يتطلع إلى كارل: «إذن فإننى من الممكن أن ابدأ فى

محاولة استرداد صحتى فى الحال!»

فتساءل كارل: «وكيف ذلك؟!»

وأجابه روبنسون قائلاً: «ماذا؟ لأن عليك أن تقوم بعملى هنا!»

فتساءل كارل قائلاً: «من الذى أخبرك بهذا، بحق الجحيم؟!»

— أوه.. إنها خطة قديمة، وقد بحثت هذا الخطة أياما طويلة، وقد بدأت

عندما عنفتنى برونيلدا لعدم قيامى بتنظيف الشقة على الوجه الأكمل، وقد

وعدها بالطبع بأن أقوم بعمل كل شىء على الوجه الأكمل فى الحال، لكن..

حسناً، لقد كان هذا صعباً للغاية، فلم يكن فى مقدورى، مثلاً، فى حالتى

الصحية الراهنة أن أزحف إلى كل الأركان لكى أكنس الأتربة، إننى اتحرك

بغاية الصعوبة فى وسط الحجرة، ولا أكاد أتمكن من أن أصل إلى ما خلف

الأثاث، وأكوام الأمتعة، ولو كان للحجرة أن تنظف تنظيفاً شاملاً، فلا بد من

نقل الأثاث كله من مكانه، وكيف لى أن أفعل ذلك بمفردى؟ بالإضافة إلى

ذلك، فيجب أن يتم هذا كله بغاية الهدوء، حتى لا تتضايق برونيلدا، وهى

نادرا ما تغادر الحجرة، وعلى هذا فقد وعدت بأن أنظف كل شيء، إلا أنني لم أستطع بالفعل أن أنظف كل شيء، ولما لاحظت برونيلدا ذلك، أخبرت ديلامارش أن الحال لا يمكن أن يستمر على هذا المنوال، وأن عليه أن يستخدم مساعداً، يساعدي في أعمال الشقة»، قالت له: «لا أريدك يا ديلامارش أن تلومني في أى وقت من الأوقات على عدم استطاعتي إدارة شؤون البيت كما ينبغي، فلا يمكنني أن أجهد نفسي مطلقاً، وأنت تعلم ذلك تمام العلم، ولم يعد روبنسون كافياً للقيام وحده بأعباء العمل، لقد كان نشيطاً في البداية، وكان يقوم بأداء كل شيء على خير وجه، لكنه الآن متعب دائماً، ويجلس أغلب الوقت في أحد الأركان، لكن حجرة مكتظة بالأشياء كحجرتنا هذه، في حاجة إلى أن تكون منظمة باستمرار!» وعلى هذا فقد اهتم ديلامارش بأمر ترتيبها، لأنه لا يمكن بالطبع أن نسمح بدخول أى شخص، مهما كان إلى منزلنا، ولا حتى كمجرد تجربة، طالما أن الناس جميعاً من حولنا، يتجسسون علينا، لكني لما كنت صديقاً مخلصاً لك، وكنت قد سمعت من رينيل عن العبودية التي كان عمك في الفندق قد كبلك بأغلالها، فقد رشحت اسمك، ووافق ديلامارش في الحال، على الرغم من أنك كنت وقحاً معه غاية الوقاحة من قبل، ولقد سررت بالطبع غاية السرور، عندما تمكنت من أن أكون نافعاً لك، ذلك لأن هذه الوظيفة تبدو كأنها قد خلقت لك، فأنت صغير، وقوى، وسريع، بينما لانفع فى لاحد، لكن لا بد لي من أن أخبرك بأنك لم تقبل كخادم هنا بصورة نهائية، فلو لم ترض برونيلدا عنك، فمعنى هذا أن لا مكان لك هنا، وعليك لهذا أن تبذل كل جهدك حتى ترضى عنك، وسأدبر أنا أمر ما يبقى بعد ذلك!»

فتساءل كارل قائلاً: «وما الذى ستفعله، لو قبلت هذا العمل!؟».

وكان كارل قد أحس بالحرية التامة بعد أن تخطى الصدمة الأولى التي سببها له تصريح روبنسون، وعلى هذا فلم يكن ديلامارش ينوى به شراً أكثر من أن يحوله إلى خادم له، ولو كانت لديه أية نوايا أخرى شريرة، فلا شك أن روبنسون الثرثار كان سيثرثر بها حتماً، لكن لو كانت هذه هي نية ديلامارش حقيقة، فقد رأى كارل عندئذ أن عليه أن يغادر المكان في تلك الليلة نفسها، ولا يمكن أن يجبره أحد على قبول عمل لا يريده، وعلى الرغم من أنه كان يخشى في بداية الأمر أن يعوقه فصله من الفندق، عن الحصول على وظيفة مناسبة، ومحترمة لو أمكن، بسرعة تحفظه من التضور جوعاً، فقد بدت له الآن كل الأعمال محترمة غاية الاحترام إذا قورنت بهذا العرض، الذي أثار اشمئزازه، ولو لم يجد عملاً، فليبق جائعاً، ومعهدماً، ولكنه لن يقبل هذا العمل، إلا أنه لم يحاول أن يصرح بهذا لروبينسون، خاصة أن عقل روبنسون كان مشغولاً الآن بأمل التخلص من أعبائه، ونقلها إلى كاهل كارل.

وقال روبنسون، وهو يؤكد كلماته، بإشارة من يده تصاحب كل كلمة يتفوه بها: «لكى تبدأ العمل - وكان قد اعتمد بمرفقيه على الدرايزين» - فسوف أشرح لك كل شيء، وأريك كل ما لدينا من أشياء، ولقد تلقيت تعليماً جيداً، وأنا متأكد من أن تمكّنك من الكتابة مسألة لا جدال فيها، وعلى هذا ففي وسعك أن تعد في الحال قائمة بكل ما لدينا في الشقة من أشياء، ولو كان الطقس صافياً غداً، فسوف نسأل برونيلا أن تجلس في الشرفة، ويمكننا عندئذ أن نتابع عملنا بداخل الحجرة في هدوء، دون أن نسبب لها أزعاجاً، ذلك أن هذا الأمر هو ما يجب أن يكون موضع اهتمامك الأول، يا روسمان، لا يجب إزعاج برونيلا، إن سمعها حاد جداً، وربما كان هذا لأنها مغنية أن أذنيها بالغت الحساسية، ولنقل مثلاً، أنك تدحرج برميلا

صغيراً ممتلئاً بالبراندى، وهو يوضع عادة خلف صناديق الملابس، انه يسبب كثيراً من الضوضاء لأنه ثقيل، ولأن كل مختلف الأشياء تتراكم حوله على الأرض، ولهذا لا يجب عليك أن تدخرجه لكى تخرجه من مكانه، أن برونيلدا، ولنقل ذلك أيضاً، تستلقى على الأريكة تطارد الذباب، الذى يسبب لها ضيقاً شديداً، وتظن أنت أنها لاتلقى انتباها اليك، وتدخرج هذا البرميل، بينما تظل هى مستلقية هناك فى هدوء تام، لكنها فجأة، ودون أن تتوقع ذلك منها، وبينما لاتصدر بسببك أدنى ضجة، تجدها قد وقفت فجأة، وراحت تضرب الأريكة بيديها، حتى لايمكنك أن تراها، لكثرة الأتربة - فمئذ أن جننا إلى هنا، لم أنفض الأتربة عن تلك الأريكة، لم أستطع أن أفعل ذلك فهى تستلقى فوقها دائماً فى الحقيقة - وتبدأ فى الصراخ بشراسة، وكأنها رجل، وتواصل صراخها لعدة ساعات، ولقد منعها الجيران من الغناء، إلا أن أحدا لم يستطيع أن يمنعها من الصراخ، فلا بد لها أن تصرخ، مع أن هذا لم يعد يحدث كثيراً الآن، ذلك لأننا قد أصبحنا الآن - أنا وديلامارش - أكثر حذراً، وقد ساعها هذا للغاية كذلك، وقد أغمى عليها ذات مرة - وكان ديلامارش فى الخارج عندئذ - وكان على أن أبحث عن الطالب الذى يسكن بجوارنا، وقد رش عليها سائلاً ما من زجاجة كبيرة، أعادها إلى وعيها فى الحال، إلا أن هذا السائل كانت له رائحة مخيفة، ويمكنك الآن أن تشم أثر هذا السائل، لو وضعت أنفك على الأريكة، ولاشك أن هذا الطالب، هو عدو من أعدائنا، مثله مثل الجميع هنا، ويجب عليك أن تحذره هو أيضاً، وألا تحاول أن تختلط بأى منهم.

فقال كارل: «لكننى أقول لك يا روبنسون أن هذا برنامج حافل جداً، وأنها لوظيفة رائعة تلك التى تنصحنى بقبولها!».

فقال رينسون وهو يغلق عينيه، ويهز رأسه، كما لو كان يحاول طرد كل مخاوف كارل: «لاتخش شيئاً، إن لهذه الوظيفة بعض الميزات أيضاً، وهى ميزات لايمكنك أن تجدها فى أية وظيفة أخرى، فسوف تكون دائماً فى حضرة سيدة مثل برونيلا، وقد تنام أحياناً فى نفس الحجرة التى تنام هى فيها، وثمة كثير من المتعة فى ذلك، كما يمكنك أن تتخيل، وسوف تحصل على أجر مجز، أن النقود هنا كثيرة، وأنى لا أحصل على أجر لأننى صديق ديلامارش، لكننى فى كل مرة أخرج فيها من المنزل، ألتقى دائماً شيئاً من النقود، تعطيها لى برونيلا، لكنك ستحصل بالطبع على أجرك كإى خادم آخر، هذا هو وضعك فى نهاية الأمر، إلا أن أهم هذه الأشياء جميعاً هو أننى سأحاول أن أجعل وظيفتك هذه سهلة جداً عليك، ولن أفعل أى شىء بالطبع فى البداية، لكى أعطى لنفسى فرصة لاسترداد صحتى، لكننى ما أن أتمائل للشفاء، حتى يمكنك أن تعتمد على، وعلى أية حال فسوف أقوم بكل خدمات برونيلا فى أثناء تناول طعامها، وسأقوم كذلك بتصفيف شعرها، وأساعدها على ارتداء ملابسها، وأفعل ما لا يفعله لها ديلامارش من قبيل هذه الخدمات، ولن يكون عليك فقط سوى أن تهتم بأمر نظافة الحجرة، وتحضر لنا ما نحتاج إليه من الخارج، وتقوم بالأعمال المنزلية التى تتطلب مجهوداً».

قال كارل: «لا ياروبنسون، إن هذا كله لا يغرنى بالبقاء!».

فقال روبنسون وهو يمدنى وجهه من وجه كارل: « لاتكن أحمق يا روسمان، لاتلق بهذه الفرصة الرائعة! أين ستجد وظيفة أخرى بمثل هذه السرعة؟ من يعرفك؟ ومن تعرف أنت من الناس؟ إننا أنا وديلامارش، وكلانا رجل ناضج ذو خبرة عملية وتجربة قد تجولنا لمدة أسابيع أربعة دون أن

نجد عملاً، إن الحصول على العمل ليس أمراً سهلاً، بل هو صعب في الحقيقة صعوبية شيطانية!».

أطرق كارل وهو يتعجب لأن روبنسون يتحدث بهذا الإدراك، وإن كانت نصيحته تلك أبعد من أن تجد لديه قبولاً، فلم يكن يمكنه البقاء، ولا بد من أن يجد لنفسه مكاناً في المدينة الكبيرة، إنه يعرف الليل جيداً، وكل الفنادق الممتلئة بالنزلاء لدرجة الانفجار، هؤلاء النزلاء الذين يحتاجون إلى الخدمة، ولديه بعض الخبرة في هذا الشأن، ولا بد من أن يجد بسرعة وبكل ترحاب وظيفة أو أخرى، فعبّر الشارع مباشرة كان ثمة مطعم في الطابق الأرضي، كانت تنبعث منه الموسيقى، وكان مدخله الرئيسي تغطيه فقط ستارة كبيرة صفراء، كانت تطير في الشارع من حين لآخر، عندما كان يلعب بها الهواء، وفيما عدا ذلك فقد كان كل شيء هادئاً غاية الهدوء في الشارع كله.

وكانت أغلب الشرفات مظلمة، وعلى البعد، فحسب كان ثمة ضوء ينبعث من هنا، ومن هناك، لكن ما أن يركز المرء عينيه عليه، حتى ينهض الناس الذين يجلسون تحت هذا الضوء، ويتدافعون إلى داخل مساكنهم، بينما مد الرجل الذي بقى في الخارج وحده، يده أخيراً إلى مفتاح النور، وأطفأه بعد نظرة قصيرة إلى الشارع.

قال كارل في نفسه: "لقد تقدم الليل بالفعل، ولو بقيت هنا أكثر من هذا، فسوف أصبح واحدا منهم!".

واستدر لكي يجذب الستارة جانبا عن باب الشرفة، فقال روبنسون وهو يعترض طريق كارل، ويحول بينه وبين الستارة:

"ما الذي تفعله؟!"

قال كارل: "إننى راحل، دعنى، دعنى!".

فصاح روبنسون: "لكنك بالتأكيد لن تحاول أن تزعجها، ماذا تظن، وألقى

زراعية حول عنق كارل، وتعلق به بكل ثقله، ولف ساقيه حول ساقى كارل، وهبط به فى لمحة فوق أرضية الشرفة، ألا أن كارل كان قد تعلم شيئاً من فنون العراك بين صبية المصاعد، وهكذا فقد سدد قبضته إلى ذقن روبنسون، دون أن يضغط عليها بكل قوته، حتى لا يؤذى روبنسون، وبسرعة وبلا أدنى تردد لكمه روبنسون فى بطنه بركبته، قبل أن يبدأ فى تدليك ذقنه براحتيه، وأطلق صيحة مرتفعة، حتى أن رجلا فى الشرفة المجاورة، قد صفق بيديه غاضباً، وصاح قائلاً: "اصمت!" واستلقى كارل ساكناً، وعاجزاً عن الحركة أمام الحجرة الغارقة فى الظلام! كان يبدو وكأن أحدا لم يكن بداخلها الآن، ولعل ديلامارش أن يكون قد خرج بصحبه برونيلا، ولعل الطريق خال الآن، ذلك لأن روبنسون الذى كان يسلك ككلب الحراسة تماماً، كان قد تراخى أخيراً.

ثم ارتفعت من أقصى نهاية الشارع فى انفجارات واضحة، أصوات الطبول والأبواق، وصيحات بعض الأفراد، فى وسط الجموع، وسرعان ما تحولت إلى هدير شامل، وحول كارل رأسه ثانية ليرى أن كل الشرفات قد عادت إليها الحياة مرة أخرى، نهض ببطء، ولم يتمكن من أن يقف معتدلاً تماماً، وكان عليه أن ينحنى بتثاقل إلى الدرازين، وعلى الرصيف، كان الصبية الصغار فى الشارع يلوحون بقباعتهم على أمتداد أذرعهم، وينظرون إلى الخلف من فوق أكتافهم، وكان وسط الشارع لا يزال خالياً، وكان البعض يرفعون قضباناً طويلة تثبت بأعلاها الفوانيس التى كان يحيطها دخان أصفر اللون، وكان قارعو الطبول وناقحو الأبواق ينتظمون فى صفوف عريضه وكانوا قد بلغوا الجانب المضى من الشارع فى حشود هائلة، حتى لقد دهش كارل عندما سمع أصواتاً تأتي من خلفه أيضاً، فاستدار ليجد ديلامارش يرفع الستارة الثقيلة، وبرونيلا تخطو خارج ظلام الحجرة فى

ردائها الأحمر، وحول كتفيتها وشاح من الدنتلة، وقلنسوة سوداء فوق شعرها، الذى لعلها لم تكن قد رتبته بعد، كانت فقط قد جمعته فلا عجلة، ذلك أن أطراف خصلاته الطليقة كانت تتطاير هنا وهناك، وكانت تحمل فى يدها مروحة صغيرة، كانت قد فتححتها إلا أنها لم تستعملها، وكانت تضغطها على صدرها.

وتحرك كارل جانبا ملتصقا بالدرابزين، لكى يفسح مكانا لهما، لن يجبره أحد بلا شك على البقاء هنا، وحتى لو حاول ديلامارش أن يستبقيه، فإن برونيلا ستسمح له بالذهاب فى الحال، لو طلب منها ذلك، فهى لا تحتمله فوق كل شيء، وعيناه ترعبانها، إلا أنه عندما تقدم خطوة نحو الباب، لاحظته برونيلا فى الحال، وتساءلت: "إلى أين أنت ذاهب أيها الصبى؟!" وجمدت نظرة ديلامارش القاسية حركة كارل للحظة، وجذبت برونيلا نحوها.

قالت له: "ألا تريد أن تشاهد الموكب الذى فى الشارع؟!" ودفعته أمامها نحو الدرايزين، وهى تقول: "هل تعرف ما هو هذا الموكب؟!"

وسمعا كارل تتساءل خلفه، وتفزع فى محاولة تلقائية فاشلة لكى يتخلص من ضغط جسدها، وتطلع إلى أسفل فى حزن، كما لو كان سبب حزنه يكمن هناك فى الشارع!

ووقف ديلامارش لحظة خلف برونيلا، عاقدا ذراعيه، ثم هرول داخلا الحجرة، وأحضر لها نظارة من نظارات الأوبرا، وفى الشارع كان الموكب قد وضع للرؤية، تتقدمه جوقة الموسيقى، وفوق كتفى رجل هائل الحجم، جلس سيد، لم يكن يظهر منه على هذا الارتفاع الشاهق سوى البريق الخافت لتاج بسيط،



وكان يرفع فوقه قنبرة عالية يحيى بها الجماهير، تحيات متصلة، وحوله كانت لافتات خشبية ترتفع عالية فى الهواء، كانت تبدو من الشرفة بيضاء تماما، وكانت الجموع تنوى فيما يبدو، أن تقيم متراساً بشرياً مستديراً ينحدر بانحدار الشارع، حول الشخصية الشهيرة التى كانوا يناصرونها فيما يبدو لكن لما كان حاملو تلك اللافتات، يتحركون إلى الأمام طوال الوقت، فإن حاجز اللافتات ظل يهبط ويرتفع لإدخال بعض الإصلاحات على تلك اللافتات ثم يعود ذلك الحاجز الذى تكونه تلك اللافتات المتراسة ثانية، إلى نظامه السابق، وخلف حاجز اللافتات، بقدر ما كان يمكن للمرء أن يرى فى الظلام ، كان عرض الشارع كله، على الرغم من أن الحشد كان يشغل جزءاً عارضا من امتداده، يمتلئ بأعوان ذلك السيد، الذين كانوا يصفقون بأيديهم فى إيقاع، ويهتفون فى نغم غنائى شينئاً ربما كان هو اسم ذلك السيد، وقد كان اسما قصيرا جدا، لكنه لم يكن مفهوما، وكان الأعوان قد انتشروا وسط الحشد فى براعة، وكانوا يحملون مصابيح قوية كمصابيح السيارات راحوا يسلطونها إلى أعلى، وإلى أسفل واجهات المنازل على جانبي الشارع، ولم يكن ذلك الضوء محتملا على الارتفاع الذى كان يقف عنده كارل، لكن فى الشرفقات السفلى، كان يمكنه أن يرى الناس وهم يرفعون أيديهم فوق عيونهم، كلما سلط ذلك الضوء على وجوههم.

وتلبية لطلب برونيلا استفسر ديلامارش الناس الذين كانوا يقفون فى الشرفة المجاورة، عن غرض تلك المظاهرة، وكان كارل شغوفاً بملاحظة الطريقة التى كانوا سيجيبون بها على سؤاله، وكان على ديلامارش بالفعل أن يكرر سؤاله ثلاث مرات قبل أن يتلقى أجابة، كان قد انحنى على الدرايزين فى وضع استفزازى، وكانت برونيلا قد راحت تدق بقدمها لحنقها على جيرانها، فقد أحس كارل بحركة ركبتها، وأخيرا سمعوا ردا

غامضاً، وانطلق كل الناس الذين كانوا فى الشرفة المجاورة لحظتها فى الضحك بأعلى أصواتهم. وعند هذا صرخ ديلامارش بأعلى صوته رداً على إهانتهم له، حتى أن الشارع لو لم يكن ممثلاً بكل تلك الحشود لحظتها، فإن كل الناس الذين يسكنون تلك المنطقة لا بد كانوا سيرهفون إسماعهم فى دهشة، وعلى أية حال فقد كان لتلك الصيحة أثر حاسم فى إنهاء ذلك الضحك فجأة.

وقال ديلامارش فى هدوء تام وهو يستدير نحو برونيلا: "أن قاضيا سينتخب غداً فى حيننا، والرجل الذى يجلس فوق الأكتاف هو أحد المرشحين! أضاف قائلاً وهو يحتضن كتفى برونيلا: "أوه، لقد فقدنا كل فكرة، عما يجرى فى العالم!"

وقالت برونيلا وهى تعود إلى سلوك جيرانها مرة أخرى: "ديلامارش، كم أكون سعيدة لو تمكنت من أن أنتقل من هنا، لو لم يكن ذلك يكلف مجهوداً كبيراً لكننى لسوء الحظ لا أستطيع مواجهة هذا الانتقال إلى مسكن آخر!" وراحت، وهى تتنهد فى عمق، تجذب فى قلق وشروء قميص ديلامارش، وعلى الرغم منه، ظل يدفع يدها الصغيرة الممتلئة بعيداً عنه المرة بعد المرة، وقد كان ذلك أمراً سهلاً، ذلك لأن برونيلا، لم تكن تنتبه إليه، وإنما كانت تشغلها أمور أخرى مختلفة تماماً.

إلا أن كارل كان قد انشغل عنها فى الحال، وأحس بثقل ذراعيها فوق كتفيه ذلك لأن الموكب كان قد استولى على كل اهتمامه، وكانت ثمة مجموعات صغيرة العدد من الرجال يهتفون ويتقدمون الموكب أمام المرشح، بدا أن أراهم كانت لها أهمية خاصة، فقد كان فى إمكان المرء أن يلاحظ وجوهاً عديدة منتبهة تتجه نحوهم من كل الجهات، وقد أعلن أفراد هذه المجموعات قرارهم بالوقوف أمام المطعم الصغير وأشار أحد أفراد تلك

المجموعات إشارة ما، بيده المرفوعة إلى أعلى، فبدت تلك الإشارة وكأنها كانت موجهة إلى الحشد وإلى المرشح أيضاً، وخيم الصمت على الجماهير، وحاول المرشح عدداً من المرات أن يقف على قدميه، وسقط عدة مرات من فوق الأكتاف التي كانت تحمله، وألقى خطبة مقتضبة، وهو يلوح بقبعته العالية إلى الأمام، وإلى الخلف، بسرعة خاطفة، كان من الممكن رؤيته في وضوح تام، ذلك لأن كل اللمبات الضخمة كانت مسلطة عليه وهو يلقى خطبته، حتى أصبح في مركز حلقة مشعة من الضوء الساطع.

وكان في استطاعة المرء أن يتحقق الآن أيضاً من الاهتمام الذي بدا على الشارع كله، بهذا الحدث، ففي الشرفات التي امتلأت بأنصار المرشح أشرت الناس في الترنم باسمه، وهم يفردون أذرعهم على امتدادهم خارج الدرابزين، ويصفقون في انتظام آلى، وفي الشرفات المواجهة التي كانت تكتظ بالفعل بالجماهير، ارتفعت صيحات تردد التهاتفات باسم المرشح، تلك الصيحات التي لم تكن واضحة منسجمة، لأنها كانت تصدر عن أنصار متنافسين لعدد من المرشحين، إلا أن كل أعداء ذلك المرشح الموجود في الشارع فوق الأكتاف، كانوا قد اشتهروا في صفيح استهجان واحد مرتفع وكان كثير من الجراموفونات قد بدأت ثانية في إذاعة الأغاني، وبين الشرفات المختلفة كانت النزاعات السياسية قد قامت على أشدها، وقد أكد عنفها سكون ذلك الوقت المتأخر من الليل، وكان أغلب الناس يرتدون بالفعل ثياب نومهم، وقد ارتدوا المعاطف فوقها، وكانت النساء تنتشج بأوشحة داكنة، هائلة الحجم، وكان الأطفال الذين لم يكن ينتبه إليهم أحد قد صعّدوا فوق أسوار الشرفات على نحو يندب بالخطر، وكانوا يخرجون من داخل الحجرات المظلمة التي كانوا ينامون فيها في أعداد تتزايد وتتزايد، وكانت تتطاير هنا وهناك أشياء لا يمكن تمييزها، كان يلقيها خاصة أولئك الأتباع

المتحمسون نحو خصومهم، وكانت هذه الأشياء تبلغ هدفها أحيانا لكن أكثرها يسقط فى الشارع، حيث ترتفع بسببها صيحات الغضب من وسط الجمهور، وعندما ازدادت الضجة حتى لم يعد يحتملها قائد المظاهرة، وأصدر هذا الرجل أوامره إلى الطبول والأبواق لكي تتدخل، فانطلق دويها المتصل عاليا، حتى غطى على كل الأصوات البشرية، حتى ما كان يصدر منها من شرفات الأدوار العليا، ثم فجأة توقف ذلك الدوى الهائل، على غير توقع، فبدأت الجماهير التى كانت تملأ الشارع، والتى كانت تنتظر، على ما يبدو، أن تنتهى تلك الضجة المفاجئة، فى الهتاف بالأناشيد المختلفة، خلال ذلك الصمت المؤقت- وكان فى إمكان المرء أن يرى الأفواه المفتوحة على اتساعها فى ضوء اللمبات القوية الشبيهة بمصابيح السيارات، وظلوا على ذلك الصخب، حتى تاب خصوصهم ثانية إلى وعيهم، فانطلقوا فى الهتاف عشر مرات متتابعة بأقصى طاقة حناجرهم، من كل الشرفات والنوافذ، وبدا وكأن الصمت كان قد أطبق على أتباعهم المنتشرين فى الشارع، بعد هذا الانتصار المؤقت مباشرة، أو هكذا بدا الأمر لمن كان يقف على ارتفاع الذى كان يقف عنده كارل.

تساعت برونيلا التى كانت تستدير وتتولى خلف كارل، لكى تحاول أن ترى الموكب جيدا من خلال منظارها: "هل يروق لك هذا المشهد أيها الصبي؟!"

وأجابها كارل فقط بايماءة من رأسه، وقد لاحظ بنظرة من جانب عينه أن روبنسون كان منهمكا فى الحديث إلى ديلامارش على انفراد، ويبدو أن حديثه كان يدور حول نوايا كارل، لكن بدا أن ديلامارش لم يهتم اهتماما ملحوظا بما قاله له روبنسون، لأنه ظل يدفع روبنسون جانبا بيده اليسرى، وكان قد لف ذراعه اليمنى حول خصر برونيلا.

وتساعلت برونيلا، وهي تضرب كارل على صدره، لكي توضح له أنها تعنيه بقولها: "ألا تريد أن تنظر من خلال النظارة؟!"  
قال كارل: "إنني أرى جيداً"

فقالت: "حاول أن تنظر من خلالها، فسوف ترى في وضوح أكثر!"  
فأجابها كارل قائلاً: "إن لي عيني قويتين، ويمكنني أن أرى بهما جيداً!"  
ولم ير كارل في عرضها هذا شيئاً من الاهتمام بأمره، بل اعتبره ازعاجاً ثقيلًا، عندما وضعت النظارة أمام عينيه، وهي تقول له:

- هنا، أنت! إلا أن كارل لم يستطع أن يرى شيئاً مطلقاً من خلالها.  
قال: "لا يمكنني أن أرى أي شيء!" وحاول أن يبعد النظارة عن عينيه، إلا أنها قبضت عليه بشدة، وكان رأسه مضغوطاً إلى صدرها، ولم يستطع أن يحركه إلى الخلف، أو إلى أي من الجانبين.  
قالت وهي تحرك المسمار: "قد يمكنك أن ترى الآن!".

فقال كارل: "لا، لا أرى أي شيء!" وظن أنه قد أراح على الرغم منه- في نهاية الأمر- روبنسون من أعبائه، لأن نزوات برونيلا التي لا تطاق كانت قد تركزت الآن عليه.

قالت: "متى، بحق الجحيم، ستري إذن!" وأدارت المسمار ثانية، وكان وجه كارل معرضاً لتنفسها الثقيل، وتساعلت:  
- الآن؟

فصاح كارل: "لا..لا..لا!"، مع أنه كان قد تمكن من أن يميز كل شيء من خلال النظارة لحظتها بالفعل، وإن يكن في شيء من الغموض، وفكرت برونيلا، عندئذ في شيء تقوله لديلامارش، فرفعت المنظار بخلاعة أمام وجه كارل الذي تمكن دون أن تلاحظه من أن يختلس النظرات إلى الشارع من

تحت المنظار ولم تستمر فى إصرارها على أن تحمله على النظر من خلال المنظار بعد ذلك، وراحت هى تتطلع إلى الشارع من خلاله.

وخرج من المطعم أحد السفرجية، وكان يندفع فى عجلة إلى الداخل والخارج، وهو يتلقى الأوامر من قادة المظاهرة، وكان فى إمكان المرء أن يراه، وهو يتلقى الأوامر من قادة المظاهرة، وكان فى إمكان المرء أن يراه، وهو يقف على أطراف أصابعه، لكى يتطلع إلى داخل المطعم، ويستدعى من يجده من سفرجية المطعم ليعاونه فى إعداد ما كان يبدو حفلة شراب بالمجان، ولم يتوقف المرشح عن الكلام، وظل الرجل الذى كان يحمله يدور حول نفسه قليلا قليلا، بين الحين والآخر، حتى يبدو المرشح وكأنه يوجه خطابه مباشرة إلى كل أنحاء الحشد، وظل المرشح جالسا القرفصاء أغلب الوقت، وحاول بتلويح يده الطليقة إلى الخلف، وبتحريك قبعته العالية بيده الأخرى، أن يؤكد كلماته على نحو ما، لكن انطلاقه فى الخطابة كان يزداد بعد فترات منتظمة تقريبا، فكان ينهض فأراد انزاعيه على امتدادهما، ولا يوجه خطابه عندئذ إلى مجموعة واحدة من الناس، بل إلى الجماهير المحتشدة جميعا، تحدث إلى كل الناس الذين فى مساكنهم، حتى أعلى الطوابق كان يوجه حديثه إلى من يسكنونها لكن كان يبدو فى وضوح أن أحدا لم يكن يسمعه حتى سكان الطوابق السفلى، وحتى لو كان فى إمكانهم سماعه، فإن أحدا لم يكن فى حاجة إلى الاستماع إليه، ذلك أن كل نافذة، وكل شرفة، كان يحتلها خطيب واحد على الأقل، يتدفق فى الصباح، وكان عدد من السفرجية قد حملوا مائدة كبيرة وضعوها خارج المطعم وكانت هذه الترابيزة مغطاة بكؤوس مترعة لا حصر لها، كانت تلك المائدة فى حجم مائدة البلياردو، ونظم قائد المظاهرة عملية توزيع الشراب على الجمهور، فكان الناس يسيرون أمام المطعم فى طابور، يمر بتلك المائدة،

وعلى الرغم من أن كل تلك الكؤوس كانت تملأ ثانية المرة بعد المرة، إلا أنها لم تكن تكفى الغوغاء الذين كانوا يملأون الشارع، وكان على فرقتين من السقاة، أن تندسا وسط الحشد على كلا الجانبين لكى توزعا المشروبات على أكبر عدد ممكن، كان المرشح قد توقف بالطبع عن الخطابة، وكان قد استغل السكون الذى ساد المكان فى استعادة نشاطه، وتقدم الرجل الذى يحمله ببطء إلى الأمام، وإلى الخلف مبتعدا به قليلا عن الزحام، وعن الضوء الشديد، وكان يلتف حوله، ويتبعه حيثما ذهب عدد قليل من مساعديه المقربين، ويشيرون إليه بتعليماتهم.

قالت برونيلدا: "انظر إلى الصبى، إنه مستغرق فى الفرجة، حتى لقد نسى تماما أين هو!"، وأدارت وجه كارل فجأة بكتا يديها، إلى ناحيتها، حتى تتمكن من أن تحدق فى عينيه، لكن لم يستمر ذلك سوى لحظة قصيرة فقط، فقد أبعد كارل يدها فى الحال، فى ضيق لأنهم لا يتركونه فى سلام، ولقلقه أيضا، وتطلعه إلى الهبوط إلى الشارع، ومشاهدة المظاهرة عن كثب، وحاول بكل جهده أن يخلص نفسه من قبضة برونيلدا، قائلا: "أرجوك، دعيني أرحل!".

قال ديلامارش: "إنك سوف تبقى هنا!" دون أن يحول عينيه عن الشارع، بينما مد ذراعه فقط لكى يحول بين كارل وبين الخروج.

فقالت برونيلدا، وهى تبعد يد ديلامارش: "اتركه وشأنه، إنه سيبقى بالفعل!" وضغطت كارل بشدة إلى الدرايزين حتى اضطر إلى أن يجاهد طويلا لكى يخلص نفسه من ضغطها، وحتى لو تمكن من أن يتخلص منها فما الذى سيجنيه من ذلك، لقد كان ديلامارش يقف إلى يساره، وكان روبنسون قد تحرك الآن إلى يمينه، وكان هو سجيننا بالفعل بينهم.

قال روبنسون، وهو يربت على كارل بيده التى دسها تحت نراع برونيلدا: "عليك أن تعد نفسك محظوظاً، لأن أحدا لم يلق بك إلى الشارع!" فقال ديلامارش: "يلقى به إلى الشارع؟! لا يمكنك أن تلقى بلص هارب إلى الشارع، وإنما عليك أن تسلمه إلى البوليس، وقد يحدث له هذا بالفعل فى صباح الغد، إن لم يلزم الهدوء!"

لم تعد ثمة متعة يمكن أن يجنيها كارل من التطلع إلى المشهد الذى يشغل الشارع بعد ذلك لأنه لم يعد يحتمل التطلع إليه على حين تضغط عليه برونيلدا ولم يتمكن من أن يقف منتصبا، ولذا مال إلى الأمام قليلا نحو الدرايزين، وراح يتطلع فى شرود الذين فى الشارع لاستغراقه فى همومه الخاصة، وكان الناس يتقدمون نحو المائدة التى أمام المطعم، فى جماعات تتألف من نحو عشرين شخصا، فيتناولون الكئوس، ويستديرون حول أنفسهم ويلوحون بها فى اتجاه المرشح الذى كان يستريح وقتها من المجهود الذى قام به، ويهتفون بالشعارات الحزبية، ومن ثم يفرغون الكئوس فى جوفهم، ويضعونها فارغة فوق المائدة فى صليل كان يحدث عن تصادم الكئوس ببعضها البعض، إلا أنه لم يكن مسموعا بالطبع، عند هذا الارتفاع، ثم يفسحون فى الحال مكانا للمجموعة التالية الصاخبة الفارغة الصبر، وخرجت الفرقة الموسيقية تلبية لرغبة قادة الحزب، من داخل المطعم، إلى الشارع وكانت آلات النفخ تلمع فى الظلام وسط الحشود، إلا أن الموسيقى التى عزفتها تلك الفرقة ضاعت وسط الضوضاء التى كانت تسود الشارع كله، وكان الشارع الآن، فى الجانب الذى يقع فيه المطعم على الأقل مزدحما ازدحاما شديداً بال جماهير، وكان الناس يتدفقون من أعلى التل، حيث جاء التاكسى الذى استقله كارل هذا الصباح، إلى أسفل الشارع ومن أقصى منحدر الشارع من القنطرة التى كان ينتهى الشارع عندها، كان الناس



يصعدون المنحدر نحو المطعم، وحتى الناس الذين كانوا فى بيوتهم وقتها لم يتمكنوا من أن يقاوموا إغراء المشاركة الشخصية فى ذلك الحدث، وفى الشرفات، وفى النوافذ لم يكن قد تبقى أحد تقريبا، فيما عدا النساء والأطفال على حين كان الرجال يتدفقون من أبواب المنازل إلى الشارع، وكانت الموسيقى والشراب المجانى قد حققا الآن غايتهما، فقد كان الاجتماع هائلا جدا الآن، وأشار واحد من قادة المظاهرة كانت تحيط به اللمبات الشديدة الضوء على كلا جانبيه، إلى الفرقة الموسيقية بأن تتوقف عن العزف، وأطلق صفيرا، واستدار فى الحال الرجل الذى كان يحمل المرشح، مسرعا، وأمكن رؤيته وهو يتقدم خلال ممر مهده له المساعدون وسط الجماهير.

وكان المرشح قد بلغ باب المطعم تقريبا، عندما شرع فى إلقاء خطبة جديدة فى ضوء اللمبات الرئيسية، التى ركزت الأضواء عليه الآن فى حلقة ضيقة، إلا أنه لم يكن مرتاحا فى وضعه كما كان من قبل، وكان الرجل الهائل الجسم الذى كان يحمله، كاد يكون عاجزا عن الحركة الحرة، أمام ضغط الزحام البالغ الشدة، ولم يكن فى إمكان مساعديه المقربين الذين بذلوا أقصى طاقتهم من قبل فى محاولة تعظيم أثر كلماته فى الجماهير، أن يبقوا بالقرب منه إلا بصعوبة بالغة، كان عشرون منهم فقط قد تمكنوا من الاحتفاظ بأماكنهم حول المرشح، أما الرجل الضخم الهيئة الذى يحمل ذلك المرشح فلم يكن يخطو الآن خطوة واحدة بكامل إرادته، وكان من المستحيل أن يفكر فى محاولة السيطرة على تلك الحشود المندفعة، ولم يتمكن من أن يستدير ليووجه هذا الجانب أو ذاك، ولم يكن له أن يتقدم إذا شاء، أو يتراجع، كان الحشد الغوغائى يندفع فقط إلى الأمام وإلى الخلف بلا خطة، أو هدف واضح، وكان كل شخص يدفع جاره، ولم يكن فى مقدور

أى شخص مطلقاً أن يثبت لحظة واحدة على قدميه، وبدا كما لو كان الحزب المعارض قد حاز عدداً من الأنصار الجدد، كان الرجل الذى يحمل المرشح، قد ترك نفسه ينحرف الآن فى كلا اتجاهى الشارع، دون أن يبذل أدنى مقاومة، بعد أن كان قد قاوم للحظة حركة المد والجزر أمام باب المطعم، وكاد المرشح لا يزال يلقي بكلماته، إلا أنها لم تعد واضحة، فهل كان يسرد الخطوط الأساسية لبرنامج، أو كان يصيح طالباً النجدة؟! وما لم يكن كارل مخطئاً، فقد رأى مرشحاً منافساً قد ظهر، أو عدداً من المرشحين المتنافسين فيما يبدو، ذلك لأن بعض الأشخاص كانوا يرتقون فوق أكتاف الجماهير، هنا وهناك، عندما كان الضوء يسطع فجأة، فليقون الخطب بوجوههم الشاحبة، وقبضاتهم المضمومة، وكان الجمهور يهلهل مبتهجا لخطبهم التى كانوا يلقونها بلا استثناء.

تساءل كارل قائلاً: "مالذى يحدث فى الشارع بحق الجحيم؟"

واسبتدار فى حيرة إلى حراسه، منقطع الأنفاس.

فقالت برونيلدا لديلمارش، وهى تتناول نقر كارل لكى تدير وجهه

ناحيته:

-- كم يثير ذلك اهتمام الصبى؟!

إلا أن كارل لم يقبل ذلك، وقد دفعه ما كان يجرى أمامه فى الشارع، إلى شيء من الطيش، فأتى بحركة مفاجئة، حتى أن برونيلدا لم تتركه فقط بل تراجعت عنه مبتعدة، وتركته فى حاله.

قالت له، وقد أغضبها سلوكه على ما يبدو: "لقد رأيت ما يكفيك الآن من هذا المشهد، فادخل إلى الحجر، ورتب الفراش وجهاز كل شيء لليلة!" وأشارت له نحو الحجر، وقد كان هذا هو الاتجاه الذى كان يتوق إلى أن يتجه إليه منذ ساعات، فلم يبد اعتراضاً على الإطلاق.

ثم ارتفع من الشارع صوت تحطم زجاج، فلم يستطع كارل أن يمنع نفسه من العودة، وقفز قفزة سريعة إلى الدرايزين، لكي يلقى نظرة أخيرة إلى الشارع، كان صدام هائل قد وقع بين الجوانب المتعارضة، ولا بد أنه كان صداما حاسما، وكانت مصابيح العربات الأمامية التي كانت من أعوان المرشح، والتي كانت تلقي ضوءا شديدا على الشخصيات الرئيسية على الأقل، وتتيح بالإضافة إلى ذلك نوعا ما من الإضاءة العامة التي تسيطر على الموكب كله بصورة ما، قد تهشمت جميعا في وقت معا، وكان المرشح، والرجل الذي يحمله قد غابا الآن في إضاءة الشارع العمومي الخافتة، التي كان لها فجأة تأثير الظلام الحالك، بعد اختفاء ضوء اللمبات الساطعة الإضاءة، ولم يستطع أى شخص أن يدرك، ولو على وجه التقريب مكان المرشح، وكان قد زاد في وطأة الظلام ارتفاع أصوات فرقة كانت تنشد في تآلف نشيدا ما، وكانت أصوات تلك الفرقة قد ارتفعت فجأة وأخذت تقترب، صاعدة المنحدر، من ناحية القنطرة.

قالت برونيلا: " ألم أقل لك ما يجب عليك أن تفعله"، وأضافت قائلة، وهى تمد ذراعيها فوق رأسها، حتى برز صدرها إلى الأمام أكثر مما كان عليه بروزه من قبل: "هيا، أسرع، فأنتى متعبة!" وسحبها ديلا مارش الذى كانت ذراعه لا تزال تلتف حولها إلى أحد أركان الشرفة، وتبعهما روبنسون لكي يخلى طريقهما من بقايا عشائه الذى كان يتناثر فوق أرضية الشرفة.

ولم يكن له أن يدع تلك الفرصة المواتية تقلت منه، ولم يعد الآن أمام كارل أن يتطلع إلى الشارع، فسوف يرى الكثير مما يجرى فيه عندما يهبط إليه الآن، وسوف يرى تلك المظاهرة بصورة أوضح مما يراها عليه الآن من هذا الارتفاع، وفى قفرتين كان كارل قد عبر الحجرة بضوئها الأحمر القاتم، لكن كان الباب مغلقا، ولم يكن المفتاح موجودا فيه، لا بد إذن من أن يجد

المفتاح فى الحال، لكن من ذا الذى يتوقع أن يجده وسط هذه الفوضى، وفى فسحة ضئيلة من الوقت الثمين فوق ذلك، وقت ربما كان يمكن لكارل أن يدبر فيه أمره كما يحلو له، كان عليه الآن أن يكون فوق درجات السلم، يجرى ويجرى، لكنه يبحث الآن عن ذلك المفتاح بدلا من هذا! بحث فى كل الأدراج التى كان يمكن فتحها، وفتش فوق المائدة، حيث كانت تتراكم أطباق عديدة، وفوط سفرة، وقطع من القماش قد بدء فى تطريزها، ثم بعد ذلك أغراه البحث فى تلك الكومة المضطربة المشوشة من الملابس القديمة التى كانت تتكوم فوق المقعد نى المساند، فلعل المفتاح أن يكون فى طياتها، إلا أنه لم يجد له أثرا، فاندفع أخيرا نحو الأريكة، التى كانت تفوح منها بالفعل رائحة كريهة، لكى يتحسس كل زواياها وأركانها بحثا عن المفتاح، ثم توقف عن البحث فى وسط الحجرة! وقال لنفسه: لاشك أن برونيلا تحتفظ بذلك المفتاح فى حزامها، وعلى هذا فمن العبث البحث عنه فى كل تلك الأشياء الملقاة هنا.

واختطف كارل سكينين، دفعهما بين مصراعى الباب، أحدهما إلى أعلى، والأخرى إلى أسفل، لكى يضغط على اللسان بأقصى ما يمكنه من القوة من مكانين مختلفين، لكنه ما كاد يضغط على السكينين، حتى انكسر نصلاهما، ولم يكن كارل يأمل فى شيء أفضل من هذا، فقد كانت بقية النصلين اللذين يمكنه بهما أن يضغط عن قرب، فوق لسان الكالون، تضغطان الآن على ذلك اللسان بقوة، ولواهما الآن فى عنف، وكانت ذراعا مفرودتين، وقدماه متباعدين، وكان يلهث من المجهود، لكنه كان يرقب الباب فى الوقت نفسه بغاية الاهتمام، لن يتحمل ذلك اللسان طويلا هذا الضغط، وقد أدرك كارل ذلك فى فرح من خلال تحرك اللسان بصوت مسموع فى داخل الكالون لكن من الأفضل أن يتحرك ببطء فلا ، يجب أن

يتحرك مرة واحدة، وإلا سمعوا من الشرفة صوت انفتاحه، يجب أن يفتح بالتدريج، واستمر كارل فى محاولته بغاية الحذر، حتى يتم له ذلك، وهو يقترب بوجهه من الكالون أكثر فأكثر.

وسمع صوت ديلامارش يقول: "انظر إلى هذا!"، كان ثلاثتهم يقفون فى داخل الحجرة، وكانت الستارة قد أسدلت بالفعل خلفهم، ولم يكن كارل قد أحس بهم عندما دخلوا إلى الحجرة وترك السكينين عندما وقع نظره عليهم، إلا أنه لم يكذب وقتا لكى يتفوه بكلمة واحدة على سبيل التفسير أو الاعتذار، فقد اندفع ديلامارش نحوه فى هياج أشد مما يتطلبه الموقف، وكان رباط رداءه الليلى المفكوك قد طار فى الهواء، وزاغ منه كارل فى اللحظة المناسبة متجنباً هذا الهجوم، وكان فى مقدوره أن ينتزع السكين من بين مصراعى الباب ويحتمى بهما، إلا أنه لم يفعل، وغطس بدلاً من ذلك إلى أسفل، ثم قفز إلى أعلى ممسكاً بياقة رداء ديلامارش العريضة، وجذبها، وراح يجذبها أكثر إلى الأمام، وكان الرداء واسعاً على ديلامارش للغاية، فاستطاع كارل عندئذ لحسن الحظ، أن يمسك برأس ديلامارش، الذى فوجئ، وراح يتخبط بيديه فى الهواء، فى البداية، ثم بعد دقيقة أو دقيقتين راح يضرب كارل بقبضته، فوق ظهره، لكنه لم يكن يملك فى وضعه عندئذ أن يضرب بكل قوته، بينما اندفع كارل إلى صدر ديلامارش لكى يحمى وجهه من تلك الضربات، وتحمل كارل تلك الضربات التى كانت تجعله يتلوى من الألم، والتى كانت تزداد عنفاً، ومع ذلك فقد كان فى مقدوره أن يحتملها عندما ظن أن النصر كان يلوح له.

وبيديه حول رأس ديلامارش، وإبهاميه فوق العينين، دفع ديلامارش إلى طرف الحجرة المزدحم بالأثاث، وحاول فى نفس الوقت بطرف حذائه أن يلف الحبل الذى كان يتدلى من رداء ديلامارش حول ساقيه حتى يتعثر فيه.

ولما كان عليه أن يركز كل انتباهه على ديلامارش، الذى بدأ يشعر بمقاومته له تزداد شيئاً فشيئاً، وكان جسده القوى يرتدى عليه فى عنف متزايد، كان قد نسى بالفعل أنه لم يكن وحيداً فى الحجرة مع ديلامارش، فسرعان ما حدث له ما ذكره بهذه الحقيقة عندما طارت قدماه فجأة من تحته، وانزاح جانبا عندما دفعه روينسون الذى كان مستلقيا يصرخ خلفه، فوق الأرض، وخفف كارل قبضته التى كانت تقبض بشدة على ديلامارش، فتراجع هذا وهو يلهث، وكانت برونيلا، بساقيها المنفرجتين، وركبتيها المخلتتين تقف بكيانها الضخم فى وسط الحجرة، وهى تتابع المعركة بعينيهما المتألفتين، كما لو كانت تشترك هى أيضا فيها، فقد راحت تتنفس فى عمق، وهى تسدد نظراتها، وتمد قبضتيها فى ببطء، وأطاح ديلامارش بياقة رداءه إلى الخلف، فاستطاع أن يرى الآن جيدا، ولم تعد المسألة عندئذ تبدو فى شكل معركة، لكن ببساطة فى شكل عقاب، فقد أمسك ديلامارش بصدر قميص كارل ورفع من على الأرض، ودون أن ينظر إليه، لاستخافه به، قذفه بغاية العنف نحو صندوق كان على بعد بضعة خطوات، حتى لقد ظن كارل فى البداية، أن الآلام التى كان يشعر بها فى ظهره ورأسه من أثر لكمات ديلامارش، كانت هى النتيجة المباشرة لارتطامه بالصندوق: "أيها السافل"، كان يمكنه سماع صيحات ديلامارش هذه فى الظلام، فقد ارتفعت تلك الصيحة أمام عينيه اللتين تهتز نظراتهما، وبينما كان يتهاوى فاقد الوعى بجوار الصندوق كان لا يزال يسمع هذه الكلمات: "انتظر فقط قليلا!" وظلت هذه الكلمات تتردد فى أذنيه فى غموض.

وعندما عاد إليه وعيه، كان الظلام يغطى كل شيء حوله، ويبدو أن الوقت كان وقتا متأخرا جدا من الليل، ومن الشرفة كان لمعان ضوء القمر الخافت يدخل الحجرة من خلال الستارة، وكان يسمع تنفس النائمين الثلاثة

بانتظام، وكانت أعلى أصوات تنفسهم ارتفاعا، هو صوت برونيلا، التي كانت تشخر فى نومها، كما كانت تفعل أحيانا فى حديثها، لكن لم يمكنه أن يحدد أين كان هؤلاء الأشخاص الثلاثة يستلقون، فقد كانت الحجرة كلها تردد أصوات تنفسهم، ولم يفكر كارل فى نفسه إلا عندما تفحص ما حوله للحظة قصيرة، ثم فوجئ بشئ انزعج له انزعاجا بالغا، مع أنه كان عاجزا تماما، وقد تجمد فى مكانه من الألم إلا أنه لم يكن قد تخيل أنه قد أصيب بمثل تلك الجراح التى سألت منها تلك الدماء، ثم أحس الآن بثقل فى رأسه، وفى وجهه كله، وعنقه، وصدره تحت القميص بدا كما لو كان مبللا بالدم، لهذا يجب عليه أن يذهب إلى الضوء لكى يتفحص حالته تماما، فربما كانوا قد أصابوه بالعجز التام، وسوف يكون ديلامارش سعيدا فى هذه الحالة عندما يسمح له بالرحيل، لكن ما الذى يأمل فيه لو اتضح أن الأمر كان كذلك، إنه لن يطمح إلى أى شئ على الإطلاق، وتراءى له الصبى ذو الأنف المتاكل، فدفن وجهه للحظة بين راحتيه.

ثم استدار رغما عنه إلى الباب الخارجى، وشق طريقه إليه على أطرافه الأربعة، ثم وقعت أصابعه على حذاء، ثم ساق، لابد أن هذا هو روبنسون، فمن غيره ينام منتعلا حذاءه؟ ولا بد أنهما قد أمراه بأن ينام أمام الباب لكى يمنع كارل من الهرب، لكن ألم يلحظا عندئذ الحالة التى كان عليها كارل؟ لم يكن كارل يفكر الآن فى الهرب، كان يريد فقط أن يصل إلى الضوء، فإن لم يستطع لهذا أن يخرج من الباب، فعليه أن يتجه نحو الشرفة.

وفى طريقه وجد أن مائدة الطعام كانت تستقر فى مكان مختلف تماما عن مكانها فى الليلة السابقة، وكانت الأريكة التى اقترب منها بغاية الحذر، خالية لدهشته، لكنه كان قد بلغ كومة عالية من الملابس المضغوطة رغم ارتفاعها، والبطاطين، والستائر، والوسائد، والسجاجيد، وقد ظنها فى

البداية مجرد كومة صغيرة، كتلك الكومة التي وجدها عند طرف الأريكة فى الليلة السابقة، كومة ربما تكون قد سقطت إلى الأرض، إلا أنه اكتشف لدهشته عندما تقدم فى زحفه أن حمولة عربية نقل كاملة كانت قد وضعت هنالك، ويحتمل أن تكون قد وضعت لاستخدامها كفراش فى أثناء الليل، ولا بد أنها كانت قد أخرجت من الصناديق التى توضع بداخلها فى أثناء النهار، وزحف كارل عن يمين تلك الكومة، وسرعان ما تحقق من أن تلك الكومة كانت تكون فراشا، فوجه، كما تحسس فى حذر، كان ينام ديلامارش وبرونيدا.

وهكذا أدرك الآن أين كان الثلاثة ينامون، فأسرع إلى الشرفة، كانت الشرفة عالما مختلفا تمام الاختلاف فى الجانب الآخر من الستارة، ونهض كارل فى الحال على قدميه.

وتمشى فى الهواء الليلي المنعش عدة مرات فى الشرفة ذهابا وجيئة فى ضوء القمر الساطع، وتطلع إلى الشارع، كان هادئا تماما، وكانت الموسيقى لا تزال تنبعث من المطعم، لكنها كانت الآن أشد تأثيرا.

وكان ثمة رجل يغسل الرصيف أمام باب المنزل، وفى الشارع الذى كانت الضجة الهائلة تغطيه منذ ساعات قليلة، حتى أن صيحات المرشح، لم تكن مسموعة وسط ضجيج آلاف الأصوات الأخرى، كان يسمع الآن فى وضوح حفيف الكنسة فوق البلاطات الحجرية.

وكان الصوت الذى أحدثته أرجل المنضدة فى الشرفة المجاورة، قد نبه كارل إلى أن شخصا كان يجلس فى تلك الشرفة، مستغرقا فى القراءة، كان شابا له ذقن صغيرة مدببة، راح يفتلها دائما وهو يقرأ، وكانت شفثاه تتحركان بسرعة فى أثناء ذلك، كان يواجه كارل فى جلسته إلى تلك المنضدة الصغيرة المغطاة بالكتب وكان قد تناول المصباح الكهربائى الذى كان قد



وضعه فوق السور، واسنده بين كتابين ضخمين، وهكذا كان يجلس الآن فى ضوء شديد يبهر النظر.

قال كارل، الذى ظن أن الشاب كان ينظر إليه "مساء الخير!" لكن لعله كان مخطئاً فى ظنه هذا، فقد بدا أن ذلك الشاب لم يكن يدرك وجوده، فقد وضع يديه فوق عينيه، ليظلهما من الضوء، وراح يبحث عن حدث إليه فجأة، ثم رفع المصباح الكهربائى إلى أعلى لكى يلقى بعض الضوء على الشرفة المجاورة، وكان لا يستطيع أن يرى أى شيء.

ثم قال عندئذ بدوره، فى نظرة فاحصه، مقتضبة: "مساء الخير!"، ثم أضاف قائلاً: "وماذا تريد؟".

تساءل كارل قائلاً: "هل أزعجتك؟".

فقال الشاب "بالطبع، بالطبع!"، وهو يعيد المصباح ثانية إلى مكانة السابق.

ولا شك أن هذه الكلمات لم تشجع كارل على أن يحاول مواصلة الحديث، إلا أن كارل لم يغادر فى الوقت نفسه ذلك الركن من الشرفة القريب من الشاب، وراح يرقبه فى صمت وهو يقرأ، ويقلب الصفحات، أو يتطلع من حين لآخر إلى شيء ما فى كتاب آخر، كان يختطفه دائماً فى سرعة البرق، وكان غالباً ما يكتب بعض المذكرات فى مفكرة، كان يكتبها ووجهه ملتصق بالورقة إلى حد يثير الدهشة.

هل يمكن أن يكون هذا الشاب طالباً؟ كان يبدو طالباً لا شك، وكان كارل- وإن يكن قد انقضى الآن وقت طويل على هذا- يجلس بهذه الصورة تقريباً فى منزله، إلى مائدة كتابة والديه، لكى يكتب واجباته المدرسية، بينما يقرأ والده الصحيفة، أو يودى أعماله التجارية، أو مراسلاته الخاصة بالمؤسسة التى يعمل بها، وتنشغل أمه بالتطريز، وهى تسحب الخيط من

القماش بيدها إلى أعلى، ولكي يتجنب إزعاج والده، اعتاد كارل أن يضع كراسة التمرينات المدرسية فقط، وأدواته الكتابية على المنضدة، بينما يرتب بقية كتبه على المقاعد عن يمينه ويساره، فكم كان كل شيء هادئاً هناك! وكان كارل وهو طفل صغير يسر دائماً سرورا زائداً، عندما كان يرى أمه وهي تدير المفتاح في الباب الخارجى لتفتحه أحياناً، لا شك أنها لا تدرى الآن شيئاً عن أن كارل قد بلغ به الأمر حداً حاول معه فتح أبواب الغرباء بالقوة باستخدام السكاكين.

وماذا كانت نتيجة استنكاره؟ لقد نسى كل شيء، فلو كانت قد أتاحت له الفرصة مواصلة دراسته هنا، فلا بد أنه كان سيجدها عبئاً شاقاً، وقد تذكر الآن أنه كان قد مرض ذات مرة، فى منزله، مرضاً استمر شهراً كاملاً، وتذكر كم كلفه انقطاعه عن دراسته فى أثناء ذلك الشهر، لقد كلفه مجهوداً مرهقاً حتى تمكن من متابعة دراسته التى انقطعت، مرة أخرى، والآن فهى هو ذا لم يقرأ كتاباً واحداً منذ تلك المدة الطويلة، فيما عدا كتاب المعاملات التجارية الذى كان مكتوباً بالإنجليزية.

وسمع كارل فجأة صوتاً يقول له: "أيها الفتى، ألا يمكنك أن تقف فى مكان آخر؟ إنك تزعجنى، غاية الإزعاج، وأنت تحرق فى على هذا النحو، فبعد الساعة الثانية صباحاً، لا شك أن المرء يتوقع أن يتمكن من العمل فى الشرفة، فى هدوء، هل تريد شيئاً منى؟!".

فسأله كارل قائلاً: "هل تدرس؟!".

فقال الشاب، وهو يحاول الاستفادة بهذه اللحظات الضائعة فى إعادة

ترتيب كتبه:

-نعم..نعم!

فقال كارل: "إنن، فلن أعطلك، وسأدخل ثانية إلى الحجرة، وطابت ليلتك

على أية حال!".

ولم يرد الشاب مطلقا، وعاد ثانية إلى كتابه فى همة، بعد أن تخلص من ذلك الإزعاج، وكان رأسه يستند بكل ثقله إلى يده اليمنى.

لكن قبل أن يبلغ كارل الستارة، تذكر ما كان قد خرج من أجله، فلم يكن يعلم مدى إصابته، ولم يكن يدرى ما الذى كان يحس به ثقيلًا لى حد ما فوق رأسه، ووضع يده إلى أعلى رأسه، وحملق فى دهشة، لم يكن هناك جرح يدمى كما تصور عندما كان فى الظلام داخل الحجرة، لكن فقط عصابة تشبه العمامة كانت لا تزال مبتلة، وتبين من الأهداب الصغيرة التى كانت تتدلى هنا وهناك، والتى إتضح أنها كانت طرف قطعة من الدانتلا، تبين كارل أنها كانت خرقة قد مزقت من أحد قمصان نوم برونيلدا القديمة، لا بد أن روبنسون كان قد لفها فى سرعة حول رأسه، إلا أنه كان قد نسى أن يعتصرها، فبينما كان كارل فاقدًا وعيه، كان الماء يقطر فوق وجهه، ويتسرب تحت قميصه، وكان ذلك هو ما سبب له تلك الصدمة.

تساءل الشاب، وهو يحملق فيه عبر الشرفه هل مازلت هنا؟

فقال كارل: "إننى ذاهب الآن بالفعل، لقد كنت أريد فقط أن أتفحص شيئًا ما إن الظلام شديد" جدا بالداخل فقال الشاب وهو يضع قلمه فوق الكتاب المفتوح أمامه، ويتقدم نحو الدرايزين: "لكن من أنت؟ ما هو اسمك؟ وكيف جئت إلى هؤلاء الناس؟ وهل لك وقت طويل هنا؟ وما الذى كنت تريد أن تتفحصه؟ افتح النور الكهربائى هناك، ألا تريد، افتحه حتى أتمكن جيدا من رؤيتك!".

ونفذ كارل ما طلبه منه، لكنه قبل ذلك، سحب الستارة، وأحكم إغلاقها لى يمنع من بالداخل من ملاحظة أى شيء، وقال هامسا: "اعذرنى، لأننى لا يمكننى أن أرفع صوتى أكثر من ذلك، لأنهم لو سمعونى، فسوف تحدث ضجة أخرى!"

تساءل الشاب قائلاً: "أخرى؟"

فقال كارل: "نعم لقد حدثت بينى وبينهم معركة شديدة هذا المساء، ولا بد أننى قد أصبت بضربة شديدة للغاية فوق رأسى، وتحسس مؤخرة رأسه. وتساءل الشاب قائلاً: "وما سبب تلك المعركة؟"، وعندما لم يجبه كارل فى الحال، قال له الشاب: "يمكنك أن تصرح لى فى اطمئنان، بكل ما لديك ضد هؤلاء الناس، فأنا أمقتهم جميعاً، وخاصة السيدة، وبالإضافة إلى ذلك، فما يدهشنى هو أن أجدهم قد حذروك بالفعل منى، إن اسمى هو "جوزيف مندل"، وأنا طالب

قال كارل: "حسناً، لقد تحدثوا إلى عنك بالفعل، لكنهم لم يقولوا شيئاً سيئاً عنك، فأنت قد عالجت برونيلدا ذات مرة، ألم تفعل؟!"  
قال الطالب ضاحكاً: "هذا حق! وهل تفوح الأريكة بنتن تلك الرائحة حتى الآن؟!"

فقال كارل: "نعم لا تزال!"

وقال الطالب: "إن هذا يسعدنى على كل حال!" ومر بأصابعه فوق شعره، ثم أضاف قائلاً: "ولماذا وجهوا إليك تلك الضربات فوق رأسك؟!"  
قال كارل: "لقد نشبت مشاجرة بيننا!"، واحترار فى كيفية تفسير الأمر كله له، ثم عاد، فألح مرة أخرى متسائلاً: "لكن ألا أسبب لك ازعاجاً الآن؟!"  
قال الطالب: "أولاً، لقد تسببت بالفعل الآن فى ازعاجى، وأننى لسوء الحظ شخص عصبى جداً، حتى أننى أستغرق وقتاً طويلاً جداً لكى أعود إلى حالتى التى كنت عليها من قبل، فممنذ أن رحمت تتمشى فى الشرفة، لم أتمكن من متابعة قراعتى، ومن ناحية أخرى، فإننى دائماً أستريح، حوالى الساعة الثالثة صباحاً، وعلى هذا فليس لك أن تتردد فى إخبارى بما سألتك عنه، وبالإضافة إلى ذلك، فإننى مهتم بهذا الأمر!"

قال كارل: "إنه أمر غاية فى البساطة، فديلامارش يريدنى أن أبقى لكى أعمل خادما له، لكننى لا أريد ذلك، وكنت أريد مغادرة هذا المكان الليلة، إلا أنه لم يسمح لى بالرحيل، ولقد أغلق الباب، وحاولت أن أفتحه بالقوة، ثم حدثت المشاجرة، وما زلت هنا لسوء الحظ!"

فتساءل الطالب قائلاً: "ولماذا ترحل، هل عثرت على عمل آخر؟!"  
فقال كارل: "لا، إلا أن هذا لا يهمنى مطلقاً، لو أمكننى فقط أن أغادر هذا المكان!"

فقال الطالب: "ماذا لا يهمنى هذا مطلقاً؟ ألا يهمنى؟!" وصمت كلاهما لحظة، ثم قال الطالب متسائلاً فى النهاية: "ولماذا لا تريد أن تبقى مع هؤلاء الناس؟"

وأجاب كارل قائلاً: "إن ديلامارش رجل شرير، ولقد اصطدمت به من قبل، فقد تجولت معه يوماً كاملاً ذات مرة، ثم أسعدنى أن أتخلص من صحبته، فهل يمكننى أن أصبح خادمه الآن؟!"

فقال الطالب، وبدا وكأنه كان يبتسم: "لو كان كل الخدم مثلك يدققون طويلاً فى اختيار سادتهم! استمع إلى، إننى أعمل بالنهار كبائع، وهى وظيفة بائسة أقوم فيها بتسليم البضائع إلى المشتريين، وهى لا تكاد تفترق فى شىء عن وظيفة ساع، فى مخزن (منتلى) الكبير، أن منتلى هذا هو شخص سافل، لاشك فى هذا، إلا أن هذا لا يثيرنى، إن ما يهمنى بالفعل هو الأجر، وهو أجر حقير مع هذا، فلتضع هذا فى اعتبارك!"

فقال كارل: "ماذا؟ هل تعمل فى أثناء النهار كبائع، وتستذكر طوال الليل؟"

قال الطالب: "نعم، لا يمكنك أن تفعل شيئاً آخر، ولقد حاولت أن أعمل كل مايمكن عمله، إلا إننى وجدت أن هذا هو أفضل الطرق جميعاً، إننى لا

أفعل شيئاً سوى الدراسة ليلاً ونهاراً منذ عدة سنوات، وغالباً لا أستطيع الانتظام فى المحاضرات، فالجراحة لا تواتينى بالذهاب فى هذه الملابس التى أملكها إلا أننى انتهيت من هذا كله الآن وقال كارل وهو ينظر إلى الطالب فى حيرة: "لكن متى تنام؟!"

قال الطالب: "أوه.. النوم!"، إننى أحصل على قليل من النوم عندما أنتهى من مذاكرتى، وأننى أعمل على أن أبقى مستيقظاً بتناول القهوة السوداء! وأستدر حوله، وتتاول زجاجة كبيرة من تحت المنضدة وصب القهوة السوداء من الزجاجاة فى قدح صغير، وصبه فى جوفه، كما لو كانت تلك القهوة دواء يتجرعه حتى يمكنه أين يتجنب مرارة طعمه.

قال الطالب: "رائعة تلك القهوة السوداء!"، ومن سوء الحظ، أنك تبعد عنى كثيراً، وإلا كنت قد أعطيتك بعضاً منها الآن!"

قال كارل: "إننى لا أحب القهوة السوداء!"

ورد عليه الطالب ضاحكاً: "ولا أنا، إلا أننى بدونها، ماذا عسائ أن أفعل؟ فلو لم أتناول تلك القهوة السوداء، لما رأتى منتلى دقيقة واحدة، وأقول منتلى، على الرغم من أنه بالطبع لا يكاد يشعر بوجودى، إننى لا أستطيع ببساطة أن أدخل المحل دون أن أحمل معى زجاجة كبيرة كهذه، أضعها تحت الطاولة، ذلك أننى لا أجرؤ مطلقاً على المغامرة بالإقلاع عن تناول القهوة، وصدقنى، فلو أننى فعلت ذلك لتدحرجت تحت الطاولة فى نوم كأنه الموت، ولقد فطن الآخرون لسوء الحظ، إلى ذلك، فأطلقوا على لقب (القهوة السوداء)، نكتة سخيفة، إلا أننى واثق من أنها قد دمرت حياتى العملية بالفعل.

وتساءل كارل: "ومتى ستنتهى من دراستك؟!"

فقال الطالب مطرقا برأسه: إننى أتقدم فيها ببطء! ثم ترك الدرايزين، وجلس ثانية إلى المنضدة، ووضع مرفقيه فوق الكتاب المفتوح، ومر بأصابعه خلال شعره، ثم قال: "قد تستمر سنة أخرى، أو سنتين!"

قال كارل: "إننى أريد أن أدرس أنا أيضا!"، قالها وكأن مجرد تصريحه بهذه الرغبة كان يعطيه الحق فى أن يتساوى تماما مع الطالب، الذى صمت الآن، عندما تبين أنه قد أصبح قدوة.

قال الطالب: "حقا؟!"، ولم يكن واضحا تماما لكارل لحظتها، هل كان يعيد قراءة دروسه، أم كان ينظر فحسب إليه فى شرود! ثم عاد يقول: "لعلك أن تكون سعيدا لأنك قد تركت دراستك بالفعل، ولقد واصلت أنا دراستى هذه حتى الآن، فقط لمجرد الرغبة فى المواصلة، أننى أشعر أحيانا بشيء من الرضا، ويفعم نفسى فى أحيان أخرى أمل واه فى المستقبل، فما هو الشيء الذى يمكننى أن أطمح إليه؟ أن أمريكا تمتلئ بالطباء الدجالين!"

فقال كارل مسرعا، عندما بدا الطالب وكأنه يفقد اهتمامه بكل شيء: "لقد طمحت إلى أن أكون مهندسا ميكانيكيا!"

فقال الطالب، وهو يتطلع لحظة إلى أعلى: "والآن يتعين عليك أن تصبح خادما لهؤلاء الناس، وإن هذا يضايقك بالفعل!"

توصل الطالب إلى هذه النتيجة لأنه لم يفهم تماما ما كان كارل يقصده، إلا أن كارل أحس لحظتها بأن فى إمكانه أن يحول هذه الفكرة لصالحه، ولهذا فقد تساءل قائلا: "لعلى أجد وظيفة فى المخزن أنا أيضا!"

وانترزع هذا التساؤل الطالب بعيدا عن كتابه تماما، كانت فكرة مساعدته لكارل فى الحصول على وظيفة كتلك أبعد ما تكون عن باله، فقال: "حاول أن تحصل على هذه الوظيفة، أو لا تحاول، إن حصولى على وظيفة عند منتلى هو أعظم نجاح أحرزته فى حياتى، فلو كان لى أن أختار إحداهما،

فسأختار الوظيفة بالطبع، ويمكننى أن أتخلى فى الحال عن دراستى لقد أنفقت طاقتى كلها فى محاولة حسم التردد فى هذا الأختيار!"

قال كارل محدثاً نفسه، قبل أن يوجه حديثه إلى الطالب: "إذن فمن الصعب إلى هذا الحد أن يجد المرء وظيفة عند منتلى!"

قال الطالب "لماذا، لماذا تظن أنه من الأسهل أن يتم تعيينك هنا قاضياً للحي، من أن تعين بواباً عند منتلى!"

وصمت كارل إن هذا الطالب الذى يتمتع بهذا القدر الهائل من الخبرة، والذى يكره ديلامارش لسبب غير معروف، والذى لا يحمل له بلا ريب أية ضغينة، لا يستطيع أن يشير له بكلمة واحدة تحمل أى معنى من معانى التشجيع على مغادرة ديلامارش، وهو لا يعلم مع ذلك أى شيء عن الخطر الذى يتهدد كارل من البوليس، هذا الخطر الذى لا يستطيع أن يحميه منه الآن سوى ديلامارش وحده.

- لقد رأيت المظاهرة فى الشارع هذه الليلة، ألم ترها؟ إن أى شخص لا يعرف ما هى الحال، يمكنه بسهولة أن يتخيل، ألا يمكنه أن يتخل أن المرشح لوبستر، وهذا هو اسمه، من الممكن أن يأمل إلى حد ما فى النجاح، أو على الأقل فى النظر إليه كمرشح جدير بالاعتبار!"

قال كارل: "لا أفهم فى السياسة!"

فقال الطالب: "هذا خطأ، لأن لك عينين فى رأسك، وأذنين أليست لك عينان؟ إن الرجل له أصدقاء وله خصوم، وهذا واضح غاية الوضوح، ولا يمكن أن يكون قد فاتك أن ترى هذا، حسناً، إن هذا الشخص ليس له فى رأى أقل أمل فى التراجع، فقد تصادف أننى أعرف كل شيء عنه، ويوجد رجل يقيم هنا، وهو واحد من معارفه، إنه رجل لا تنقصه الكفاية، أما إذا نظرنا إلى آرائه السياسية، وماضية السياسى فإنه يبدو لنا بالفعل أفضل



شخص يناسب وظيفة قاضى الحى، ألا أن أحدا لا يمكن أن يتصور أنه سيحصل عليها، وسوف يسقط على أم رأسه، كما قد يحدث لأى شخص آخر، وسوف تضيع دولاراته فى الحملة الانتخابية، وسيكون هذا هو كل ما فى الأمر!"

وحدق كارل والطالب فى بعضهما البعض، للحظات قليلة، فى صمت، وأطرق الطالب بابتسامته، وضغط راحتيه على عينيه المرهقتين.

ثم تساءل قائلاً: "حسنا، ألن تذهب إلى الفراش الآن، يجب على أن أستأنف قراعتى، انظر، كم من الصفحات على أن أقرأها!"

وقلب ما يزيد على نصف صفحات الكتاب، لكى يوضح لكارل ضخامة العمل الذى لا يزال ينتظره!

فقال كارل، بانحناءة: "حسنا، إذن، طابت ليلتك!"

وقال الطالب الذى جلس ثانية إلى المنضدة: "تعال لزيارتنا فى وقت ما، لو راق لك ذلك بالطبع، وستجد دائما جمعا من الصحاب هنا، ولدى دائما وقت لاستقبالك من التاسعة إلى العاشرة مساء!"

فتساءل كارل: "وعلى هذا فأنت تنصحنى بالبقاء مع ديلامارش!"

فقال الطالب الذى كان رأسه قد انحنى بالفعل فوق الكتاب: "قطعاً!، وبدا وكأنه لم يكن هو، بل شخص آخر غيره هو الذى قالها، فلقد تردد صداها فى أذنى كارل، كما لو كانت قد قيلت بصوت فارغ أجوف لا يكاد يشبه صوت ذلك الطالب.

ومضى كارل ببطء نحو الستارة، وتطلع مرة أخرى إلى الطالب الذى جلس الآن بلا حراك، تماما تحت دائرة الضوء الذى يفرقه فيها مصباحه الكهربائى، محاطا بالظلام الحالك، ودخل كارل الحجره، فاستقبلته أنفاس النائمين الثلاثة، وتحسس طريقه بطول الحائط إلى الأريكة، وعندما بلغها،

تمدد فوقها فى هدوء كما لو كانت هى فراشه الذى اعتاده، ولما كان الطالب الذى يعرف كل شىء عن ديلامارش، وعن الظروف الغريبة التى تحيط به، والذى كان بالإضافة إلى ذلك شخصا متعلما، قد نصحه بالبقاء هنا، فليس لديه الآن أى أثر للشعور بتأنيب الضمير! ليست له مثل ما لهذا الطالب من الأهداف السامية، ولعله لم يكن ليبلغ النهاية فى تعليمه، حتى فى وطنه، إذا كان صعبا بالنسبة إليه أن ينهى تعليمه فى وطنه، فليس لأحد أن يتوقع منه أن يفلح فى بلوغ هذا الهدف هنا فى بلد غريب! إلا أن طموحه فى الحصول على وظيفة يمكنه أن يحقق من خلالها شيئا يبعث فيه بعض الرضا سوف يزداد، لو أنه قبل الآن خادم لديلامارش، ويمكنه من هذا المكان الآمن أن يتربح الفرصة المناسبة، وفى هذا الشارع نفسه يبدو أن هناك عديدا من مكاتب الوسطاء، والمكاتب التى تطلب عمالا للأعمال المختلفة، وهى عند الحاجة لا يصعب عليها أن تعثر على بغيتها، وسوف يسره أن يقبل وظيفة بواب، عند الضرورة، لكن ليس من المستحيل تماما، رغم كل شىء، ألا يتفق له أن يجد عملا فى وظيفة مكتبية، وقد يجلس فى المستقبل إلى مكتبه الخاص، كمكاتب نظامى، ويحرق من حين لآخر من خلال النافذة المفتوحة فى سعادة، كما كان يفعل ذلك الكاتب الذى رآه هذا الصباح فى أثناء رحلته عبر الأفنية، وعندما أغلق عينيه كان مستريحا إلى فكرة أنه لا يزال صغيرا، وأنه سيتمكن يوما ما من أن يفارق ديلامارش، فلا شك أن هذا المنزل لم يكن قد أقيم إلى الأبد، وعندما يتفق له الحصول فى وقت من الأوقات على عمل فى أحد المكاتب، فسوف يركز اهتمامه فى عمله المكتبى، ولن يشنت طاقته، كما يفعل ذلك الطالب، وإذا لزم الأمر فسوف ينذر لئاليه أيضا بالإضافة إلى أيامه لعمله المكتبى، وقد يطلب منه هذا فى البداية بالفعل، نظرا لقلّة معلوماته عن شئون هذا العمل، وسوف يقصر تفكيره فقط فيما

يفيد المؤسسة التي سيعمل بها ، وسيضطلع بكل ما يعهد به إليه من أعمال ،  
وبالأعمال التي قد يهملها الكتبة الآخرون ، وتزاحمت النوايا الطيبة في  
رأسه ، وكان صاحب العمل الذي سيستخدمه في المستقبل ، كان يقف  
لحظتها أمام الأريكة ، ويستطيع أن يقرأ هذه الأفكار على وجهه بمثل هذه  
الأفكار ، استغرق كارل في النوم ، وأزعجته في لحظات استغراقه الأولى في  
النوم ، تنهيدة عميقة صعدها برونيلدا ، التي كانت على ما يبدو قد أزعجتها  
بعض الأحلام السيئة ، فتمطت ، وتقلبت في فراشها .

## الفصل الثامن

### مسرح أو كلاهوما الطبيعي

فى ركن من أركان أحد الشوارع رأى كارل لافتة كتب فوقها الإعلان التالى: "يقبل مسرح أو كلاهوما أعضاء جدا للانضمام إلى هيئته اليوم، فى ميدان سباق كلايتون، من السادسة صباحا، حتى منتصف الليل، إن مسرح أو كلاهوما العظيم يناديك! اليوم فقط هو آخر فرصة! فلو فقدت الآن هذه الفرصة، فقد فقدتها إلى الأبد! ولو فكرت فى مستقبلك، فإن عليك أن تحرص على الانضمام إلينا! مرحبا بالجميع! لو أردت أن تكون فنانا فانضم إلى جماعتنا إن مسرحنا يمكنه أن يوفر عملا لكل شخص ومكانا لكل شخص فلو قررت الانضمام إلينا فنحن نرحب بك هنا الآن فأسرع حتى يمكنك أن تبلغ المكان قبل منتصف الليل! وستغلق الأبواب فى الساعة الثانية عشرة مساء، ولن تفتح ثانية! وليسقط كل الذين لا يتقون بنا، فهيا إلى كلايتون!"

ولا شك أن عددا كبيرا من الناس قد توقفوا أمام هذه اللافتة، لكن يبدو أن الكثيرين لم يصدقوا ما تقوله، كان هناك دائما الكثير من اللافتات، ولم يعد أحد يصدق تلك اللافتات، وكانت هذه اللافتة، أكثرها جميعا بعدا عن التصديق، وفوق هذا، فقد أغفلت هذه اللافتة أمرا هاما، وجوهريا، فهى لم تذكر شيئا عن الأجر، فلو كان الأجر جيدا بالذكر لكانت تلك اللافتة قد ذكرت بالفعل ولقد كان هذا الأمر هو أكثر ما أثار الانتباه فى كل المناقشات التى تناولت ما جاء بتلك اللافتة، وهى مناقشات لا تنسى، فلا أحد يريد أن

يصبح فنانا، لكن كل شخص يريد أن يحصل على أجر فى مقابل ما يؤديه من أعمال.

لكن كان ثمة ما يلفت نظر كارل بشدة فى تلك اللافتة، فهى تقول: "مرحبا بالجميع!"، الجميع؟! أن هذا يعنى كارل أيضا، إن هذه اللافتة تتجاهل كل ما فعله كارل حتى الآن، ويبدو أن أحداً لن يلومه على شيء فهى تبيح له الحق فى الحصول على وظيفة، لا تثير شيئا من الخجل، بل هى على العكس من ذلك، وظيفة يعلن عنها على الملأ، وكان الوعد بأنه سيجد هو أيضا قبولا من أصحاب العمل، يبدو كذلك، وعدا عاما، وهو لا يطلب شيئا أكثر من هذا، إنه يريد أن يجد سبيلا ما إلى بداية حياة نظيفة على الأقل، وربما كانت هذه هى فرصته.

وحتى لو كانت كل التقارير التى تتصف بالمبالغة، والتى تضمنتها اللافتة، ليست سوى مجرد كذبة، وحتى لو كان مسرح أوكلاهوما العظيم هذا ليس سور مجرد سيرك بسيط متجول، يريد أن يضم إليه أعضاء جددا، فى هذا ما يكفى، ولم يقرأ كارل اللافتة كلها مرة أخرى، لكنه التقط ثانية تلك الجملة: "مرحبا بالجميع!" وفكر فى البداية فى أن يذهب إلى كلايتون سيرا على الأقدام، إلا أن هذا كان معناه، ثلاث ساعات من السير المرهق المتواصل، وربما يصل على كافة الاحتمالات، فى الموعد تماما، وربما يكتشف أيضا أنه قد تم شغل جميع الأماكن بالفعل.

لا شك أن اللافتة تشير إلى أنه لا أحد لمن يمكن قبولهم من الأعضاء الجدد، ألا ان كل الاعلانات التى من هذا القبيل تتحدث دائما على هذا النحو، ورأى كارل أنه إما أن ينبذ تلك الفكرة كلية، وإما أن يذهب بالقطار، وأحصى نقوده، التى كان من الممكن أن تكفيه لمدة ثمانية أيام، إن لم يقيم بهذه الرحلة بالقطار، وطوح بقطع العملة القليلة فى راحة يده إلى

الخلف وإلى الأمام وربت سيد ما كان يرقبه بيده على كتف كارل قائلا: "أرجو لك رحلة طيبة إلى كلايتون!" أطرق كارل فى صمت، وأحصى نقوده ثانية، ثم سرعان ما اتخذ قراره، وتناول النقود التى تلزم لأجر السفر، واندفع نحو محطة النفق! وعندما خرج من المحطة فى كلايتون سمع فى الحال أصوات أبواق عديدة، كانت تلك الأصوات، عبارة عن ضوضاء مشوشة، ولم يكن النفخ فيها ينسجم مع بعضه البعض، إلا أن كارل لم يهتم بهذا، بل لقد اعتبر هذا تأكيدا لحقيقة أن مسرح أوكلاهوما كان مسرحا هائلا، لكنه عندما خرج من المحطة، واستعرض ذلك العرض بنظراته، تحقق فى الحال مما رآه أمامه، أن ذلك المسرح كان أكبر بكثير جدا مما كان قد تصوره، ولم يستطع إن يفهم كيف يتسنى لأية هيئة أن تضطلع بهذا التنظيم الكامل لمجرد أن تستوعب أعضاء جددا.

وأمام مدخل حلبة السباق، كان قد أقيم ثمة رصيف طويل منخفض، وقفت فوقه مئات من النساء اللاتى يرتدين ملابس الملائكة، وهى أثواب بيضاء، لها أجنحة هائلة على أكتافهن، وكن ينفخن فى أبواق طويلة كانت تتألق كالذهب، ولم يكن بالفعل يقفن فوق الرصيف، لكنهن كن يعتلين قواعد منفصلة عن بعضها البعض ولم يكن من السهل رؤية تلك القواعد مع ذلك، لأنها كانت تختفى تحت الأقمشة الطويلة المزهرة التى كانت تنسدل إلى أسفل، والتى لم تكن سوى أذيال أثواب الملائكة، ولما كانت تلك القواعد، بالغة الارتفاع— كان يبلغ ارتفاع بعضها ستة أقدام— فإن النساء كن يظهرن، عملاقات، لولا أن صغر رؤوسهن هو ما كان يبعد الإيهام بهذا الحجم الهائل، وكان شعرهن المفكوك، يبدو بالغ القصر، ومتدليا بطريقة سخيفة بين الجناحين الهائلين، ويحدد وجوههن، وكانت توجد نساء لا يكمن يرتفعن كثيرا عن ارتفاع الشخص العادى، لكن كانت هناك أخريات

بجوارهن، كن يقفن على ارتفاع شاهق، حتى أن المرء كان يشعر بأن أقل لفحة من الهواء يمكنها أن تقلبهن، وكانت قواعد تختلف فى أحجامها ومقاييسها تجنباً للتكرار وكانت توجد نساء لا يكدن يرتفعن كثيراً عن ارتفاع الشخص العادى، لكن كانت هناك أخريات بجوارهن كن يقفن على ارتفاع شاهق، حتى أن المرء كان يشعر بأن أقل لفحة من الهواء يمكنها أن تقلبهن وكانت النساء جميعهن ينفخن فى أبواقهن.

ولم يكن يوجد كثير من المستمعين، كان هناك فقط حوالى عشرة من الصبية، كانوا يتمشون أمام الرصيف، وقد مسخت أحجامهم بالمقارنة بأحجام أولئك النساء، وكانوا يلفتون أنظار بعضهم البعض إلى هذه أو تلك، لكن لم تكن تبدو عليهم أدنى نية للدخول، وعرض خدماتهم، وكان هناك رجل واحد فقط، كان قد توقف قليلاً فى جانب من الجوانب، وكان يصطحب زوجته معه، وطفله فى عربة أطفال، كانت الزوجة تمسك عربة الطفل بإحدى يديها، وتعتمد بيدها الأخرى على كتف زوجها، وكان واضحاً أنهما كانا معجبين بالمشهد، إلا أن المرء كان فى إمكانه أن يتبين فى الوقت نفسه، أن أملهما كان قد خاب، وكان يبدو عليهما وكأنهما كانا يتوقعان ما يشير إلى نوع من أنواع العمل، ولقد أثار هذا النفخ فى الأبواق سخطهما، وكان كارل يشعر بنفس ما كانا يشعران به، واتجه كارل إلى حيث كان يقف الرجل، واستمع قليلاً إلى صوت الأبواق، ثم قال بعد ذلك: "أليس هذا هو المكان الذى يطلبون فيه أناساً للانضمام إلى مسرح أوكلاهوما؟".

قال الرجل: "إننى أظن هذا أيضاً! إلا أننا ننتظر هنا منذ ساعة، ولم نسمع شيئاً سوى أصوات هذه الأبواق، ولا يوجد هنا لافتات يمكننا أن نعرف عن طريقها أى شيء، ولا يوجد منادون ولا شخص واحد يمكنه أن يدل على ما يجب عليك أن تفعله!" فقال كارل: "ربما كانوا ينتظرون حتى

يصل أناس كثيرون، أن من وصل إلى هنا حتى الآن، هم فى الحقيقة بضعة أفراد قلائل!"

قال الرجل: "قد يكون الأمر كذلك!" ، ثم صمتا ثانية، كما أنه لم يكن من السهل أن تسمع شيئاً من خلال الضوضاء التى كانت تحدثها أصوات الأبواق، ثم همست المرأة بشيء ما لزوجها فأطرق هذا، ونادت المرأة كارل فى الحال وقالت له: "ألا يمكنك أن تذهب إلى حلبة السباق، وتساءل أين يتم استقبال طالبي العمل؟"

فقال كارل: "نعم، إن على أن أخترق الرصيف، وسط كل الملائكة، فتساءلت المرأة قائلة: "وهل يصعب عليك هذا، إلى هذه الدرجة". وتبدو أنها كانت تظن المكان ممراً سهلاً لكارل، لكنها لا تريد زوجها أن يذهب ليسأل نفسه.

قالت المرأة لكارل: "من السهل عليك أنت أن تذهب!"، وتناولت هى وزوجها يد كارل، وضغطاها، واندفع الصبية جميعاً، ينظرون إلى كارل عن قرب، عندما صعد الرصيف، ويبدو أن النساء قد ضاعفن من شدة نفخهن فى الأبواق كتحية لأول شخص يرغب فى الانضمام إلى هيئة المسرح، وكانت النسوة اللائى كن يقفن فوق القواعد التى مر بها كارل، قد أبعدن الأبواق عن أفواههن وانحنين يتتبعنه بأنظارهن، وعند الجانب الآخر من الرصيف، اكتشف كارل وجود رجل كان يتمشى فى قلق، ذهاباً ورجوعاً، ويبدو أنه كان ينتظر الناس الذين يطلبون الانضمام، لكى يعطيهم التعليمات التى يرغبون فى الحصول عليها، وكان كارل على وشك لأن يبدأ بالحديث، عندما سمع صوتاً يناديه من أعلى صاحت إحدى الملائكة قائلة: "كارل".

وتطلع كارل إلى أعلى وفى دهشة منشرحة، انطلق فى الضحك فقد كانت (فانى)، صاح قائلاً فى دهشة، وهو يلوح لها بيده: "فانى!"



صاحت فانى قائلة: "اقترب، لا يمكن أن تمر بى حقا هكذا!"، وأزاحت طرف ثوبها جانبا، فاتضح القاعدة التى كانت تقف فوقها، وسلم صغير كذلك كان يودى إلى أعلى تلك القاعدة تساعل كارل قائلا: "هل يسمح للمرء بأن يصعد هذا السلم؟"

فهتفت فانى قائلة: "ومنذا الذى يمنعا من أن نتصافح!"، وتطلعت حولها فى غضب، استعدادا لمواجهة من قد يتدخل، إلا أن كارل كان يصعد السلم لحظتها بالفعل.

وصاحت فانى قائلة: "ليس بهذه السرعة! وإلا انقلبنا، والسلم أيضا، إلى الأرض!" إلا أن شيئا من هذا لم يحدث، وبلغ كارل قمة السلم فى سلام. قالت فانى: "انظر!" وكان كل منهما قد صافح الآخر: "انظر أى وظيفة هذه التى حصلت عليها هنا!"

فقال كارل وهو يتطلع حوله: "أنها وظيفة رائعة!"، وراحت باقى النساء، اللاتى كن يلاحظنه يضحكن ساخرات، وقال كارل:

"إنك أكثر ارتفاعا منهن جميعا! وفرد ذراعه محاولا أن يقيس الفرق فى الارتفاع بين مكانها، ومكان الأخريات.

وقالت له فانى: "لقد رأيتك فى الحال، فور خروجك من المحطة، لكننى فى الصف الأخير هنا، لسوء الحظ، ولا يمكن لأحد أن يرانى، كما لا يمكننى أن ألوح لأحد بدورى، ولقد نفخت فى البوق بغاية جهدى، إلا أنك لم تتعرف على رغم ذلك!".

وقال كارل: "إنكن تنفخن جميعكن بصورة سيئة للغاية!"، دعينى أنفخ مرة فى هذا البوق!..

فقالت فانى: "كما تشاء!"، وهى تناوله البوق: "لكن لا تحاول أن تفسد العرض، وإلا تسببت فى طردى!"

وبدأ كارل ينفخ فى البوق، وكان قد تصوره بوقا قديم الطراز، لا ينفخ إلا فى إصدار الضوضاء فقط، لكنه اكتشف الآن أنه كان آلة قادرة على إحداث أى صوت دقيق، فلو كانت كل الأبواق هنا بهذا المستوى، فلا بد أنها كانت تستعمل إذن استعمالا بالغ السوء، ودون أن يلقى انتباها إلى نفخ الأخريات، نفخ بكل طاقة رثتيه لحنا كان قد سمعه ذات مرة فى إحدى الحانات، وأحس بالسعادة لعثوره على صديقة قديمة، ولسماحها له بالنفخ فى البوق بصورة ودية، وسعد كذلك لفكرة احتمال عثوره هنا على وظيفة حسنة بغاية السرعة، وتوقفت كثيرات من النساء عن النفخ لكى يستمعن عندما توقف هو فجأة عن النفخ فى البوق، كانت نصف الأبواق تقريبا هى التى تصدر عنها الأصوات واستمر الحال بعض الوقت على هذا، إلى أن عادت الضوضاء كما كانت من قبل، إلى كامل عنفها.

قالت فانى عندما سلمها البوق ثانية: "ولكنك فنان فعلا! فاطلب منهم أن يأخذوك كنافخ بوق!".

وقال كارل: "وهل يقبلون الرجال فى هذه الوظيفة أيضا؟"

فقالت فانى: "نعم، إننا ننفخ لمدة ساعتين، ثم نستريح، ويحل الرجال الذين يرتدون ملابس الشياطين محلنا، نصفهم ينفخون فى الأبواق، ويقرع نصفهم الآخر الطبول، إنه مشهد رائع، كما أن المعدات تتوفر جميعها فى سخاء، ألا تعتقد أن ثيابنا جميلة؟ والأجنحة؟"، وتطلعت الى أسفل، وراحت تتفحص نفسها.

تساءل كارل: "هل تعتقدين أننى سأجد وظيفة هنا؟"

فقالت فانى: "بكل تأكيد! إنه أضخم مسرح فى العالم، ياله من حظ، أن يجمعنا ثانية مكان واحد، إلا أن الأمر يعتمد على نوع الوظيفة التى سوف

تسند إليك، لأنه من الممكن ألا نرى بعضنا ثانية على الإطلاق، على الرغم من انضمامنا هنا".

فتساءل كارل قائلاً: "هل المكان واسع بالفعل إلى هذا الحد؟"  
فقلت فانى: "إنه أكبر مسرح فى العالم، إننى لم أره بعد بنفسى، إننى أعترف بهذا، إلا أن بعض الفتيات الأخريات هنا، أولئك اللاتي كن قد انضممن قبلى إلى مسرح أو كلاهما، يقلن أن هذا المسرح لا حدود له على الأغلب!"

فقال كارل، مشيراً إلى أسفل نحو الصبية، والأسرة الصغيرة.

- لكن لا يوجد كثير من الناس هنا!

قالت فانى: "هذا حق، لكن عليك أن تلاحظ أننا نضم إلينا أعضاء جددا من كل المدن، وأن جهاز تجنيد الأعضاء للعمل فى المسرح، يتجول دائماً فى الطرق، ويوجد الكثير من فرق تجنيد الأعضاء الجدد للمسرح!"

وقال كارل: "لماذا؟ ألم يفتتح المسرح بعد؟!"

قالت فانى: "أوه.. نعم، إنه مسرح قديم، إلا أنه يوسع دائماً!"

فقال كارل: "انه ليدهشنى أن أناسا أكثر من هؤلاء لم يتزاحموا

للانضمام إليه!"

قالت فانى: "نعم، إنه أمر غير عادى!"

قال كارل: "ربما كان هذا العرض الذى يقوم به الملائكة والشياطين، ينفر

الناس، بدلا من أن يجتذبهم!"

قالت فانى: "ما الذى يجعلك تظن هذا إلا أنك قد تكون على حق، فقل

هذا لقائدنا، فقد يهमे سماع ذلك!"

فتساءل كارل قائلاً: "وأى؟!"

قالت فانى: "فى حلبة السباق، فوق رصيف التحكيم!"

قال كارل: " أن هذا يدهشنى أيضا، فلماذا حلبة السباق لاستقبال الراغبين فى الانضمام إلى المسرح؟! "

قالت فانى: "أوه.. إننا نعمل دائما استعدادا هائلا لاستقبال كثير من الناس، ويوجد متسع للكثيرين فى حلبة السباق، وفى كل الأكواك التى تقبل المراهنات فى الأيام العادية، تقام الآن المكاتب لتسجيل أسماء المرشحين للوظائف، ولا بد أن هناك حوالى المائتين من هذه المكاتب هناك! "

فصاح كارل قائلاً: " وهل لمسرح أوكلاهوما مثل هذا الدخل الضخم، الذى يسمح له بجمع الناس وإقامة المنشآت على هذه الصورة؟ "

قالت فانى: " وما الذى يهمنى نحن من ذلك، من الأفضل لك أن تذهب الآن، يا كارل، حتى لا يفوتك أى شىء، ويجب على أن أواصل الآن النفخ فى البوق، فأبذل كل جهدك لكى تحصل على وظيفة هنا، فى هذا القسم، وتعال وأخبرنى بذلك فى الحال، وتذكر أننى سأنتظر بغاية القلق حتى تعود إلى بهذه الاخبار! "

وضغطت على يده، ونبهته إلى أن يحترس عند هبوطه السلم، ووضعت البوق على شفيتها ثانية، إلا أنها لم تنفخ فيه حتى رأت أن كارل قد هبط إلى الأرض بسلام، ورتب كارل الثوب ثانية، فغطى به السلم، كما كان من قبل، وأومأت فانى إلى كارل بتحياتها، واقترب كارل، وهو لا يزال يفكر فيما سمعه الآن، اقترب من الرجل الذى كان قد رآه وهو فوق القاعدة التى تقف عليها فانى، فاقترب من تلك القاعدة منتظرا هبوطه!

تسأل الرجل قائلاً: " هل تريد الانضمام إلينا؟ " إننى مدير المستخدمين، فى هذه الفرقة، وأننى أرحب بك! كانت له انحناء دائمة، كما لو كانت بدافع الأدب، وكانت ساقاه تتمللان، دون أن يتحرك من مكانه، وكان يعبث طول الوقت بسلسلة ساعته.

قال كارل: "أشكرك! لقد قرأت اللافطة التي وضعتها فرقتك وقد حضرت إلى هنا، كما جاء بها!"

فقال الرجل موافقا على ما قال كارل: "هذا صحيح تماما، ولسوء الحظ لا يوجد كثيرون قد فعلوا كما فعلت!" وطراً على بال كارل أن يقول للرجل، إنهم ربما يكونون قد أخفقوا في جمع الكثيرين بسبب فخامة ذلك الاستعراض، إلا أنه لم يقل شيئاً لأن هذا الرجل لم يكن قائد الفرقة، وبالإضافة إلى ذلك فليس من المستحسن له أن يبدأ بتوجيه الاقتراحات التي تستهدف تحسين حال جهاز تجنيد الأعضاء الجدد، من قبل أن يقبل هو نفسه بالفعل كعضو، وعلى هذا فقد قال فقط:

- ثمة رجل ينتظر هناك في الخارج، ويرغب في تسجيل اسمه هنا أيضاً، وقد أرسلنى لكى أستطلع الأمر أولاً، فهل لى أن أبحث عنه الآن؟  
قال الرجل: "بالطبع، من المستحسن هذا"

إن له زوجة معه هى أيضاً، وطفل صغير فى عربة أطفال، فهل لهما أن يحضرا أيضاً؟

فقال الرجل، وبدا وكأنه كان يبتسم من تردد كارل: "بالطبع، يمكننا أن نقبلهم جميعاً"

فقال كارل: "سوف أعود فى الحال!"، وانطلق يجرى نحو حافة الرصيف، ولوح بيده للزوجين، وصاح قائلاً: "إن بإمكان كل شخص أن يحضر أيضاً، وعاون الرجل فى حمل عربة الطفل إلى الرصيف، ثم تقدما معاً، وعندما رأى الصبية ذلك تشاوروا مع بعضهم البعض وترددوا إلى اللحظة الأخيرة، وأيديهم فى داخل جيوبهم، ثم صعدوا الرصيف ببطء، وتبعوا كارل والأسرة، ثم ظهر عندئذ عدد من الوافدين الجدد خرجوا من المحطة التحتية، ورفعوا سواعدهم فى دهشة عندما شاهدوا الرصيف والملائكة، وبدا مع ذلك أن

المنافسة من أجل الحصول على الوظائف ستزداد الآن، وأحس كارل بالسعادة البالغة لوصوله مبكرا على هذه الصورة، ولعله كان أولهم جميعا، وكان الزوجان يتوجسان شرا، وتساءلا عديدا من التساؤلات عما قد يطلب منهما، وقال لهما كارل إنه لا يعرف شيئا محددًا بعد، إلا أنه قد أحس بأن كل شخص بلا استثناء سوف يقبل، وظن أنهما سيشعرون براحة البال عندئذ وتقدم مدير المستخدمين نحوهم، والرضا يبدو عليه لوجود مثل ذلك العدد ممن حضروا يطلبون الانضمام إلى هيئة المسرح، وفرك يديه، وحيًا كل واحد من الموجودين بانحناء خفيفة، ورتبهم جميعا فى صف واحد وكان كارل على رأس الصف، يليه الزوج، وزوجته، يليهما الآخرون، وعندما اصطفوا جميعا - ظل الصبية يتدافعون فى البداية، واستغرق الأمر بعض الوقت لكى يتم تنظيمهم فى الصف - وقال مدير المستخدمين، بينما صمتت الأبواق - إننى أحييكم باسم مسرح أو كلاهوما، ولقد وصلتكم مبكرين (كان الوقت ظهرا لحظتها)، ولم يحدث زحام شديد بعد حتى الآن، وعلى هذا فإن الشكليات الضرورية التى تلزم لانضمامكم سوف تتم فى الحال، إنكم تحملون معكم بالطبع الأوراق التى تثبت شخصياتكم!

وجذب الصبية فى الحال أوراقا من جيوبهم، وفردوها نحو مدير المستخدمين ولكز الزوج زوجته، فأخرجت حزمة كبيرة من الأوراق من تحت البطاطين التى كانت فى عربة الطفل، إلا أن كارل لم يكن يحمل أية أوراق، فهل يحول ذلك بينه وبين الانضمام؟ انه يعلم جيدا من خلال خبرته أنه سيسهل عليه أن يتغلب بحل من الطول البسيطة، على تلك التعليمات، ويبدو أنه سينجح فى ذلك، وتطلع مدير المستخدمين الى الصف كله، وتأكد من أن الجميع يحملون تلك الاوراق، ولما كان كارل يقف بيديه مرفوعتين مع أنهما

كانتا خاليتين من تلك الاوراق، فقد تأكد الرجل من ان كل شئ على ما يرام بالنسبة لكارل هو أيضا!

قال مدير المستخدمين: "حسن جدا!" مؤكدا ذلك للصبية بتلويح يده لهم، وكان هؤلاء يريدون أن تفحص أوراقهم فى الحال: "سوف تفحص أوراقكم فى مكاتب الاستقبال، وكما قد لاحظتم بالفعل من لافتتنا ففي إمكاننا أن نجد وظيفة لكل شخص، لكننا يجب بالطبع أن نعرف ما هى الوظائف التى كنتم تشغلونها حتى الآن، وعلى هذا يمكننا ان نضع كلا منكم فى مكانه الصحيح، لكى نستفيد بخبراتكم!"

وفكر كارل فى نفسه مرتابا: "ولكنه مسرح!"، ثم استمع فى انتباه

شديد.

ومضى مدير المستخدمين فى حديثه قائلا: "ولهذا فقد اقمنا مكاتب للاستقبال والتسجيل فى أكشاك لمراهنات على خيل السباق، لكل تجارة أو مهنة مكتب خاص، وعلى هذا فسوف يخبرنى كل منكم بوظيفته، وتسجل الأسرة عادة فى مكتب توظيف الأزواج، وسوف أصحبكم إذن إلى هذه المكاتب، حيث يراجع المختصون أوراقكم أولا، ثم صلاحيتكم، وسوف يكون محصاً قصيراً للغاية فلا تخشوا شيئا وسوف تسجل أسماؤكم فى الحال، بعد ذلك، ثم تتلقون التعليمات اللازمة، فلنبداً الآن إذن، هذا المكتب الأول خاص بالمهندسين الميكانيكيين، كما يتضح من الكتابة التى كتبت فوقه، فهل يوجد مهندس هنا بينكم؟"

فتقدم كارل الى الامام، كان قد ظن ان افتقاره إلى الأوراق يتيح له أن يتخطى تلك الشكليات بأقصى سرعة ممكنة، وكان لديه كذلك ما يبرر تقدمه إلى الامام بعض التبرير، فلقد كان قد رغب ذات مرة فى أن يصبح مهندسا ميكانيكيا، إلا أن الصبية عندما شاهدوا كارل وهو يتقدم إلى الامام، ثار

الحسد فى نفوسهم، ورفعوا أيديهم جميعا، فنهض مدير المستخدمين على قدميه وقال للصبية: "هل أنتم مهندسون؟! فتذبذبت أذراعهم، ثم انخفضت إلى جانبهم، لكن كارل بقى ثابتا على قراره الأول ولقد نظر إليه مدير المستخدمين بالطبع فى ارتياب، فقد كان كارل يبدو فى ثياب خلفة وكان صغيرا أيضا حتى يكون مهندسا، إلا أنه لم يقل شيئا، ربما كنوع من الامتتان لكارل، لانه ان قد تسبب فى رأيه على الأقل، فى دخول هؤلاء الذين يرغبون فى الانضمام الى المسرح مدير المستخدمين نحو الآخرين:.

وفى المكتب المخصص للمهندسين كان يجلس سيدان الى طرفى طاولة مستطيلة، وهما يقارنان قائمتين طويلتين كانتا موضوعتين أمامهما، وكان أحدهما يقرأ، بينما كان الآخر يضع علامة أمام كل اسم فى القائمة، وعندما دخل كارل وحياهما، تركا القائمة فى الحال، وتناولوا دفتري هائلين، وفتحاهما.

وقال أحدهما، وكان يبدو واضحا، أنه كاتب: "من فضلك أعطني أوراق اثبات شخصيتك"

فقال كارل: "إننى أسف لاننى لم أحضرها معى!"  
قال الكاتب للسيد الآخر: "انه لم يحضرها معه!" بينما كان يكتب فى الوقت نفسه تلك الاجابة التى أجاب بها كارل فى دفتره وعندئذ سأل الرجل الآخر، الذى بدا أنه رئيس المكتب: "هل أنت مهندس؟".

قال كارل مسرعا: "اننى لم أصبح مهندسا بعد، ولكننى.."  
فقال السيد فى سرعة تفوق سرعته: "يكفى هذا، فأنت لا تتبعنا فى هذه الحالة، وعلى هذا فأرجو أن تتكرم بملاحظة ما كتب على واجهة الكشك!"،  
وصر كارل على أسنانه، ولا بد أن السيد كان قد لاحظ ذلك، لانه قال: "لا حاجة بك إلى أن تخشى شيئا، ففى إمكاننا ان نقبل كل شخص!" وأشار



لواحد من المساعدين، كان يتسكع متكاسلا بين الاسوار، قائلا له: "قُد ذلك السيد الى مكتب الفنيين!"

وفسر المساعد ذلك الامر حرفيا، فأخذ كارل من يده، ومرا بعدد من الأكشاك على كلا الجانبين، فى أحد هذه الاكشاك رأى كارل أحد الصبية كان قد انتهى تسجيله بالفعل، فكان هذا الصبى يشد على يد السيد الذى كان يرأس المكتب فى البناية وفى المكتب الذى اقتيد إليه كارل الآن كانت الإجراءات شبيهة بتلك الإجراءات التى جرت فى المكتب الأول كما كان كارل قد توقع، فيما عدا انهما قد أرسلاه الآن الى المكتب الخاص بطلبة المدارس المتوسطة، عندما سمعا أنه كان قد التحق بمدرسة متوسطة، لكن عندما صرح كارل هناك بأنها كانت مدرسة أوربية، تلك التى كان قد التحق بها، ورفض الموظفان قبوله، وأرسلاه معه من اقتاده الى المكتب الخاص بطلبة المدارس الاوربية المتوسطة، وقد كان كشكا فى الطرف الخارجى من الحلبة، ولم يكن كشكا أصغر فقط، بل أكثر تواضعا أيضا من باقى الاكشاك الاخرى، وكان المساعد الذى اقتاده الى هناك غاضبا غاية الغضب، للمشوار الطويل والرجوع المتكرر الذى كان السبب فى حدوثهما فى رأيه هو كارل وحده، ولم ينتظر المساعد حتى تبدأ الاسئلة التى سيوجهها أعضاء المكتب الى كارل، بل رجع فى الحال، فلعل هذا المكتب إذن أن يكون هو فرصة كارل الأخيرة! وعندما لمح كارل رئيس المكتب فوجئ للغاية بالشبه الشديد بينه وبين مدرس، ربما كان لا يزال يدرس فى المدرسة التى كان يدرس بها فى بلده، ومع ذلك، فقد بدأ الشبه فى الحال مقصورا على بعض التفاصيل المعينة، إلا أن النظارات التى كانت ترتكز فوق انف الرجل العريض، واللحية الجميلة، وهى تنحدر كجائزة معروضة، والظهر المنحنى قليلاً، والصوت المرتفع المفاجئ الذى يصدر فجأة، كلها جمدت كارل من

لدهشة لبعض الوقت ، ولحسن الحظ لم يكن عليه أن ينتبه انتباها شديداً ،  
ذلك أن الإجراءات هنا كانت أبسط كثيراً منها في المكاتب الأخرى .

ولا شك أن مذكرة ما كانت قد تضمنت أن أوراقه لم تقدم ، وقد اعتبر  
رئيس المكتب عدم وجود تلك الأوراق "شيئاً من الأهمال غير المفهوم!" إلا أن  
الكاتب الذى بدأ ، وكأئنه هو الذى يسيطر على هذا المكتب سرعان ما علق  
على ذلك ، وصرح ذلك الكاتب .

بعد عدد من الأسئلة التى وجهها رئيسه إلى كارل ، وبينما كان السيد  
يستعد لتوجيه مزيد من الاسئلة الهامة ، صرح بأن كارل قد قبل ، واستدار  
رئيس المكتب مفغور الفم نحو كاتبه ، إلا أن الكاتب أتى بحركة حاسمة من  
يده قائلاً: "قبل!" ، ودون فى الحال هذا القرار فى دفتره ، ويبدو أن الكاتب  
كان ينظر الى "طالب أوربى بالمدارس المتوسطة" ، نظراته الى شخص غاية  
فى الوضاعة ، لدرجة لا يصح معها الارتياح فى أى كلام يصدر عنه ، أو  
مناقشته فيه ، ولم يكن لدى كارل من ناحيته أدنى اعتراض على هذا ، ومضى  
رأساً نحو الكاتب ، وهو ينوى أن يشكره على ذلك ، لكن كان هناك ثمة تأخير  
آخر ، فبينما كانا يسألانه عن اسمه ، لم يجب كارل فى الحال ، فقد أحس  
بالخجل من ذكر اسمه الحقيقى ، والسماح لهما بتدوينه ، وما دام قد وجد  
مكاناً هنا ، مهما كان ضئيلاً ، وقبل أن يشغله ، راضياً ، فيمكنهما أن يحصلوا  
على اسمه ، لكن ليس الآن! كان قد أخفى اسمه الحقيقى طويلاً ، بحيث  
يصعب عليه أن يصرح به الآن! ولما لم يطرأ على باله أى اسم آخر فى تلك  
اللحظة ، فقد أدلى لهما باسمه المستعار الذى كان يلقب به فى عمله الاخير ،  
"الزنجى!"

قال رئيس المكتب: "الزنجى؟!"، وهو يدير رأسه، ويأتى بحركة ما، كما لو كان قد بلغ الآن أقصى حدود الريبة، وحتى الكاتب هو أيضا، نظر إلى كارل، وتفحصه، للحظة، ألا أنه قال بعدئذ: "الزنجى!"، ودون الاسم. وصاح به رئيسه قائلا: "لكنك لا يمكن أن تكون قد كتبت بالفعل كلمة (الزنجى!)"

ورفع الكاتب حاجبيه، ونهض بدوره، وقال: "إذن، فإن من واجبي أنا، أن أقول لك، أنك قد قبلت ضمن هيئة مسرح أو كلاهوما، وأن علينا الآن أن نقدمك إلى قائدنا!"

واستدعى مساعدا آخر، اقتاد كارل إلى منصة التحكيم. وعند أقدام الدرج، لمح كارل عربة الطفل، وهبط عندئذ الأب والأم، وكانت الأم تحمل الطفل على ذراعها.

سأله الرجل قائلا: "هل قبلت؟!". كان أكثر نشاطا عن ذي قبل، وابتسمت زوجته لكارل من فوق كتفها، وعندما أجاب كارل بأنه كان قد قبل لتوه، وأنه كان فى طريقه لكى يقدم إلى القائد، قال الرجل: "إذن فإننى أهنتك، فقلد قبلنا نحن أيضا، ويبدو أنه شئ طيب أن ننضم إلى المسرح على الرغم من أنه لا يمكنك أن تعتاد على شئ مرة واحدة وفى الحال، إلا أن الأمور تسير دائما على هذا النحو فى كل مكان!"

وقالا لبعضهما: "الى اللقاء مرة أخرى"، وصعد كارل الى المنصة، واتخذ دوره، ذلك أن تلك المساحة الضيقة فى أعلى المنصة، كانت تزدهم فيما يبدو بالناس، ولم يكن كارل يرغب فى المزاحمة واللاحاح، ولهذا توقف لحظة، وتطلع إلى حلبة السباق الهائلة التى كانت تمتد فى كل اتجاه نحو الغابات البعيدة، وكانت تملؤه الرغبة فى رؤية سباق الخيل، ولم يكن قد أتيت له الفرصة من قبل لمشاهدة أى سباق للخيل منذ أن جاء إلى أمريكا، وفى

أوروبا، كان قد ذهب الى سباق للخيل ذات مرة، عندما كان طفلا صغيرا إلا أن كل ما كان يمكنه أن يتذكره، هو أن أمه كانت قد سحبتة خلال الزحام، ولم يرغب الناس فى أن يفسحوا له طريقا لكى يمر، وعلى هذا فلم يكن بالفعل قد

رأى قط من قبل سباقا للخيل، وكانت خلفه آلة من نوع ما، كانت قد بدأت تطن، واستدار حوله ورأى فوق اللافتة، حيث تظهر أسماء الفائزين من المتسابقين، هذه الكلمات: "التاجر كاللا، وزوجته، وطفله!"، وعلى هذا فان أسماء هؤلاء الذين تم قبولهم كانت توزع على مختلف المكاتب من هنا.

وعندئذ هبط بعض السادة الدرج مسرعين، وبأيديهم أقلام رصاص، ومفكرات، وكانوا يتحدثون إلى بعضهم البعض باهتمام، والتصق كارل بالسور، لكى يفسح مكانا لمرورهم، ثم صعد بعد ذلك إلى أعلى المنصة، حيث أفسح له الآن مكانا فوقها، وفى أحد أركان المنصة، بسورها الخشبى - وكانت المنصة كلها تبدو أشبه ما تكون بسطح منبسط لبرج صغير - كان يجلس أحد السادة، وذراعا مفرودتان أمامه فوق السور، ووشاح عريض من الحرير يتدلى على صدره بميل، وعليه هذه الكتابة: "قائد فرقة التجنيد العاشرة، لمسرح أو كلاهوما"، وكان فوق المنصة تليفون، قد وضع لاشك للاستعمال فى أثناء مباريات سباق الخيل، ولكنه يستخدم الآن فيما يبدو، لابلاغ المعلومات الهامة التى تتعلق بمختلف المتقدمين الى شغل الوظائف، الى القائد قبل أن يقدموا إليه، لانه لم يبدأ بتوجيه الأسئلة إلى كارل، بل قال لسيد كان يجلس بجواره، وساقاه معقودتان، وذقنه بين يديه:

"الزنجى، تلميذ بالمدارس الاوربية المتوسطة!" وكأنما لم يكن أمامه أى شئ آخر يمكن أن يقوله، بعد ذلك لكارل، الذى انحنى له انحناء شديدة، وتطلع القائد إلى أسفل الدرج ليرى إن كان ثمة قادم آخر، ولما لم يجد أى

قادم آخر، أصاخ السمع إلى الحديث الذى دار بين السيد الآخر وبين كارل، لكنه ظل صامتاً طوال الجزء الأغلب من ذلك الحديث، وراح يتطلع إلى حلبة السباق، وهو يربت بأصابعه فوق السور، وقد جذبت هذه الأصابع الرقيقة، الطويلة، القوية، انتباه كارل من حين لآخر، مع إنه كان قد أعار كل انتباهه بالفعل إلى السيد الآخر.

وكان هذا قد بدأ حديثه إلى كارل متسائلاً: "هل كنت قد فصلت من عملك؟"، كان السؤال ككل الأسئلة الأخرى التى وجهت إلى كارل، بسيطة، ومباشرة، ولم يكن هذا السيد يراجع كارل فى إجاباته، ولم يحاول استدراجه إلى شئ بسؤال غير مباشر مطلقاً، إلا أن الطريقة التى ينحنى بها إلى الامام لكى يرى أثر تلك الأسئلة، وطريقته كذلك فى خفض رأسه فوق صدره فى أثناء استماعه إلى الإجابات، وترديده أحياناً لهذه الإجابات بصوت مرتفع، وتمعنه فى أسئلته بصورة لها مغزاها الذى قد لا يدركه المرء، لكنه لا يرتاح رغم ذلك إلى الارتياح فيها.. ولقد أحس كارل عدداً من المرات بشئ كان يدفعه إلى أن يتراجع فى إجابته بعد أن يكون قد أدلى بها، وأن يجيب بإجابة أخرى، لعلها تجد قبولاً أكثر، إلا أنه تمكن دائماً من أن يضبط نفسه، فلم يفعل ذلك، لأنه كان يعلم أى انطباع سيئ قد يعكسه مثل هذا التذبذب، كما لم يمكنه فى الحقيقة أن يدرك زثر أغلب إجاباته.. وبالإضافة إلى ذلك فإن قبوله فى هذه الوظيفة، بدا وكأنه قد تقرر بالفعل، وقد شجعه إدراكه لهذه الحقيقة.

وقد أجاب ببساطة عن السؤال الذى وجه إليه، عما إذا كان قد فصل من عمله؟ قائلاً: "نعم"!

ثم سأله السيد ثانية: "أين كنت تعمل أخيراً؟"!

وهم كارل بالإجابة، عندما رفع السيد أصبعه السبابة، وكرر قائلاً:  
"أخيراً!".

ولما كان كارل قد فهم السؤال جيداً، فقد هز رأسه رغماً عنه، لكي يتحاشى الملاحظة الإضافية المزعجة، وأجاب قائلاً: "فى أحد المكاتب!" كانت هذه هى الحقيقة، لكن، لو أن ذلك السيد طلب منه تحديداً أكثر عما يتطرق بتوع ذلك المكتب، فقد كان سيكذب عليه عندئذ بلا شك.. ومع ذلك، فلم تبد ثمة ضرورة المثل هذا الطلب، لأن السيد وجه سؤالاً، كان من السهل تماماً الإجابة عليه، إجابة صادقة: "هل كنت راضياً فى عملك ذاك؟!".

فصاح كارل قائلاً فى انفعال: "لا!"، حتى قبل أن ينتهى السؤال ومن طرف عينه، كان يمكنه أن يلاحظ أن القائد كان يبتسم فى وهن، وأسف لشدة انفعاله، إلا أن السؤال كان مغرياً للغاية، حتى لقد اندفع قائلاً: "لا!"، دون أن يدري، ذلك أنه كان يحلم طوال الفترة الماضية من خدمته، بصاحب عمل قد يلتقى به، ويوجه إليه هذا السؤال نفسه.. إلا أن هذا النفى كان من الممكن أن يثير أمامه مشكلة أخرى، لو أن السيد وأصل سؤاله، طالباً منه أن يوضح له، لماذا لم يكن راضياً فى عمله ذاك؟ إلا أن ذلك السيد تساعل بدلاً من ذلك قائلاً: "ما هو نوع العمل الذى تشعر بأنه يناسبك؟"، من الممكن أن يخفى مثل هذا السؤال فحاً حقيقياً، فلماذا يوجه إليه سؤال كهذا، إذا كان قد قبل بالفعل كممثّل؟ ومع إنه قد أحس بصعوبة الإجابة على هذا السؤال، فإنه لم يستطع أن يقول إنه يشعر بأن مهمة التمثيل، على وجه الخصوص، هى المهنة التى تناسبه، وعلى هذا فقد تهرب من الإجابة على هذا السؤال، وقال مجازفاً بأنه قد يبدو ممتنعاً عن الإجابة" لقد قرأت اللافطة فى المدينة، ولما كانت تقول بأن فى امكانكم أن توفروا عملاً لكل شخص، فقد جئت إلى هنا!".

قال السيد: "نحن نعلم هذا"، موضحاً بصمته المتعمد انه لا يزال ينتظر  
إجابة سؤاله.

فقال كارل فى تردد "لكى يتيح للسيد أن يلاحظ أنه قد وجد نفسه فى  
ورطة": "لقد قبلت كممثل".!

قال السيد "هكذا إذن"، ثم لجأ ثانية إلى الصمت.

فقال كارل: "لا"، وابتدأت كل آماله فى الحصول لى وظيفة تهتز: "لست  
أدرى، ماذا إذا كنت أستطيع أن أكون ممثلاً، إلا إننى سأبذل كل جهدى،  
وسأحاول أن أنفذ التعليمات التى توجه إلي".!

واستدار السيد إلى القائد، وأطرق كلاهما، وبدا لكارل أنه قد أجاب  
الإجابة الصحيحة، لهذا فقد تشجع ثانية، وانتصب فى وقفته، فى انتظار  
السؤال التالى، وكان كما يلي:

- ما الذى كنت تريد أن تدرسه أساساً؟!

ولكى يحدد السؤال فى دقة أكثر - ويبدو أن هذا السيد كان يلقى أهمية  
كبيرة على دقة السؤال - أضاف قائلاً: "أعنى فى أوروبا"، وهو يبعد يده  
عن نقه، فى الوقت نفسه، ويلوح بها، كما لو كان ليعين كم هى نائية أوروبا  
تلك، ومدى عقم أية خطة قد تكون وضعت هناك.

وقال كارل: "كنت أريد أن أصبح مهندساً ميكانيكياً"، لقد التصقت هذه  
الإجابة فى حلقه، كان سخيلاً منه وهو يعلم جيداً نوع الحياة التى عاشها  
فى أمريكا، أن يحيا حلم اليقظة القديم، برغبته فى أن يكون مهندساً  
ميكانيكياً، فهل أمكنه أن يصبح مهندساً ميكانيكياً، حتى فى وطنه، أوروبا؟  
- إلا إنه لم يدر بأى جواب آخر يمكنه أن يجيب، وعلى هذا فقد أدلى بهذا  
الجواب! "إلا أن السيد قد تقبل هذه الإجابة فى جدية، فقد كان يأخذ كل

شئ مأخذ الجد، وقال: "حسناً، لا يمكنك أن تتحول إلى مهندس، فجأة! لكن ربما يناسبك الآن أن تضطلع بنوع من العمل الميكانيكى البسيط!"..

قال كارل: "بلا شك!، كان راضياً تماماً، حقاً لو إنه قبل هذا العرض، فسيتحول من مهنة التمثيل إلى الوضع الذى يقل عنه على نحو ما، وهو وضع العامل الفنى، لكنه كان مقتنعاً بالفعل من أنه سيتمكن من أن يكون صادقاً مع نفسه، بقبوله تلك الوظيفة الميكانيكية، وبالإضافة إلى ذلك، فقد ظل يقول لنفسه: إن الأمر ليس هو نوع العمل، بقدر ما هو ضرورة أن يؤكد المرء وجوده فى مكان ما، بصرف النظر عن الغمل الذى يؤديه.

وتساءل السيد قائلاً: "هل أنت قوى البنية بدرجة كافية للعمل الجسماني؟!"..

فقال كارل: "أوه.. نعم!"..

وعند ذلك أمر السيد كارل بأن يقترب منه، وتحسس ذراعه.

ثم قال عندئذ: "إنه فتى قوى" وهو يجذب كارل من ذراعه نحو القائد، وأطرق القائد مبتسماً، وهو يمد يده لكارل، دون أن يغير وضعه المتكاسل، وقال: "إذن، فقد تم إقرار هذا كله، وفى أوكلاهوما سننظر فى هذا الأمر ثانية.. فاعلم بأنك قد شرفت جماعتنا المجندة!"..

وانحنى كارل، واستدار أيضاً، ليقول وداعاً للسيد الآخر، إلا إنه كان قد نهض، وراح يتمشى ذهاباً وجيئة، فوق المنصة، كما لو كانت أعباؤه كلها قد انزاحت الآن عن كاهله، وكان يتطلع نحو السماء، وعندما هبط كارل الدرجات، كانت لوحة الإعلانات إلى جواره، تبدو فوقها هذه الكلمات: "الزنجى، عامل فني!"..

ولما كان كل شئ يسير هنا بمثل هذا النظام، فقد أحس كارل بأنه لن يهتم لو رأى اسمه الحقيقى فوق تلك اللوحة، لقد كانت هيئة المسرح، هيئة



دقيقة النظام بالفعل إلى حد لا يكاد يصدق، فعند أقدام الدرج وجد كارل مساعداً ينتظره، وثبت حول ذراعه شريطاً، وعندما مد كارل ذراعه ليرى ما كتب فوق هذا الشريط، وجد عليه فى خط واضح هذه الكلمات: "عامل فني".!

لكن مهما كان المكان الذى سيوجهونه إليه الآن، فيجب عليه أولاً أن يبلغ فانى بما آلت إليه الأمور.. وسمع لأسفه الشديد أن الملائكة والشياطين كانوا قد رحلوا الآن إلى المدينة المجاورة، مع فرق التجنيد المتجولة، ولكى يقوموا بدور الطلائع المتقدمة لوصول الفريق بأكمله فى اليوم التالى.. قال كارل: "يا للأسف!" وكانت هذه هى أول خيبة أمل يصاب بها فى هذه المهنة: "ان لى صديقة بين الملائكة"!

قال المساعد: "سوف تراها ثانية فى أوكلاهوما، لكن هيا الآن، فإنك الأخير".!

واقتراد كارل بطول الجانب الداخلى للرصيف، الذى كانت الملائكة يقفن فوقه، ولم يكن هناك سوى القواعد الخالية.. وقد ثبت الآن توهم كارل بأن النفخ فى الأبواق لو كان قد توقف، لكان كثير من الناس قد تقدموا طالبين الانضمام إلى المسرح، ذلك ان أحداً لم يكن يقف الآن أمام الرصيف، فقط بضعة أطفال قلائل يتعاركون مع بعضهم البعض، وريشة بيضاء كانت قد طارت بلا شك من جناح إحدى الملائكة، وكان صبى يمسكها فى الهواء إلى أعلى، بينما كان باقى الأطفال يحاولون انزال ذراعه التى كانت تمسك بتلك الريشة إلى أسفل، على حين كانوا يمدون أيديهم الأخرى إلى الريشة.

وصرف كارل الأطفال بعيداً، إلا أن المساعد، قال له دون أن ينظر ناحيته: "هيا، أسرع، لقد تطلب قبورك وقتاً طويلاً، وأظن انهم لم يكونوا واثقين منك".!

قال كارل فى دهشة: "لست أدري"!، إلا أنه لم يصدق ذلك مطلقاً، ومهما كانت الظروف، فلا بد من وجود شخص يحاول أن يسيء إلى زملائه، لكن نظراً للبشاشة التى بدت بها المنصة الرئيسية التى كانا يقتربان الآن منها، سرعان ما نسى كارل ملاحظة المساعد.. فقد كان يوجد فوق تلك المنصة مائدة طويلة عريضة، قد غطيت بقماش أبيض، وكان كل من قبلوا يجلسون إلى تلك المائدة، بظهورهم إلى حلبة السباق، يأكلون.. كانوا سعداء جميعاً، وفى غاية التأثر، وعندما وصل كارل أخيراً، واتخذ مكانه فى هدوء، نهض عدد منهم، وبأيديهم الكؤوس التى رفعوها إلى أعلى، وشرب أحدهم نخب قائد فرقة التجنيد العاشرة، الذى دعاه باسم "أبوالعاطلين جميعاً"!، وقال شخص آخر، إن القائد يمكن رؤيته من هنا، وبالفعل كانت منصة التحكيم واضحة على مسافة ليست بالغة البعد، وفوقها السيدان، ورفع الجميع كؤوسهم الآن فى ذلك الاتجاه، وتناول كارل أيضاً الكأس الموضوعة أمامه، وهتفوا بأعلى أصواتهم، إلا إنهم لم يفلحوا فى لفت أنظار من كانا يجلسان فوق منصة التحكيم، فلم يكن ثمة ما يدل على أنهما قد لاحظا شيئاً من هذا الحماس، ولا كانت هناك على الأقل أدنى رغبة فى ملاحظته، واضطجع القائد جالساً فى ركنه كما كان يجلس من قبل، ووقف السيد الآخر إلى جواره، وهو يضع نقه على راحة يده، وتبدو عليه خيبة الأمل إلى حد ما، وجلسوا جميعهم ثانية، وكان يستدير شخص هنا، أو شخص هناك نحو منصة التحكيم، إلا أنهم سرعان ما انهمكوا فى تناول الطعام الوفير، وكانت طيور ضخمة، لم ير كارل مثلها من قبل، تحمل إلى المائدة، وقد انغرست فى لحمها المحمر، شوك عديدة، وكان المساعدون لا يتوقفون عن ملء الكؤوس بالنبيذ - ويصعب عليك أن تلاحظ ذلك، فبينما تكون مشغولاً تماماً بطبقك، تجد النبيذ يتدفق فجأة ببساطة فى كأسك - وهؤلاء الذين لم يكونوا يرغبون

فى المشاركة فى الحديث، كان فى إمكانهم أن يتفرجوا على صور من مسرح أو كلاهما كانت توجد فى كومة عند طرف المائدة، وكانت بعض الصور تنتقل من يد إلى أخرى، إلا أن القلائل هم الذين اهتموا بهذه الصور، وهكذا لم تصل منها سوى واحدة فقط إلى يد كارل الذى كان يجلس فى آخر الصف، ورأى كارل عندما بلغت تلك الصورة أن باقى الصور كانت جديرة هى أيضاً بالرؤية، كانت هذه الصورة توضح الشرفة المخصصة فى المسرح لرئيس الولايات المتحدة، وربما ظن المرء عن النظرة الأولى إليها، إنها لم تكن مجرد شرفة، بل المسرح نفسه، وكان سور الشرفة يمتد إلى مسافة كبيرة، وكان مصنوعاً من الذهب حتى أدق تفاصيله، وبين أعمدته الرشيقية، التى نحتت فى رقة، وكانما بمقصد بارع، كانت الأوسمة المهداة من الرؤساء السابقين، تصطف إلى جانب بعضها البعض، وكانت لإحدى الحليات أنف يمتد بصورة ملحوظة وشفتان وعين مغطاة بجفن كامل مستدير، وتنظر إلى أسفل، وكانت أشعة الضوء تسقط على الشرفة من كل الجهات، ومن السقف، وكانت المقدمة غارقة كلها فى الضوء، وأرضيتها بيضاء ناعمة، بينما تبدو الخلوة إلى الخلف كمغارة معتمة متوهجة، تغطيها الستائر الدمشقية الحمراء التى تتهدل فى طيات مختلفة من السقف إلى الأرض، وتتعد طياتها بالحبال.. ولم يكن فى استطاعة المرء أن يتخيل وجود بشر فى تلك الشرفة، بصورتها تلك الملكية، ولم يكن كارل قد انصرف تماماً عن تناول طعامه، لكنه كان قد وضع تلك الصورة، بجانب طبقه، وراح يتطلع إليها، وكان يسره أن يتطلع إلى صورة على الأقل من الصور الأخرى، لكنه لم يكن يرغب فى النهوض لكى يلتقط إحداها بنفسه، فقد كان ثمة مساعد يضع يده فوق تلك الكومة من الصور، ويبدو انه كان يحاول أن يحافظ على عدم اضطراب تسلسل ترتيبها، وعلى هذا فقد رفع كارل

عنقه فقط، لكى يتطلع عبر المائدة، محاولاً أن يرى إن كانت ثمة صورة أخرى تتداولها الأيدي! ولدهشته العظمى - ولقد بدا له ذلك شيئاً لا يمكن تصديقه فى البداية - تعرف وسط هؤلاء الذين كانوا يميلون فوق أطباقهم، باستغراق، على وجه يعرفه جيداً، جياكومو، فنهض فى الحال، وأسرع نحوه صائحاً: "جياكومو!"، ونهض جياكومو من على مقعده، خجلاً كعادته، عندما يفاجأ بشئ، واستدار حول نفسه فى المساحة الضيقة بين المقاعد، ومسح فمه بيده، وتهلل جداً لرؤية كارل، واقترح على كارل أن يأتى لكى يجلس إلى جواره، أو يغير هو مكانه بدلاً من ذلك، وكان لديهما الكثير ليخبرا به أحدهما الآخر، وعليهما لهذا أن يلتصقا ببعضهما طوال الوقت، ولما لم يكن كارل يريد أن يزعم الآخرين، فقد قال إنه من الأفضل لهما أن يحتفظا بمكانيهما الحاليين الآن، فسرعان ما تنتهى الوجبة، وبعد ذلك بالطبع، سيلتصقان ببعضهما.. إلا أن كارل قد تمهل دقيقة أو دقيقتين، لمجرد أن يتطلع إلى جياكومو.. كم من ذكريات الماضى قد طرأت على ذاكرته! ما الذى حدث للمديرة؟ وماذا تفعل تيريز؟ لم يكن قد طرأ على جياكومو نفسه تغيير يكاد يذكر، ولم تتحقق نبوءة المدير، بأنه سوفه يتحول فى خلال ستة شهور إلى رجل أمريكى ناضج، فقد كان رقيق المظهر كما كان من قبل، وكانت وجنتاه بارزتين كما كانتا، على الرغم من انتفاخهما الآن بقطعة كبيرة من اللحم، كان يستخرج منها العظم ببطء، فقد كان رقيق المظهر كما كان من قبل، وكانت وجنتاه بارزتين كما كانتا، على الرغم من انتفاخهما الآن بقطعة كبيرة من اللحم، كان يستخرج منها العظم ببطء، ليضعه فى طبقه.. وكما استطاع كارل أن يرى من رباط ذراعه لم يكن قد قبل كممثل هو أيضاً، لكن كصبي مصعد، ويبدو أن مسرح أوكلاهوما، كان لديه بالفعل مكان لكل شخص! إلا أن استغراق كارل فى التطلع إلى جياكومو، كان قد

أبعده طويلاً عن مقعده، وعندما فكر فى العودة إلى مكانه، كان مدير المستخدمين قد وصل لحظتها، وصعد فوق أحد المقاعد، وصفق بيديه، وألقى كلمة قصيرة، بينما نهض أغلب الموجودين على أقدامهم، أما هؤلاء الذين ظلوا فوق مقاعدهم، غير راغبين فى ترك طعامهم، فقد ظل الآخرون يلكرونهم حتى اضطروا هم أيضاً إلى النهوض.

قال مدير المستخدمين: "أرجو.. ورجع كارل فى تلك الأثناء إلى مكانه على أطراف أصابعه": "أن تكونوا قد رضيتم عن استقبالنا لكم، وأن يكون قد أعجبكم ما قدمناه لكم من الطعام، أن الفرقة المجنّدة، ينبغى لها دائماً أن يكون لها مطعمها الجيد، وأسف لأننا يجب أن نخلى المائدة الآن، لأن القطار الراحل إلى أوكلاهوما، سيتحرك فى خلال خمس دقائق، وانها لرحلة طويلة، أعلم هذا، إلا أنه سيوجد من يعنى بشئونكم فى خلالها، عناية تامة، واسمحوا لى الآن بأن أقدم لكم السادة الذين سيشرقون على إجراءات انتقالكم، والذين نرجو أن تلتزموا بتنفيذ تعليماتهم".

وصعد رجل قصير نحيل إلى أعلى المقعد، بجوار رئيس المستخدمين، وما كاد يجد الوقت لكى ينحنى انحناء سريعة، حتى شرع يلوح بذراعيه فى عصبية لكى يوجههم إلى كيفية تنظيم أنفسهم، وتحركهم نحو المحطة.. إلا إنهم قد تجاهلوه فى بداية الأمر، فقد خبط الرجل الذى كان قد ألقى خطبته فى بداية تناول الوجبة، المائدة بيده، وبدأ فى توجيه الشكر فى خطبة طويلة، مع انه كان يعلم - ولم يكن كارل مرتاحاً لتلك الخطبة - بأن القطار سيتحرك فى خلال خمس دقائق، بل أن لا مبالاة مدير المستخدمين الواضحة لم توقفه أيضاً عن إتمام خطبته، وكان مدير المستخدمين يلقى ببعض التعليمات إلى الموظف المسئول عن الانتقال، بينما كان ذلك الشخص قد أقام خطبته على تمجيد الأخلاق العالية التى يتحلى بها موظفو مسرح

أو كلاهما، وعلى وصف الأطباق التي قدمت على المائدة، ثم راح يطلق أحكامه على كل شخص اتفق له أن التقى به، ثم انتهى إلى هذا التصريح، مشيراً إلى الأطباق: "أيها السادة، هذا هو الطريق إلى قلوبنا"، وضحك الجميع فيما عدا السيد الذي كان الحديث قد وجه إليه أساساً، ولقد كان في هذا التقرير، كثير من الحقيقة، بجانب ما كان يتضمنه في الوقت نفسه من الهزل.

وقد ترتب على تلك الخطبة نوع من العقاب، فقد كان على الجميع أن يقطعوا الآن الطريق إلى المحطة جرياً، وإن لم يكن ثمة صعوبة في هذا - كما لاحظ كارل الآن فقط - لأن أحداً لم يكن يحمل أية أمتعة، وكان الشيء الوحيد الذي كان يمكن تسميته بالأمتعة هو عربة الطفل، التي دفعها الأب أمامه في مقدمة الراكب، والتي كانت ترتفع مهتزة إلى أعلى وإلى أسفل بعنف، كما لو لم تكن هناك يد تضغط عليها.. يا لهم من أشخاص معدمون، يأنسون اجتماعاً هنا معاً، ثم بأي طيبة استقبلوا هنا، ووجدوا شيئاً من العناية! ولا بد أن الموظف المشرف على الرحلة، كان قد أوصى برعايتهم كحبة عينه، فقد أخذ الآن دوره في دفع عربة الطفل، ملوحاً بإحدى يديه لكي يستحث الراكب على الإسراع، وكان يستعجل الشاردين في مؤخرة الموكب، ويتجول بين الصفوف وهو يرعى من يعجزون عن الجرى السريع، محاولاً أن يوضح لهم بذراعيه اللتين كان يلوح بهما طوال الوقت، كيف يمكنهم أن يسرعوا في الجرى بسهولة.

وعندما بلغوا المحطة كان القطار يتأهب للرحيل، وأشار الناس في المحطة لبعضهم البعض إلى هؤلاء القادمين، وكان المرء يسمع صيحات التعجب، من قبيل: "هل ينتمي كل هؤلاء إلى مسرح أو كلاهما"، ويبدو أن المسرح كان معروفاً أكثر مما كان يتصور كارل، فهو لم يكن يهتم اهتماماً

كبيراً بشئون المسارح، وكانت عربية كاملة قد تم حجزها لهم، وبذل المشرف على الرحلة جهداً يفوق الجهد الذى بذله حارس القطار فى ادخالهم إلى تلك العربية، ولم يجلس ذلك المشرف على مقعده قبل أن يفتش على كل ديوان، ويقوم ببعض الترتيبات اللازمة، وتصادف أن جلس كارل على مقعد يجاور النافذة، وجلس جياكومو إلى جواره.

وهكذا جلسا ملتصقين ببعضهما البعض، متهللين من أعماق قلوبهما للرحلة، تلك الرحلة المجهولة إلى أمريكا التى لا يعرفان عنها شيئاً على الإطلاق.

وعندما بدء القطار فى التحرك.. خارجاً من المحطة، لوحا بأيديهما من النافذة، وقد تسلى الشبان الذين كانوا يجلسون قبالتهما بهذا المنظر، ولكنوا بعضهم بعضاً، وضحكوا.

واستمرت الرحلة يومين وليلتين، وأدرك كارل الآن فقط كم كانت أمريكا واسعة، وتطلع بلا ملل من خلال النافذة، وحرص جياكومو على التشبث بمكانه إلى جوار كارل، حتى ضاق به الآخرون الذين كانوا يشاركونهما نفس الديوان، عندما أرادوا أن يلعبوا الورق، وتنازلوا له طوعاً عن المقعد الآخر المجاور النافذة، وشكرهم كارل - فقد كان من الصعب فهم انجليزية جياكومو - وبمرور الوقت، كما يحدث دائماً بين رفاق السفر، أصبحوا جميعاً أكثر ودأً مع بعضهم البعض، على الرغم من أن هذا الود كان أحياناً عبارة عن مجرد ضوضاء وازعاج، فكلما كانوا ينحنون، مثلاً، لالتقاط ورقة انزلقت إلى أرضية الديوان، لم يكن يمكنهم أن يقاوموا رغبتهم فى أن يقرصوا ساق كارل أو جياكومو بصورة مؤلمة، وكان جياكومو يصرخ دائماً فى دهشة متجددة، كلما حدث ذلك، ويرفع ساقيه إلى أعلى، وحاول كارل فى إحدى المرات أن يرفسهم رداً على ذلك، إلا انه قاسى بقية الوقت فى

صمت.. وكان كل شئ يحدث فى ذلك الديوان الصغير، كان يتلاشى أمام  
عظمة المناظر التى كانت تبدو من خلال النافذة.  
وقد انطلق بهم القطار فى اليوم الأول عبر سلسلة مرتفعة من الجبال،  
وكتل ضخمة من الصخور الزرقاء الضاربة إلى السواد، كانت تنحدر  
انحداراً يكاد يكون عمودياً على الخط الحديدى، وحتى لو مد المرء عنقه من  
خلال النافذة، فلم يكن يمكنه أن يرى قممها، ووديان، ضيقة، كئيبة، غير  
ممهدة، كانت تمتد فى أحيان أخرى، حاول أحدهم أن يتتبع باصبعه،  
الاتجاه الذى كانت تنتهى عنده، وتتلاشى، وكانت تظهر كذلك أنهار عريضة  
جبلية، تندفع فى أمواج هائلة إلى أعماق سفوح التلال، وعلى سطحها تطفو  
آلاف من أمواج الزبد، كانت تغوص تحت القناطر، التى كان القطار يندفع  
فوقها، وقد كانت تلك الأمواج قريبة غاية القرب منهما، حتى إن الرذاذ  
البارد الذى كان يتناثر منها كان يصفع وجهيهما.





## تعقيب

لم يكن مخطوط فرانز كافكا يحمل عنواناً، وكان قد اعتاد في أحاديثه أن يشير إلى هذه الرواية، على أنها "روايته الأمريكية"، إلا أنه أطلق عليها ببساطة فيما بعد "العطشجي"، وهو عنوان الفصل الأول الذي نشر منفصلاً عام ١٩١٣. وكان كافكا يكتب هذه الرواية في سعادة لا حد لها، في الأمسيات، ثم بعد ذلك كانت تستغرقه الكتابة فيها حتى أوقات متأخرة من الليل.

ولم تكن صفحات المخطوط تحتوي، مما يثير الدهشة، إلا على القليل جداً من التصحيحات، أو الحذف، وكان كافكا يدرك تماماً، إن هذه الرواية كانت أكثر كتاباته جميعاً، تفاعلاً، وأبسطها من حيث التركيب والمزاج الذي كتبت به، وقد تحدث إلى الكثيرين حول هذه الحقيقة.

وربما كان لي أن أقول في هذا الصدد أن فرانز كافكا، كان مغرماً بقراءة كتب الرحلات، والمذكرات، وأن سيرة حياة فرانكلين، كانت أحد كتبه المفضلة، وكان يحب أن يقرأ منه بعض المقطوعات في صوت مرتفع، وأنه كان يحن دائماً إلى المساحات الشاسعة، والبلاد النائية، وهو لم يرحل بالفعل إلى أبعد من فرنسا، وإيطاليا، ولهذا فإن براءة خياله، تضيء على هذه الرواية التي تصور مغامرة "كارل روسمان في أمريكا" لونها الغريب.

وقد انقطع كافكا فجأة عن مواصلة كتابة هذه الرواية، فظلت ناقصة.. وقد عرفت مما ذكره لي أن الفصل الناقص عن "مسرح أوكلاهوما الطبيعي"، وهو فصل كانت بدايته بصفة خاصة تمتع كافكا، حتى لقد اعتاد

على أن يقرأه بصوت مرتفع فى تأثر بالغ.. كان كافكا ينوى أن يجعله خاتمة للرواية، وكان سينتهى بنوع من التوافق الشعاعى الحزين مع الحياة. وقد اعتاد كافكا أن يشير فى غموض إلى انه فى إطار ذلك المسرح «الذى لا حدود له»، كان بطله الصغير سيجد مرة أخرى وظيفة، وسندا، وسيجد حريته، وبيته، ووالديه، كأنما بشئ من السحر العلوى.

وأن الأجزاء التى تسبق مباشرة هذا الفصل الختامى من الرواية «نهاية الفصل السابع» هى أيضاً ناقصة.

وتوجد قطعتان كبيرتان تتعرضان لخدمة كارل فى شقة برونيلا، إلا أنهما لا تصلان السياق.. وقد كانت الفصول الستة الأولى هى فقط للفصول التى قسمها كافكا، ووضع عناوينها بنفسه.

## ماكس برود



"كان كافكا مغرماً بقراءة كتب الرحلات والتذكريات، وإن سيرة حياة فرانكلين كانت أحد كتبه المفضلة... كان يحن دائماً إلى المساحات الشاسعة، والبلاد النائية، وهو لم يرحل بالفعل إلى أيعد من فرنسا وإيطاليا، ولهذا فإن براءة خياله تصطبغ على هذه الرواية، التي تصور مغامرة "كارل روسمان" في أمريكا، تقريباً".

"ماكس برود"

فرائز كافكا (١٨٨٣ - ١٩٢٤) روايى ألماني، ولد ونشأ في تشيكوسلوفاكيا لأسرة يهودية متدمجة، درس القانون، ولازمه المرض، فعانى الصداق العصبي والأرق، وفي سنواته الأخيرة أصيب بالنسل، وعهد إلى صديقه ماكس برود بأوراقه ومخطوطاته، وأوصاه بحرقها بعد موته، إلا أن برود لم ينفذ التوصية، وما لبثت أعمال كافكا أن حظيت باهتمام كبير، وتجاوزت حدود الوطن والقلعة لترجمتها إلى أغلب اللغات، فيصير كافكا كاتباً إنسانياً، ويتحوّل اسمه إلى عنوان للبرق أدبي "كافكاوي"، يلهم أعمق التقسس اليسارية، ويحطّج أفكاراً وجودية، ويمتدّ على أبحاثه شعور بالالاقتراب، وعزلة روحية، إذ يجسدون تراجيدياً عصرية، لا يوا جهون فيها أقدار، ولا يدعون بطلاناً، وكتبتهم بتسخير من مجتعمهم ومجتمعتهم، فيمنحوا تسحايا تنويرو أكبر من قدراتهم على فهمها.

تدور رواية "أمريكا" في الولايات المتحدة التي لم يزرها كافكا.

وهي مسرح شخصيات من أوروبا الشرقية، والقريبة.

أديب ومترجم وفنان تشكيلي مصري، ولد عام ١٩٢٨، وتخرج في قسم التصوير بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة عام ١٩٥٦. بدأ نشر قصصه القصيرة منذ عام ١٩٤٩، وصاحبت رسومه إبداعات جيل الستينيات من الشعراء، وكتاب القصة في الصحف والجلات، وأقام معارض، منها "المشترقة في مصر القديمة" (١٩٨٠)، وترجم لكافكا، "الدورة الهائلة"، "سائل إلى ميليتا"، "السخ".



السيد قاسبي قسبي

